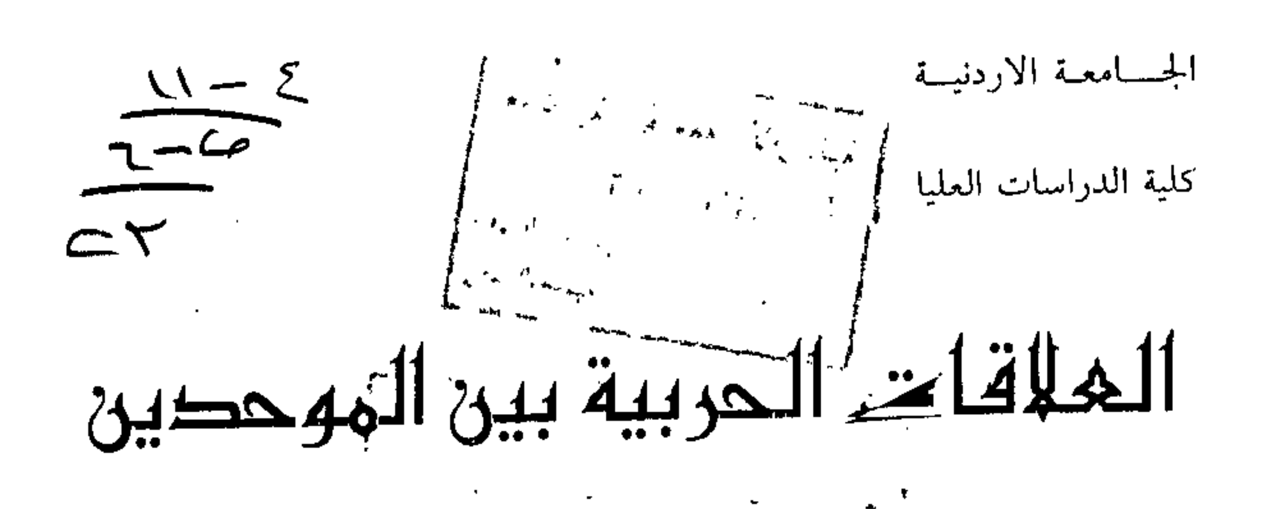
الجـــامعـة الاردنيـــة

كلية الدراسات العليا



العلاقات الحربية بين الموحدين

و

الممالك الاسبانية في شمال الاندلس

من (٥٤٠-٦٢٠هـ/ ١١٤٥-١٢٢٥م)

عميد كلية الدراسات العليا

اعداد

قتيبة علي ابراهيم سمور

اشراف

الاستاذ الدكتور محمد عبده حتاملة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي

بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية

تموز ١٩٩٦

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٢١ / ٧ / ١٩٩٦م وأجيزت من قبل أعضاء لجنة المناقشة :

١ ـ الاستاذ الدكتور محمد عبده حتاملة (المشرف) رئيساً

٢ ـ الاستاذ الدكتور عبدالعزيز الدوري عضواً.

٣ ـ الاستاذ الدكتور عبدالكريم غرايبة عضواً.

الاهداء

الى والديّ اللذان بذلا الغالي والنفيس في السهر على مصلحتي في فترة دراستي.

مما كان له الأثر في نفسي ودفعني للاستمرار والتقدم، راجياً من الله أن يمتعهما بوافر الصحة والعافية.

الى أخي معتصم واخواتي، إذ وفروا لي الهدوء والراحة، راجياً لهم الحياة السعيدة والتقدم العلمي المستمر.

قتيبة سمور

٢١ تموز ١٩٩٦م

شكر وتقدير وعرفان

وأنا أنتهي من كتابة بحثي، يسرني أن أسجل الشكر العميق لأستاذي الجليل الدكتور محمد عبده حتاملة، لتجشمه عناء الإشراف على رسالتي مكبراً فيه جهده وحرصه الكبرين ودقته وعلميته، وروحه الديمقراطية التي اشعرتني بالصداقة الحقة، وحب الحقيقة، وعدم إدخاره أي جهد كان له أن يسهم في توجيهي وفي تطوير البحث نحو الأحسن.

ولا يفوتني أيضاً أن أتقدم بالشكر الى الأستاذ الدكتور عبدالعزيز الدوري والاستاذ الدكتور عبدالكريم غرايبة على تفضلهما بقبول عضوية لجنة المناقشة وعلى ملاحظاتهم القيمة التي أبدياها، ولا يفوتني أيضاً أن أتقدم بجزيل شكري الى الأساتذة الكرام في قسم التاريخ الذين كان لي الشرف في التتلمذ على أيديهم.

وأخيراً لا أنس فضل العاملين في مكتبة الجامعة الاردنية ومكتبة المركز الثقافي الاسباني على حسن تعاونهم ومساعدتي فيما لزمني من مصادر ومراجع.

بيان للرموز والمختصرات التي استخد - في الرسالة:

ص : صفحة

ط. : طبعة

د.ت : دون تاريخ طبع

ج : جزء

ق : قسم

د : دكتور

هـ : هجري

م : ميلادي

ت : توفي

* : استخدمت للتعريف ببعض المصطلحات

- ملاحظة : عند استخدام الكتاب لأول مرة يذكر اسم مؤلفه واسمه بالكامل، وعند وروده بعد ذلك اكتفي بذكر الاسم الذي اشتهر به المؤلف والمقطع الأول من اسم الكتاب اذا كان اسمه طويلاً.

فهرس المحتويات

الملخص باللغة العربية

العلاقات الحربية بين الموحدين والممالك الاسبانية

من (٥٤٠=٦٢٠هـ/ ١١٤٥=١٢٢٥م)

اعداد الطالب: قتيبة علي ابراهيم سمور

اشراف: الدكتور محمد عبده حتاملة

بحثت هذه الدراسة جانباً مهماً من جوانب العلاقات المباشرة بين الموحدين والممالك الاسبانية في الاندلس، وقد هدفت الى توضيح العلاقات الحربية فيما بينهم.

تناولت الدراسة في البداية أوضاع الاندلس عند سقوط دولة المرابطين، وقيام دولة الموحدين، اضافة الى الاستغاثات الاندلسية بدولة الموحدين في المغرب، الذين عبروا الاندلس وسيطروا على جميع نواحيها، كذلك تناولت الدراسة علاقة الموحدين بالامارات الاندلسية القائمة بعد سقوط دولة المرابطين والتي كان منها امارة ابن مردنيش في شرق الاندلس، وامارة بني غانية امراء الجزائر الشرقية (البليار)، وقد تطرقت الى التنظيم الحربي عند الموحدين ودوره في تحقيق الانتصارات على الامارات الاندلسية والممالك الاسبانية.

وتعرضت الدراسة الى تطور الممالك الاسبانية في شمال الاندلس زمن الموحدين، حيث كانت مملكة قشتالة (Castile)، ليون (Leon)، ارغون (Argon)، نبرّة (Navarra)، والبرتغال (Portugal)، وكان لها دور في التوسع على حساب الاراضي الاندلسية، وبحثت الدراسة ايضاً عن التنظيم الحربي عند تلك الممالك وعناصر جيشها.

ومع استمرار الحملات الاسبانية المنظمة وغير المنظمة على الاراضي الاندلسية وقعت بينهم والموحدين العديد من الحروب، كان من اشهرها معركة الارك (٥٩١هـ/ ١١٩٥)، ومعركة العقاب (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م).

نتج عن تلك الحملات العديد من الآثار على الاندلس، ففي المجال السياسي تأثرت الادارة في الاندلس وقامت العديد من الثورات الاندلسية على الموحدين، كان منها ثورة ابن هود وزيان ابن مردنيش، وابن الاحمر، كذلك تتابع سقوط العديد من المدن الاندلسية، الى ان وصلت الاندلس في النهاية الى حدود مملكة غرناطة.

المقدمة

قامت الدولة الموحدية على أساس دعوة دينية دعى إليها محمد بن تومرت الذي ينحدر من أسرة بربرية من قبيلة هرغة إحدى بطون قبيلة مصمودة الكبرى التي تعتبر أكثر القبائل عدداً وأشدها بأساً.

شرع محمد بن تومرت بعد عودته من المشرق في تدريس العلم والدعاء إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبدأ يستميل رؤساء القبائل، وصرح بدعوته، وادعى أنه المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ولما كملت بيعته أطلق اسم الموحدين على أتباعه.

صادف قيام دولة الموحدين في المغرب، انهيار دولة المرابطين الذين أهملوا الدفاع عن الأندلس، فاختلت أحوالها، وأخذت الممالك الإسبانية تفتك بأطرافها، لذلك ثار أهل الأندلس على المرابطين وقاموا بإخراج ولاتهم وكادت الأندلس تعود إلى سيرتها الأولى بعد سقوط الخلافة الأموية وتتمزق من جديد إلى دويلات طوائف.

تعلقت آمال الأندلسيين بالموحدين بعد أن سمعوا بدعوتهم، فوفد بعض ثوار وعلماء وفقهاء الأندلس إلى مراكش ورغّبوا الأمير الموحدي عبدالمؤمن بن علي امتلاك الأندلس وتحرير بعض المدن التي كانت قد سقطت بيد الممالك الإسبانية.

عبر الموحدون إلى الأندلس، وخلفوا دولة المرابطين في الدفاع عنها ضد تحديات الممالك الإسبانية التي أخذت تسير في صراعها مع العرب المسلمين منحى جديداً وهو إضفاء الطابع الديني على هذا الصراع مستعينة بالأمم الأوروبية، مستغلة العاطفة الدينية حيث اتخذت طابع حروب صليبية لا تقل عن الحروب الصليبية الدائرة في المشرق الإسلامي.

أظهر الموحدون صلابة عنيفة أمام تحديات الممالك الإسبانية وتمكنوا من إنزال هزيمة بألفونسو الثامن ملك مملكة قشتالة وحلفاءه ملكي نبرّة وليون في معركة الأرك ٥٩١هـ/ ١١٩٥م والتي كان لها دور في زيادة قوة معنوية العرب المسلمين في الأندلس، وأخّرَت محاولات الممالك الإسبانية في الاستمرار بتنفيذ خططهم إلى حين.

لم يستفد الموحدون من هذا النصر في مواصلة الضغط على الممالك الاسبانية بل اكتفوا بذلك، وتم عقد هدنة مؤقتة مع الملك القشتالي الفونسو الثامن أمدها عشر سنوات.

كانت تلك الهدنة بمثابة الاستعداد للجولة القادمة، لذلك عمل الملك الفونسو الثامن على تكوين حلف قوي يضم جميع الممالك الإسبانية ليون، آرغون، نبرّة، والبرتغال بالاضافة إلى المساعدات التي قدمتها الدول الأوروبية المجاورة والبابوية بقيادة البابا أنو سنست (١١٩٨ - ١٢٢٦م).

بدأ الملك القشتالي يتحرش بالمدن الأندلسية القريبة من حدود مملكته فخرب الأراضي في مدينة جيان وبياسة حتى وصل مشارف مدينة مرسية، ثم عاد إلى طليطلة مثقلاً بالغنائم.

توجهت أنظار أهل الأندلس مرة أخرى إلى الموحدين من أجل نجدتهم، فتاهب الأمير الموحدي محمد الناصر معلناً الجهاد وتم اللقاء في معركة العقاب (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م)، إنتصرت فيها جيوش الممالك الإسبانية وحلفاؤها على جيوش الموحدين، ثم قامت بملاحقة فلولهم واتجهت نحو المدن الأندلسية التي كانت تلاقي مصيرها المحتوم وأخذت تسقط المدينة تلو الأخرى بيدهم.

هكذا انهار النفوذ الموحدي في الأندلس بعد هذه المعركة وأصبح لها آثار كبيرة

على المدى البعيد، فقد تأثرت الأوضاع السياسية نتيجة تلك الحروب واختلت إدارة الأندلس وظهر الطامعين والثائرين في مدنها منهم ابن هود، زيان بن مردنيش وإبن الأحمر، كذلك تتابعت المدن الإندلسية في السقوط بيد الممالك الاسبانية، أما الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فقد تأثرت نتيجة انتهاب الأراضي الزراعية، وهروب العديد من أهالي المدن الأندلسية من مزارعين وصناع وتجار إلى المغرب لتوفر الأمن فيه.

وقد كان الكشف عن هذه الأمور وقلة الأبحاث عن الموحدين بشكل عام من أهم الدوافع لهذه الدراسة التي تقع في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وملاحق.

الفصل الأول: الأندلس في ظل الموحدين:

تناول هذا الفصل في بدايته تمهيداً يتحدث عن قيام دولة الموحدين على يد محمد بن تومرت، ودور عبدالمؤمن بن علي في توطيد وتثبيت أركانها بعد وفاة ابن تومرت، كذلك توجه أنظار أهل الأندلس إلى المغرب والاستغاثة بالموحدين لنجدتهم، وتم إبراز مراحل عبور الموحدين الأندلس حيث كان عبور الجيش أولاً وسيطرته على المدن الأندلسية، ومن ثم عبور الأمراء الموحدين للأندلس.

وتم توضيح العلاقة بين الموحدين والإمارات الأندلسية التي ظهرت في الأندلس بعد انهيار الحكم المرابطي، حيث كان منها إمارة محمد بن سعد بن مردنيش في شرق الأندلس وإمارة بني غانية في الجزائر الشرقية (البليار) آخر معاقل المرابطين.

وفي نهاية هذا الفصل تم إعطاء دراسة حول التنظيم الحربي عند دولة الموحدين من حيث عناصر الجيش، والقيادة، والخطط العسكرية، والتسليح والتموين، وبعض مراكزه العسكرية.

الفصل الثاني: أشهر الممالك الاسبانية في شمال الأندلس وتطورها زمن الموحدين:

ويبحث هذا الفصل عن بدايات تكوين الممالك الاسبانية وتوسعاتها على حساب الأراضي الأندلسية، وأشهر ملوكها الذين تناوبوا على حكمها زمن الموحدين، فقد تناول هذا الفصل مملكة قشتالة وبداية تكوينها وانفصال مملكة ليون عنها، ثم مملكة ليون وأشهر ملوكها، ومملكة آرغون وانفصال مملكة نبرّة عنها، ومملكة البرتغال وتوسعها على حساب الأراضي الأندلسية في الجهة الغربية من شبه جزيرة ايبريا.

وقد تناول الفصل دراسة عن التنظيم الحربي عند الممالك الاسبانية من حيث عناصر الجيش، وخططه العسكرية التي كان يستخدمها في حروبه ومعاركه ضد الموحدين، ومراكزه العسكرية.

الفصل الثالث: أشهر المعارك التي وقعت بين الموحدين والممالك الاسبانية:

وتناول هذا الفصل في بدايته عن بعض الحروب التي قامت في أول قيام دولة الموحدين مع الممالك الاسبانية، التي كان منها غزوة السبطاط وغزوة شنترين، وتم في هذا الفصل تحليل أشهر معركتين وقعت بين الموحدين والممالك الإسبانية وهي معركة الأرك (٥٩١هـ/ ١١٩٥م) ومعركة العقاب (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م) حيث تم التعرف على ظروف الجانبين الاسباني والموحدي قبيل المعركة والأسباب المباشرة وعقد مقارنة بين تنظيم الجيشين وموقع كل معركة وأحداثها ونهايتها.

الفصل الرابع: أثر العلاقات الحربية بين الموحدين والممالك الإسبانية على الأندلس:

تناول هذا الفصل الآثار التي أصابت الأندلس نتيجة الحروب الواقعة بين الموحدين والممالك الاسبانية وما كان لها من نتائج ايجابية أو سلبية تجاه الأندلس، فقد تم التعرف على الآثار السياسية وما أصاب إدارة الأندلس من اضطراب وظهور الحركات الانفصالية التي قامت على الموحدين، كان منها ثورة ابن هود وثورة زيان ابن مردنيش وثورة ابن الأحمر، بالإضافة إلى تتابع سقوط المدن الأندلسية بيد الاسبان.

وتناول الفصل أيضاً الآثار الاقتصادية التي أصابت الأندلس جراء تلك الحروب في جميع مجالاتها الزراعية والصناعية والتجارية، وتم التعرف في هذا الفصل على الآثار الاجتماعية التي أصابت الأندلس، كان منها ظهور الفساد الاجتماعي ودور الموحدين في القضاء عليه، وتغير معاملة أهل الذمة من النصارى واليهود، وظهور بعض العادات الاجتماعية الجديدة، إضافة إلى ظهور الهجرات الجماعية نحو المدن المغربية.

لقد ضم البحث مدخلاً منهجياً، وتحليل لأهم المصادر والمراجع في مستهله وخاتمة في نهايته، مرفقاً به مجموعة من الملاحق التي ضمت صوراً وخرائط مهمة يستفاد منها في فصول البحث.

وبعدُ ، ،

فإني آمل أن أكون قد وفقت في كتابة هذا البحث، فإن يكن التوفيق قد حالفنا فذلك جل ما ننشده، عسى أن يكون هذا البحث حافزاً لي ولغيري من الباحثين في كتابة تاريخ الأندلس وإبراز جوانبه الحضارية ونبذ كل ما يسيء إليه، وصولاً إلى الحقيقة التي هي غايتنا ومرمانا.

ومن الله نستمد العون والتوفيق

تحليل المصادر والمراجع

إعتمد هذا البحث على عدد من المصادر والمراجع التي يشكل بعضها العمود الفقري له، نظراً لأن هذه المصادر تلقي الضوء على أهمية البحث وتبرز قيمته كمصدر غني بالحقائق والأفكار الأساسية التي ترفد الفترة التاريخية مجال الدراسة وتغنيها، فإننا سنقوم بتحليلها باختصار فيما يلي:

- كتاب أعز ما يطلب: تأليف محمد بن عبدالله بن تومرت، وهذا الكتاب عبارة عن مجموعة من كتب ورسائل في الأصول والفقه والتوحيد والسياسة والجهاد ويشتمل على كل التعاليق التي أملاها ابن تومرت ثم املاها من بعده عبدالمؤمن بن علي.

وتحدث فيه المؤلف عن الصلاة والطهارة والكلام والقواعد التي بنيت عليها علوم الدين وباب العلم وفضله والدعوة إلى التوحيد والحث على الجهاد والاستعداد اليه. وقد تم الاستفادة منه في التعرف على شخصية مهدي الموحدين ابن تومرت ودعوته إلى التوحيد.

- كتاب المن بالإمامة: تأليف عبدالملك بن صاحب الصلاة، وهو من المصادر المهمة التي وصلتنا عن المرحلة الأولى من تاريخ الدولة الموحدية، وتكمن أهمية المصدر إلى أن مؤلفه كان معاصراً للحوادث التي جرت على أرض الأندلس زمن الموحدين، وجاءت مادته مركزة على أحداث الصراع بين الموحدين والممالك الاسبانية حتى عام ٥٦٨هـ.

وقد اعتمد البحث على هذا الكتاب في دراسة الفصل الخاص بعلاقة الموحدين بإمارة ابن مردنيش في شرق الأندلس، كما أفاد في دراسة بعض جوانب التنظيم الحربي للموحدين وإعطاء لمحة عن الأسلحة التي كانوا يستخدمونها، فجاء الكتاب

وصفاً شافياً لها، وكذلك اشتمل الكتاب على مجموعة من الرسائل والوثائق الموحدية الصادرة عن الخلفاء انفسهم وهي مفيدة.

- كتاب البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس: تاليف أبو العباس أحمد بن محمد بن عِذاري، واعتمد المؤلف في تدوين كتابه على مصادر معاصرة للموحدين، كمؤلفات ابن صاحب الصلاة، كذلك تميز باسناد الروايات أحياناً، وقد أفاد الجزء الرابع من كتاب البيان المغرب في دراسة المادة المتعلقة بانهيار دولة المرابطين وسقوطها وأشهر الحروب التي وقعت بينهم والموحدين.

أما القسم الذي اكتشف حديثاً ويعرف بالقسم الثالث فهو خاص بتاريخ الموحدين ويحتوي على معلومات مفصلة عن العلاقات الحربية بين الموحدين والممالك الاسبانية، وتم الاستفادة منه في دراسة مواضيع متعددة سواء فيما يتعلق بعلاقة الموحدين بالامارات الاندلسية، وأشهر الحروب الواقعة بين الموحدين والممالك الاسبانية وبعض الجوانب من الآثار التي أصابت الأندلس نتيجة تلك العلاقات في جميع مجالاتها وقد تضمن هذا الكتاب معلومات وفيرة لا يوجد بعضها في غيره من المصادر.

- كتاب أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين: تاليف أبو بكر الصنهاجي الملقب بالبيذق، ومؤلفه عاش الأحداث وشارك في بعضها حيث كان أحد تلاميذ محمد بن تومرت، وعنوان هذا الكتاب يدل على مضمونه، فقد أفاد في اعطاء معلومات عن دعوة ابن تومرت، وتتبع بعض الحروب التي نشبت بين الموحدين والمرابطين في أواخر عصرهم، كذلك احتوى على معلومات وفيرة عن دور عبدالمؤمن بن علي في إقامة دولة الموحدين وضمه لمدن المغرب وتوطيد حكم الموحدين.

- كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب: تاليف محي الدين أبو محمد عبدالواحد المراكشي، ومؤلف هذا الكتاب عاش في كنف الدولة الموحدية، وعمل كاتباً لبعض الولاة من أبناء الأمير عبدالمؤمن بن علي، أما طبيعة هذا المصدر فقد احتوى على معلومات وفيرة أفادت في دراسة مواضيع متعددة من البحث سواء فيما يتعلق بإنهيار دولة المرابطين وابتداء دولة الموحدين، كذلك أعطى المعلومات الشاملة عن علاقة الموحدين بالممالك الاسبانية، وأشهر الحروب الواقعة بينهم، واحتوى على معلومات مفصلة عن كل أمير موحدي ودوره في الوقوف بوجه الحملات الاسبانية على الاندلس، كما تم الاستفادة منه في تحليل التنظيم العسكري عند الموحدين في كل حرب أو معركة مع الجيوش الاسبانية.

- كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس: تاليف أبو الحسن علي بن عبدالله بن أبي زرع الفاسي، وقد سار مؤلف الكتاب في كتابه على طريقة الحوليات أحيانا وعدم الالتزام أحياناً أخرى، وقد أفاد الكتاب في دراسة قيام دولة الموحدين والاستغاثات الاندلسية بهم، كما وأفاد في التعرف على مراحل عبور الموحدين للاندلس، وتضمن دراسة التنظيم الحربي عند الموحدين وأشهر المعارك التي قامت بين الموحدين والممالك الاسبانية وآثارها الناتجة على الأندلس.

- كتاب المغْرب في حلى المغرب: تاليف علي بن موسى بن سعيد المغربي وقد اعتمد على الجزء الثاني في البحث، وتتجلى قيمة هذا الكتاب في اعطائه لمحة عن أشهر الامارات الاندلسية التي ظهرت بعد انهيار دولة المرابطين في الأندلس، ونبذة عن تاريخ أصحابها كابن مردنيش وبني غانية، وأعطى بعض الشذرات عن الممالك الاسبانية وعلاقتها بالموحدين في الأندلس.

- كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام: تاليف لسان الدين محمد بن عبدالله بن الخطيب، وهو من أهم المصادر التي اعتمد عليها البحث، وقد أفاد الكتاب في دراسة أحوال الأندلس بعد سقوط دولة المرابطين فيها، واستغاثة أهلها بالموحدين، وفي دراسة أشهر الامارات الاندلسية عند عبور الموحدين للاندلس، كذلك اعطاء لمحة عن أشهر الممالك الاسبانية في ذلك الوقت وملوكها وبعض أعمالهم وحروبهم ضد دولة الموحدين، ورغم الإيجاز في معظم المواضيع فبعض معلوماته لا توجد في غيره من المصادر.

- كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة: وهو لابن الخطيب أيضاً وتم الاستفادة منه في كشف معلومات عن أوضاع الأندلس بعد نهاية دولة الموحدين وقيام الثورات الأندلسية عليهم، بالاضافة لاعطاء معلومات عن بعض ملوك الممالك الاسبانية في الفترات المتاخرة.

وقد تم الاستفادة من كتب أخرى لنفس المؤلف المذكور كان منها: «كناسة الدكان بعد انتقال السكان» و «اللمحة البدرية في الدولة النصرية» و «معيار الأخبار في ذكر المعاهد والديار».

- كتاب نظم الجمان في أخبار الزمان: تاليف أبو الحسن علي بن محمد الكناني الفاسي المشهور بابن القطان. ولم يبق من الكتاب الا السفر الثالث عشر الذي يبدأ بحوادث سنة ٥٠٨هـ - ٥٣٣ هـ، وقد أفاد من التعرف على أحوال دولة المرابطين في أواخر دولتهم ودراسة بعض جوانب دعوة ابن تومرت، ومعلومات عن الجوانب الحضارية والاجتماعية في الاندلس، كذلك احتواء الكتاب على مجموعة من الرسائل التي كان يبعثها الأمير عبدالمؤمن بن علي إلى طلبته وأشياخه وعماله في الأندلس.

- كتاب الحلة السيراء: تاليف أبو عبدالله محمد القضاعي المعروف بابن الابار وقد اعتمد على الجزء الثاني من هذا الكتاب، حيث تضمن مجموعة من المعلومات المفصلة عن بعض التراجم التي كان لها دور في تاريخ الأندلس زمن الموحدين، كذلك تم الاستفادة بالتعرف من خلاله على بعض الجوانب من علاقة الموحدين بالامارات الأندلسية والتعرف على الأوضاع التي أصابت الأندلس نتيجة الحروب الواقعة ما بين الموحدين والممالك الاسبانية خاصة ما يتعلق بالناحية العلمية والاجتماعية، وقد ساعدت حاشية الكتاب في التعرف على معلومات هامة بقلم المحقق.

وله عدة كتب منها كتاب «التكملة» حيث ترجم فيه المؤلف لطائفة من رجال الفكر والأدب في عصر الموحدين ويفيد في التعرف على بعض الاعلام التي ترد أثناء الدراسة.

أما كتاب «المعجم» فقد ترجم المؤلف فيه لطائفة، وتمت الاستفادة منه لمعرفة أحوال الأندلس قبل عبور الموحدين لها.

- كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية: تأليف الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد الغبريني، وقد أفاد هذا الكتاب في دراسة بعض الجوانب من علاقة الموحدين ببني غانية وتأثيرهم في نتائج المعارك ما بين الموحدين والممالك الاسبانية. وقد تضمن مجموعة من الأخبار لا توجد في غيره من المصادر.

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: تأليف عبدالرحمن بن خلدون، وقد تم الاستفادة من الجزء السادس في مواضيع كثيرة من الدراسة وأهمها عبور الموحدين

إلى الأندلس، ثورة بني غانية في الجزائر الشرقية ومعلومات عن الحروب التي قامت بين الموحدين والممالك الاسبانية وأثرها على الأندلس في المجالات الإجتماعية والسياسية والثقافية.

- كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: صنفه الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، وهو من أهم المصادر التي اعتمدها عليها البحث وتعود أهمية هذا الكتاب في اعتماد مؤلفه على مصادر أصلية يعود بعضها إلى عصر الموحدين، ويستند المؤلف على اقتباس النصوص الأصلية من مصدرها، ويقوم بالتعليق وإبداء رأيه، وقد أفاد الجزء الثاني من الكتاب على معظم فصول البحث، فأفاد في دراسة سقوط دولة المرابطين وبداية دولة الموحدين، وتضمن معلومات عن أشهر الامارات الأندلسية وعلاقة الموحدين بها، كذلك أعطى معلومات عن التنظيم الحربي عند الموحدين في معاركهم ضد الممالك الاسبانية والآثار الناتجة عن تلك المعارك.

- كتاب نفح الطيب عن غصن الأندلس الرطيب: تاليف أحمد بن محمد المقرّي (١٠٤١هـ) وهذا الكتاب عبارة عن موسوعة شاملة في تاريخ الأندلس وحضارتها، ويحتفظ هذا الكتاب بمجموعة كبيرة من المواد التاريخية والأدبية في عصر الموحدين، كذلك أعطى لمحة عن أحداث الصراع ما بين الموحدين والممالك الاسبانية، وأوضاع الأندلس الناتجة عن ذلك الصراع كذلك تحدث المؤلف في كتابه عن أشهر ثورات الأندلسيين ضد الموحدين في أواخر حكمهم في الأندلس، كثورة ابن هود وابن مردنيش وابن الأحمر.

- كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب: تاليف شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري، وقد أفاد الجزء الخاص بالأندلس كثيراً من المعلومات حول

انهيار دولة المرابطين وأوضاع الأندلس قبيل عبور الموحدين وعلاقة الموحدين بالامارات الأندلسية، ومعلومات عن الأوضاع التي عاشتها الدولة الموحدية والممالك الإسبانية قبيل معركتي الأرك والعقاب، والاثار الناتجة عنهما.

- الكامل في التاريخ: مؤلفه ابن الأثير، والكتاب من كتب التاريخ العام واعتمد على عدة أجزاء من البحث، وخاصة في التعرف على أوضاع الدولة المرابطية في مرحلة ضعفها، وبداية قيام دولة الموحدين وسيطرتهم على الأندلس، والهجمات الاسبانية على المدن الأندلسية وأشهر الحروب التي وقعت بين الموحدين والممالك الإسبانية على أرض الأندلس.

- كتاب الروض المعطار: ومؤلفه محمد بن عبدالمنعم الحميري، حقق هذا الكتاب الدكتور إحسان عباس، وهذا الكتاب يفيد في تحديد المواقع الجغرافية للمدن الأندلسية وضبط أسمائها ومعرفة تطوراتها والأحداث التي تعرضت لها، وقد تم الاستفادة إضافة لما ذكر التعرف على سقوط بعض المدن الأندلسية بيد الممالك الاسبانية بعد الهزائم التي لحقت بالموحدين في أواخر عهدهم.

هذا وقد تم الاطلاع على عدة كتب جغرافية أخرى للافادة منها في البحث، كان منها «معجم البلدان» لياقوت الحموي، وكتاب «الاستبصار في عجاب الأمصار» لمؤلف مجهول (عاش في القرن السادس الهجري). و «مراصد الاطلاع» للبغدادي، و «المسالك والممالك» للاصطخري، و «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» للمقدسي، وغيرها من الكتب الجغرافية.

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا: تاليف احمد بن علي القلقشندي، وهذا الكتاب يقع في أربعة عشر مجلداً، وقد استفدت من الجزء الذي يخص الدراسة في جملة من المواضيع أهمها التي تلقي الضوء على الحروب الواقعة بين الموحدين

والممالك الاسبانية كذلك عن نشأة تلك الممالك وتطورها بالاضافة إلى إعطاء معلومات دقيقة عن مسير الجيش الموحدي للقتال والعطاء الذي كان يأخذه الفرد من المقاتلة وزي ذلك الجيش ورايته.

أما المراجع فقد كانت على قسمين: العربية والأجنبية، حيث كان لها الفضل في إضاءة عدة جوانب من الدراسة والإحالة إلى مصادر مهمة، وبالتالي خلقت الطمأنينة في موازنة نتائج الدراسة، كان من أهمها:

- كتاب دول الإسلام في الأندلس: تاليف الدكتور محمد عبدالله عنان، وهذا الكتاب عبارة عن موسوعة تتألف من عدة أجزاء، أفاد القسم الخاص بدولة الموحدين التعرف على الكثير من المعلومات المتعلقة بتطور الممالك الاسبانية زمن الموحدين، والتنظيم الحربي عندهم، كذلك أفاد هذا الكتاب في إعطاء معلومات عن المدن الاندلسية التي اعتمد فيها المؤلف على مشاهداته لها حيث يعطي تسميتها الحديثة، والمدن التي قامت على آثارها.

- كتاب تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين: تاليف يوسف أشباخ، وهذا الكتاب تحدث فيه المؤلف عن تاريخ الأندلس في فترة حكم المرابطين والموحدين للأندلس، وتم الاستفادة منه في أخذ بعض المعلومات عن العلاقات الحربية بين الموحدين والممالك الاسبانية، وعن أشهر الممالك الاسبانية وحكامها، كذلك التعرف على بعض المعلومات المهمة عن التنظيم الحربي عند الممالك الاسبانية.

- وقد تم الرجوع الى مجموعة من المراجع التي بحثت في تاريخ الممالك الاسبانية كان منها:

- كتاب في تاريخ اسبانيا الاسلامية لمنتغمري وات.

- كتاب موسوعة تاريخ العالم للانجر.
- كتاب تاريخ أوروبا في العصور الوسطى لفيشر.
- كتاب قصة الحضارة لول ديورانت.

وغيرها من الكتب.

هذه هي أهم المصادر والمراجع التي استفدت منها في هذا البحث وسيجد القارىء في نهايته قائمة كاملة بالمصادر والمراجع التي تم الرجوع إليها لذلك جاء هذا التحليل مختصراً جداً على أكثر المصادر والمراجع قيمةً.

الفصل الأول
الأندلس في ظل الموحدين

أولاً: عبور الموحدين للأندلس.

ثانياً: علاقة الموحدين بالامارات الأندلسية.

ثالثاً : التنظيم الحربي عند الموحدين.

الأندلس في ظل الموحدين

تمهيد:

شهد مطلع القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بداية حركة إصلاحية لجمع كلمة المسلمين وحضهم على الجهاد بعد أن حلّ الضعف بالدولة المرابطية نتيجة عوامل عديدة سواء في شمال أفريقيا أو في الأندلس، ولعل ضعف الأمراء الذين تولوا الحكم بعد الأمير علي بن يوسف بن تاشفين* كان في مقدمة الأسباب بالإضافة إلى ظهور نشاط الموحدين في عدوة المغرب.(١)

---

* علي بن يوسف بن تاشفين: وهو ابو الحسن علي بن محمد بن يوسف بن تاشفين اللمتوني الأمير المرابطين في الاندلس (ولد عام ٤٤٧هـ/ وتوفي عام ٥٣٧هـ) . المكناسي: احمد بن القاضي (ت ١٠٢٥هـ) جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس، ق١، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٣م، ص٤٥٩؛ مجهول، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، ط١، تحقيق، د. سهيل زكار وآخرون، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩م، ص٨٤؛ إبن ابي زرع، علي بن عبدالله الفاسي (ت ٧٤١هـ)، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، د.ت، ص١٥٧؛ الناصري، ابو العباس احمد بن خالد (ت ١٢٧٩) الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق جعفر الناصري وآخرون، مطبعة دار الكتب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م، ج٢، ص٦١.

(١) المراكشي، محيي الدين ابي محمد عبدالواحد (ت٦٤٧هـ)، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تعليق محمد سعيد العريان، ط١، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٤٩م، ص١٧٧؛ التطواني، احمد بن محمد الرهواني، تقريب الافصى من كتاب الاستفصا، مطبعة ايديطوربال اسبانو، تطوان، ١٣٤٦هـ، ص٣٠؛ عبدالرحمن الحجي، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطه، ط١، دار القلم، بيروت ١٩٧٦م، ص٤٤٥؛ عبدالعزيز بن عبدالله، تاريخ المغرب في العصر القديم والوسيط، مكتبة السلام، الدار البيضاء، د.ت، ص١١٢ ـ ١١٣.

وكان محمد بن تومرت، مهدي الموحدين، هو مرجع هذه الحركة الإصلاحية التي قامت في بلاد السوس*، وقد قدّر لدعوته أن تسيطر على المغرب العربي وافريقيا وأكثر جزيرة الأندلس(١).

أ - محمد بن تومرت وتاسيس الدولة الموحدية:

أسس دولة الموحدين الفقيه أبو عبدالله محمد بن تومرت** الهرغي المصمودي من بلاد السوس بجبال أطلس، فقد بدأ حياته في طلب العلم، لذلك قام بعبور العدوة واتجه إلى قرطبة حيث لقي عدداً من العُلماء الأندلسيين وأخذ عنهم العلم،

---

* بلاد السوس، وهي مجموعة من المدن الموجودة في اقصى بلاد المغرب. الحميري، ابي عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم (ت ق٩هـ)، الروض المعطار في خبر الاقطار، ط٢، تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م، ص٣٣٠؛ المقدسي، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن ابو بكر البشاري، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، مكتبة خياط، بيروت ١٩٠٦م، ص٢٣١.

(١) المراكشي: المعجب، ص١٧٨؛ المكناسي، جذوة الاقتباس، ق١، ص٢٠٥؛ روجي لي توزنو، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ترجمة د. امين الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٢م، ص١١؛ شفيق محمد الراتب، شعر الجهاد في عهد الموحدين، مكتبة الاقصى، عمان ١٩٨٤م، ص١٢ - ١٣.

** محمد بن تومرت، وهو محمد بن تومرت بن عبدالله المعروف بتومرت ابن عبدالرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن ابي طالب، رضي الله عنه. ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٧٣؛ مجهول، الحلل الموشية، ص١٠٣؛ الزركشي، ابي عبدالله محمد بن ابراهيم (ت ٨٩٤هـ)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، المكتبة العتيقة، تونس، د.ت، ص٤؛ الونشريسي، احمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ)، المعيار المغرب عن فتاوي علماء افريقيا والاندلس والمغرب، اخراج د. محمد حجي، وآخرون، دار الغرب الاسلامي، بيروت ١٩٨١م، ج٢، ص٤٥٥.

ثم توجه في بداية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي إلى بلاد المشرق الإسلامي ودرس على علماء مصر والشام ورحل إلى العراق وسكن النظامية ببغداد واشتغل بالعلم ثم قصد الحجاز وحج وعاد إلى بلاده.(١)

أقبل محمد بن تومرت من المشرق يؤم بلاد المغرب متوكلاً على الله عازماً على إقامة شرائع الله، فكان حيثما حلّ من مدن افريقية وبلاد المغرب يُدَرِّس العلم ويُظهر التقشف والوَرَع والزهد في الدنيا، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر(٢).

إتخذ محمد بن تومرت التوحيد وأظهر دعوته في تينمل* وخرج إلى المسجد فيها وصعد المنبر وخطب الناس وأعلمهم أنه الإمام المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت جوراً. وبعدها دعى الناس إلى بيعته وسمّى كل من بايعه

---

(١) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٧٣؛ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، لبنان، ١٩٧١م، ج٦، ص٢٢٥؛ الكتبي، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ)، عيون التواريخ، تحقيق، د. فيصل السامر وآخرون، منشورات وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٧م، ج١٢، ص١٠٤.

(٢) مجهول، الحلل الموشية، ص١٠٤؛ ابن ابي الدينار، محمد بن ابي القاسم (ت ١١١٠هـ)، المؤنس في اخبار افريقيا وتونس، ط٣، دار المسيرة، بيروت، ١٩٩٣م، ص١٣٦؛ السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١هـ)، لب الالباب في تحرير الانساب، ط١، تحقيق محمد احمد عبدالعزيز، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩١، ج٢، ص٢٥٩؛ القرافي، بدر الدين (ت ٩٤٦هـ)، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، ط١، تحقيق، احمد الشتيوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت ١٩٨٣، ص٢٤٤.

* تينمل: وتكتب تينمال وتينملل وتين ملل، وهي قرية بجنوب المغرب الأقصى، وتقع على جبل عالٍ، إذا كان فصل الشتاء صَعُبَ الصعود إليها، وبها يقع قبر المهدي بن تومرت، وعبدالمؤمن بن علي وابنه يوسف. ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص١٤٩؛ مجهول، الاستبصار، ص٢٠٨؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص٥.

ودخل في طاعته بالموحدين[١]. واتخذ لنفسه لقب المهدي.

بدأ ابن تومرت بتقوية سلطانه في بلاد المغرب والأندلس وبعث طلبته* إلى البلاد القاصية والدانية لنشر دعوته التي أصبحت فيما بعد قوتها تضاهي قوة دولة المرابطين، فقد سيطر على عدد من المدن المغربية ودانت له بعض القبائل التي كان منها قبيلة المصامدة وكدميوه وغيرها[٢].

---

(١) ابن تومرت، محمد بن عبدالله (ت ٥٢٤هـ)، أعز ما يطلب، تحقيق، د. عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٥، ص٢٢٥؛ الغرناطي، ابي يحيى محمد بن عاصم (ت ٨٥٧هـ)، جنة الرضى في التسليم لما قدر الله وقضى، تحقيق د. صلاح جرار، دار البشير، عمان ١٩٨٩، ج١، ص١٨٩؛ ابن خلدون، العبر،ج٦، ص٢٢٩؛ ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٧٦؛ المراكشي، المعجب، ص١٧٨م؛ الكتبي، عيون التواريخ، ص١٠٧.

* الطلبة، وهم الوحدات التي اقام عليها ابن تومرت تنظيمه، ومهمتهم تبليغ الدعوة. ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٧٦ - ١٧٧؛ ابن جبير، ابو الحسين محمد بن احمد (ت ٦١٤هـ)، رحلة ابن جبير، ط٢، دار صادر، بيروت ١٩٨٨م، ص٥٥.

(٢) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٧٨؛ مجهول، الحلل الموشية، ص١١؛ ابن ابي الدينار، المؤنس، ص١٣٦؛ البيذق، ابي بكر بن علي الصنهاجي، اخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور، الرباط، ١٩٧١، ص٧٤؛ ضياء باشا، الاندلس الذاهبة، ط١، تعريب عبدالرحمن ارشيدات، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٨٩م، ج٢، ص٣٥؛ فليب حتي، تاريخ العرب، ط٤، دار الكشاف للنشر، بيروت ١٩٦٥م، ج٢، ص٦٤٩؛ عبدالله كنون، النبوغ المغربي في الادب العربي، ط٣، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٥م، ص١٠٧؛ محمد المنوني، حضارة الموحدين، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٩، ص١٣٠؛ الحجي، التاريخ الاندلسي، ص٤٥٦.

Levi Provencal: Extrits Des Historiens Arabes Du Maroc. Paris1948. P.39, Rogen le Tourneau: The Almohad Movement In North Africa, New Jersey 1969.P.3.

وفي سنة ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م أصاب محمد بن تومرت المرض ولم يزل يشتد عليه حتى توفي يوم الخميس الخامس والعشرين من رمضان من السنة نفسها(١).

ب ـ عبدالمؤمن بن علي وتوطيد أركان دولة الموحدين:

بعد وفاة محمد بن تومرت تولى أمر الموحدين عبدالمؤمن بن علي* الكومي** الذي كان متميزاً عن بقية الموحدين واختياره من قبل ابن تومرت كإمام للصلاة أثناء مرضه، كما وزعم عبدالمؤمن بن علي أن ابن تومرت قد استخلفه من بعده.(٢)

على الرغم من الخلاف الذي وقع بين شيوخ الموحدين إلا أنه تمت البيعة الخاصة لعبد المؤمن بن علي في الرابع عشر من رمضان عام ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م

---

(١) البيذق، اخبار المهدي، ص٨٠؛ ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٧٩.

* عبدالمؤمن بن علي، ابو محمد عبدالمؤمن بن علي بن يعلا بن مروان بن نصر بن عامر بن أمير بن موسى بن عون بن يحيي بن يرزايغ بن حطفور بن مطماط بن هود بن مادغيس بن بر بن قيس بن عيلان بن نزار بن معد بن عدنان. ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٨٣؛ مجهول، الحلل الموشية، ص١٤٢؛ ابن خلدون، ابن زكريا يحيى (ت ٧٣٧هـ)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبدالواد، تحقيق د.عبدالحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر ١٩٨٠م، ص١٧٠.

** كوميَّه، نسبة الى كوميَّة وهي احدى القبائل النازلة بساحل البحر من اعمال تلمسان. المكناسي، جذوة الاقتباس، ص٤٤٧؛ ابن تغري بردي، جمال الدين (ت ٨٧٤هـ). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط١، تحقيق محمد حسين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م، ج٥، ص٣٤٥.

(٢) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٧٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣٤٥؛ الحجي، التاريخ الاندلسي، ص٤٥٧.

وبويع البيعة العامة في يوم الجمعة العشرين من ربيع الأول سنة ٥٢٦هـ/ ١١٣٢م.[١]

ومع مجيء عبدالمؤمن بن علي بدأت مرحلة جديدة من حياة الموحدين وتحولت حركتهم من حركة دينية إلى حركة سياسية ونواة لدولة سُمّيت فيما بعد دولة الموحدين.

استأنف عبدالمؤمن بن علي السيطرة على مدن المغرب العربي واتبع العديد من الوسائل للقضاء على دولة المرابطين فقد هاجم في عام ٥٢٦هـ/ ١١٣٢م مدينة مراكش، ثم ارتد عنها لحصانتها، وتابع طريقه نحو بلاد السوس لأخذ طاعتها له وقتل (كل معترض لطريقه وممتنع عن طاعته).[٢]

ومع تنامي قوته أصبح يُخطب له بالمنابر، واتخذ لنفسه لقب أمير المؤمنين.[٣]

ومع نجاح عبدالمؤمن بن علي من توطيد حكمه على بعض القبائل المغربية بدأ بمهاجمة معاقل الدولة المرابطية واستمرت المعارك بين الطرفين دون أن يترتب عليها نتائج حاسمة في أول الأمر، إلا أن تعرض دولة المرابطين في هذه الفترة للاضطرابات الداخلية ساعد الموحدين من مواصلة انتصاراتهم، حيث استطاعوا

---

(١) ابن القطان، ابو الحسن الكتاني (ت ٦٢٨هـ)، نظم الجمان، تحقيق، د. محمود علي مكي، الرباط، د.ت، ص١٦٨.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، تعليق، احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧م، ج٤، ص ٩٤؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص٢١٠.

(٣) مجهول، الحلل الموشية، ص١٣٠؛ ابن ابي الدينار، المؤنس، ص١٣٧.

السيطرة في عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٦م على مدينة فاس*.[١]

وفي سنة ٥٤١هـ/١١٤٧م سيطر الموحدون على مدينة مراكش وبعدها تابعت القوات الموحدية السيطرة على المدن المغربية الواحدة تلو الأخرى. ففي عام ٥٥٤هـ/ ١١٦٠م سيطرت القوات على مدينة تونس وفي عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م على مدينة المهدية.[٢]

ومع هذه الأحداث قام عبدالمؤمن بن علي بتوحيد بلاد المغرب لأول مرة منذ

---

(١) ابن الابار، ابو عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٦٥٨هـ) الحلة السيراء، ط١، تحقيق حسين مؤنس، الشركة القومية للطباعة، القاهرة ١٩٦٣م، ص٢٣٦؛ القلقشندي، احمد بن علي (ت ٨٢١هـ) قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ط٢، تحقيق ابراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٢م، ص١٦٩؛ د. عبدالله علي علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبدالمؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٨م، ص٤٤؛ ابرهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، المجلد الاول، ط١، دار السلمي للتاليف والنشر، الدار البيضاء، ١٩٦٥م، ص٢٦٣.

* فاس، وهي مدينة عظيمة ومن القواعد المغربية الهامة. الحميري، الروض المعطار، ص٤٣٤؛ البكري، (ت ٤٨٧هـ)، جغرافية الاندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، ط١، تحقيق، د. عبدالرحمن الحجي، دار الارشاد، بيروت ١٩٦٨م، ص١١٥؛ الادريسي، ابي عبدالله محمد بن محمد (ت ق٦هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د.ت، ص٧٥؛ القزويني، زكريا بن محمد (ت ٦٨٢هـ)، اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، بيروت د.ت، ص١٠٢؛ ابن الخطيب، لسان الدين السلماني (ت ٧٧٦هـ)، معيار الاخبار في ذكر المعاهد والديار، دراسة محمد كمال شبانه، المعهد العلمي، الرباط، ١٩٧٧، ص١٠٢.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٣٨؛ مجهول، الحلل الموشية، ص١١٥.

الفتح العربي وأصبحت دولة الموحدين في أقصى اتساعها من برقة* شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ومن الصحراء الكبرى وغانه جنوباً إلى بلاد الأندلس شمالاً.(١)

جـ - الاستغاثات الأندلسية بالموحدين:

مُنيت الدولة المرابطية في الأندلس بهزائم متكررة أمام جيوش الممالك المسيحية في الشمال، وبدأت تفتك بأطرافها حين علموا عجز الإمارة بالمغرب عن الدفاع عن نفسها، ويذكر أنه خلال فترة ضعف المرابطين قامت جيوش الممالك المسيحية بامتلاك العديد من المدن الأندلسية التي كان منها شنترين** وباجة*** وماردة****

* بُرقة، مدينة كبيرة قديمة بين الاسكندرية وافريقية. الحميري، الروض المعطار، ص٩١؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ص٣١؛ البكري، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، دار عالم الكتب، بيروت د.ت، ص٢٤٢؛ البغدادي، صفي الدين بن عبدالحق (ت ٧٣٩هـ). مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٥٤م، ج١، ص١٨٦.

(١) هشام ابو رميله، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الاسلامية في الاندلس، ط١، دار الفرقان، عمان ١٩٨٤م، ص٦٧.

** شَنترين (Santarem) وهي مدينة على جبل عالي من كور باجة. الحميري، الروض المعطار، ص٣٤٦؛ المقدسي، احسن التقاسيم، ص٢٤٧.

*** باجَه(Beja)، تسمى باجه القمح وهي قريبة من قرطبة. الحميري، الروض المعطار، ص٧٥؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ١٩٥٥م، ج١، ص٣١٤؛ ياقوت الحموي، المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، عالم الكتب للطباعة، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٧٣؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس، تحقيق احمد مختار العبادي، معهد الدراسات الاسلامية، مدريد ١٩٧١م، ص١٤٦.

**** ماردَة (Merida)، من احواز قرطبة. الحميري، الروض المعطار، ص٥١٨.

وأشبونه* والمرية** وبياسة*** وجميع ولاية جيان**** وطرطوشة (Tortosa) وسائر المعاقل المجاورة لها.(١)

ونتيجة لهذه الاضطرابات الواقعة في الأندلس قامت العديد من الزعامات المحلية بالانفصال عن دولة المرابطين وقام بعض المتمردين بإعلان استقلالهم عن المغرب ونجح بعضهم من تكوين إمارات تابعة لهم تشابه الإمارات التي ظهرت في عصر الطوائف.(٢)

* اشبُونه (Lisbonne)، وهي من كور باجه، على طريق العساكر. الحميري، الروض المعطار، ص٦١.

** المريَّة (Al meria) من اشهر المراسي الاندلسية. الحميري، الروض المعطار، ص٥٣٧؛ ابن الخطيب، معيار الاخبار ص١٩، القلصادي، ابي الحسن علي (ت ٨٩١هـ)، رحلة القلصادي، تحقيق محمد ابو الجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ١٩٧٨م، ص١٦١.

*** بِيَاسَّه (Beza)، وهي مدينة مطلة على النهر الكبير. الحميري، الروض المعطار، ص١٢١.

**** جِيان (Jean) وهي مدينة كثيرة الخصب على سفح جبل عال. الحميري، الروض المعطار، ص١٨٣.

(١) مجهول، الحلل الموشية، ص١٢٠؛ ابن الابار، ابو عبدالله محمد (ت٦٥٨هـ)، المعجم، مطبعة روخس، طبع مدينة مجريط، ١٨٨٥م، ص١٥٥؛ المقَّري، احمد المالكي الاشعري، ازهار الرياض في اخبار عياض، تحقيق سعيد احمد، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٨٠م، ج٥، ص١٧١.

(٢) ابو رميله، علاقات الموحدين، ص١٩٦؛ د. خليل ابراهيم السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، مديرية دار الكتب، الموصل، العراق، ١٩٨٦م، ص٢٦٢؛
Bernard Lewis: The World Of Islam, London, 1976, P. 234.

ولقد أفاض ابن الخطيب[1] في وصف الحال التي وصلت إليه الأندلس خلال هذه الفترة بقوله: «ولما اضطرب أمر لمتونة بالأندلس وضعفوا كثرت الفتن والثورات، إغتنم العدو ذلك، فاستولى على البلاد واشتهر ظهور الدولة المؤمنية والطائفة المهدية بالمغرب، افتتحوا دار الملك بمراكش واستأصلوا أرباب الأمر، تعلقت آمال المسلمين بهم، واستصرخهم الناس، وثاروا بمن ببلادهم من المرابطين سُوء جوار، وحباً في الأدلة وتبديل الملوك وقلَّ أن رأو أياله أنفع أو أجدى في قتال العدو من لمتونة، فأجابهم صاحب الدعوة الأمير عبدالمؤمن بن علي».

ونظراً للأوضاع السائدة في الأندلس من ضعف، وتكالب الاسبان على المدن الأندلسية، عبر العديد من أهل الأندلس إلى المغرب العربي يُرافقهم العلماء والفقهاء والقضاة وبعض الشخصيات الأندلسية طالبين العون من الأمير الموحدي عبدالمؤمن بن علي.[2]

---

(١) ابن الخطيب، لسان لدين السلماني (ت ٧٧٦هـ)، اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، ط٢، تحقيق وتعليق، ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦م، ص٢٦٥.

(٢) القلقشندي، احمد بن علي (ت ٨٢١هـ)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ط١، تعليق نبل خالد الخطيب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٨٧، ج٥، ص٢٥٠؛ الدواداري، ابي بكر بن عبدالله بن ايبك، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق هانس روبرت رويمر، مطبعة لجنة التاليف، القاهرة، ١٩٦٠م، ج٩، ص٤٣؛ ابن الحجاج النميري، (ت٧٧٤هـ)، فيض العباب وافاضة قداح الاداب في الحركة السعدية الى قسنطينة والزاب، دراسة د. محمد بن سقرون، الرباط، ١٩٨٤، ص٩١؛ السليماني، ابن عبدالله، اللسان المغرب عن تهافت الاجنبي حول المغرب، مطبعة الامينة، الرباط ١٩٧١م، ص٥٠؛ جوليان، شارل اندري، تاريخ افريقيا الشمالية، ط٢، تعريب، محمد مزالي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٣م، ج٢، ص١٣٧؛ د. عصمت عبدالطيف دندش، الاندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، عصر الطوائف الثاني، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت ١٩٨٨م، ص١٠٤.

كان في مقدمة المتصلين بالموحدين في المغرب من أهل الأندلس علي بن عيسى ابن ميمون قائد الأسطول المرابطي في مدينة قادش*، الذي قدِمَ إلى الأمير عبدالمؤمن بن علي أثناء حصاره لمدينة فاس عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م وقدَّم إليه الطاعة، وعاد إلى الأندلس وخطب للموحدين بجامع قادش حيث اعتبرت هذه الخطبة الأولى التي يدُعي للموحدين فيها بجزيرة الأندلس[١].

كان لانضمام القائد المرابطي علي بن عيسى للموحدين دور في تسهيل مهمة عبور الموحدين من المغرب عبر البحر إلى الأندلس.

وفي عام ٥٤١هـ/١١٤٦م كان الأمير عبدالمؤمن بن علي محاصراً لمدينة مراكش**، فوفد عليه وفد من زعماء الأندلس بقيادة أبو الغمر بن عزون حاكم مدينة شريش***، الذي قدَّم الطاعة والولاء للموحدين، وتقديراً لذلك أطلق

---

* قادِس (Gadiz): وهي جزيرة بالاندلس طولها من القبلة الى الجوف اثنا عشر ميلاً. الحميري، الروض المعطار، ص٤٤٨؛ القزويني، اثار البلاد، ص٥٥٠؛ البكري، جغرافية الاندلس، ص٦٥.

(١) ابن عذاري، ابو العباس احمد (ت ٧١٢هـ)، البيان المغرب في اختصار اخبار ملوك الاندلس والمغرب، ق٣، تاريخ الموحدين، دار كريماديس للطباعة، تطوان، ١٩٦٠م، ص٣٤؛ ابن غازي، ابي عبدالله محمد العثماني، (ت ٩١٩هـ)، الروض الهتون في اخبار مكناسة الزيتون، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٤م، ص١٥ ـ ١٦؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٣٣.

** مراكش: وهي من مدن المغرب الاقصى بناها يوسف بن تاشفين عام ٧٤٠هـ. الحميري، الروض المعطار، ص٥٤٠، القزويني، اثار البلاد، ص١١١؛ ابن الخطيب، معيار الاخبار، ص٤٥.

*** شَريشْ (Jerez): من المدن الحصينة التابعة لكورة شذونة بالاندلس. الحميري، الروض المعطار، ص٣٤٠.

الموحدون على أهل شريش (بالسابقين الأولين). [١]

ويذكر ابن أبي زرع أنه[٢]: «كان ملوك الموحدين إذا قدم عليهم وفود الأندلس من كل سنة، أول من ينادي من أهل البلاد، أهل شريش فيقال لهم: أين السابقون أهل شريش يدخلون للسلام، فإذا سلّموا وقضيت حاجاتهم إنصرفوا، فحينئذ يدخل غيرهم».

ومن الوفود التي قدمت إلى المغرب العربي لتبايع الأمير عبد المؤمن بن علي وهو محاصراً لمراكش جماعة من أهل الأندلس منهم أبو جعفر أحمد بن محمد بن حمدين* ومعهم كتاب يتضمن بيعة أهل الأندلس لعبدالمؤمن، ودخولهم في زمرة أصحاب الموحدين، والتزامهم الطاعة، وتضمن هذا الكتاب أسماء القوم الذين بايعوه في الأندلس، فقبل عبدالمؤمن طاعتهم وشكر هجرتهم وطيب قلوبهم. [٣]

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب،ق٣، ص٢٢، ٢٧؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٠٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣٤٥؛ ابن قاضي شهبة، (ت ٨٧٤هـ)، الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق، د. محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧١م، ص١٢٢.

(٢) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٨٨.

* احمد بن محمد بن حمدين، وهو احد قضاة قرطبة، استقل بها بعد ثورته على المرابطين سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م، توفي سنة ٥٤٦هـ/ ١١٥١م، الضبي، (ت ٥٩٩هـ)، بغية الملتمس من تاريخ رجال اهل لاندلس، ط١، تحقيق ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري، القاهرة ١٩٨٩م، ج١، ص٣٤٣؛ ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مجلد ١، ص٢٧١.

(٣) النويري، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب، (ت ٧٣٣هـ)، نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق د. محمد جابر عبدالعال وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤م، ج٢٢، ص٣٠٠؛ ابن الاثير، ابي الحسن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، ط١، تحقيق محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م، ج٩، ص٣٤٣.

كان لحُسن استقبال عبدالمؤمن بن علي لوفود الأندلس، وحكام المدن الأندلسية دوراً كبيراً في استمرار توافد الوفود الأندلسية إلى المغرب تحمل الدعوات الرسمية والشخصية وتتسابق في تقديم الطاعة للموحدين باعتبارهم المنقذين لهم بعد نهاية دولة المرابطين وقد قال المراكشي(١) في ذلك: «وتشوّق إليهم أعيان الأندلس فجعلوا يفدون في كل يوم عليهم ويتنافسون في الهجرة إليهم».

وفي عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م عندما كان الأمير عبدالمؤمن بن علي محاصراً لمدينة سلا* وفد عليه خمسمائة فارس من الخطباء والفقهاء والقضاة والقادة من أهل الأندلس كان من بينهم قاضي مدينة اشبيلية أبو بكر بن العربي وقاضي قرطبة أبو القاسم بن الحاج وغيرهم من أعيان الأندلس.(٢)

وقد ذكر صاحب كتاب الحلل الموشية جماعة من القادمين كان منهم: (الخطيب أبو عمر وابن مجاج والكاتب أبو بكر بن الجد وأبو الحسَن الزهري وأبو الحسن بن صاحب الصلاة وأبو بكر بن السجرة والباجي والهوزين وابن القاضي شريح وعبدالعزيز الصدفي وابن السيد وابن الزاهر وغيرهم).(٣)

---

(١) المراكشي، المعجب، ص١٨٠.

* سَلا: وهي مدينة منيعة من مدن المغرب على ضفة البحر. الحميري، الروض المعطار، ص٣١٩.

(٢) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٩٢؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١١٩؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص٩؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ)، العبر في خبر من غبر، تحقيق، ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت، ج٣، ص١٢٥؛ ابن غازي، ابي عبدالله محمد العثماني، (ت ٩١٩هـ)، الروض الهتون في اخبار مكناسة الزيتون، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٤م، ص١٥ ـ ١٦.

(٣) مجهول، الحلل الموشية، ص١٤٧.

وبعد أن قدم هذا الوفد من أعيان الأندلس الطاعة والولاء للموحدين، قبلت بيعتهم وأنعم عليهم الأمير عبدالمؤمن بن علي بالجوائز والإقطاعات وكتب لهم منشوراً بتحرير أملاكهم وانصرفوا عائدين إلى الأندلس.

وترد إشارات إلى مرافقة بعض نساء الأندلس للوفود المبايعة، فيذكر أنه في عام ٥٥٣هـ/ ١١٥٩م رافق وفد الأندلس الأديبة حفصة المعروفة بابنة الحاج الركونية* من أديبات غرناطة التي وقفت بين يدي الأمير عبدالمؤمن بن علي وأنشدت:

يا سيِّد الناس يا من ... يؤمل الناس رفده
أمنِنْ عَلَيَّ بِطرْسٍ ... يكون للدهر عُدَّه
تَخُطُّ يُمناك فيه ... الحمدُ لله وَحْدُه

ونتيجة لقدوم الوفود المبايعة والمستغيثة بالموحدين، بدأ الأمير الموحدي عبدالمؤمن بن علي بالتفكير في بعث الجيوش الموحدية إلى الأندلس وضمها إلى حضرة الدولة الموحدية.

وقبل أن يجازف الأمير الموحدي بجنده، كان يقوم باستدعاء العلماء والفقهاء وبعض أعيان الأندلس ويسألهم ويستوضح منهم عن أحوالهم ويوصيهم بما إليهم منها ويودعهم.

---

* وهي احد اديبات غرناطة، شاعرة عاشت في البلاط الموحدي، توفيت في مراكش سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٢م). الزركشي، تاريخ الدولتين، ص٩؛ ابن سعيد الاندلسي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، د.ت، ج٢، ص١٣٨؛ انخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الاندلسي، تعريب حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص١٢٧ ـ ١٢٨؛ عمر كحالة، اعلام النساء، ج١، ص٢٦٧ ـ ٢٧١.

فيذكر أنه خلال اجتماع الأمير عبدالمؤمن بن علي مع قاضي قرطبة أبي القاسم ابن الحاج وساله عن أوضاع الأندلس كانت إجابته: «يا أمير المسلمين إن الفنش دمره الله قد أضعفها».[(١)]

أولاً : عبور الموحدين إلى الأندلس:

ورث الموحدون دولة المرابطين في المغرب والأندلس عام (٥٤٠هـ/ ١١٤٦م) ووصلت دولتهم مستوىً عالٍ من القوة التي كان لها الفضل في حماية الأراضي الإسلامية في الأندلس من هجمات الممالك المسيحية في الشمال ومن التفتُّت في إمارات ودول طوائف مرة أخرى.

تمثَّل العبور الموحدي إلى الأندلس على مراحل هي مرحلة عبور الجيش الموحدي والمرحلة الأخرى مرحلة عبور الأمراء الموحدين إلى الأندلس بعد تثبيت أركان الدولة الموحدية في المغرب.[(٢)]

أ - عبور الجيش الموحدي إلى الأندلس:

كان أول جيش بعثه الموحدون إلى الأندلس بصحبة زعيم غربي الأندلس أحمد بن قسي* الذي عبر إلى المغرب (٥٣٨هـ/ ١١٤٤م) ونزل

---

(١) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٩٢؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١١٩ ـ ١٢٠.

(٢) حسين عبدالرحيم سليم مصطفى، دور عبدالمؤمن بن علي الكومي في نشر دعوة ابن تومرت واقامة دولة الموحدين في المغرب والاندلس (٥١٠ ـ ٥٥٨هـ)، رسالة دكتوراة، الجامعة الاردنية، عمان، ١٩٩٣م، ص٥٧.

* احمد بن قسي: وهو احد الثائرين على حكم المرابطين في الاندلس، قام بمجموعة ثورات في مدينة شلب، ولبلة ومرتلة في عام ٥٣٨هـ/ ١١٤٢م. ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٢٤٩؛ ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مجلدا، ص٢٧٢.

سبتة* وقابل الأمير عبدالمؤمن واعتذر منه ودعى الأمير لعبور الأندلس وإقصاء المرابطين الباقين، وتلبية لمطلبه انصرف إلى الأندلس بعسكر من الموحدين الذي وصفته المصادر العربية الإسلامية بـ (أول عساكرهم وباكورة تغلبهم).(١)

وبعد استقرار أوضاع المغرب ومسك الأمير عبدالمؤمن بن علي لزمام الحكم فيها بدأ بتوجيه الجيوش الموحدية إلى الأندلس كتلبية لطلب وفودها التي استنجدت به للقضاء على نزاع الزعامات (أمراء الطوائف الثانية) وتحرير ثغورها من سيطرة الممالك الإسبانية.(٢)

وبعد افتتاح الأمير عبدالمؤمن بن علي لمدينة تلمسان** (٥٣٩هـ/ ١١٤٥م) قرر إرسال ثلاثة من الجيوش الموحدية إلى الأندلس مسنداً قيادة الجيش الأول للقائد بدران بن محمد المسوفي والجيش الثاني بقيادة القائد موسى بن سعيد والجيش الثالث بقيادة القائد عمرو بن صالح الصنهاجي، وقد بلغ عدد أفراد هذا الجيش عشرة آلاف فارس (١٠،٠٠٠) وعشرين ألف راجل (٢٠،٠٠٠) وأمرهم بعبور الأندلس.(٣)

---

* سَبْتَه: وهي مدينة عظيمة على الخليج الرومي، مقابلة للجزيرة الخضراء، ويحيط بها البحر من ثلاثة جهات ما عدى جهة الغرب. الحميري، الروض المعطار ص٣٠٣؛ ابن الخطيب، معيار الاخبار، ص٣٨.

(١) ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٠٠؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٢٥١؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٣٣؛ الجزنائي، جنى زهرة الأس في مدينة فاس، ص٣٩.

(٢) د. عصمت دندش، الاندلس في نهاية المرابطين، ص٤٥.

* تلمُسَان، وهي مدينة عظيمة على سفح جبل، قاعدة المغرب الاوسط. الحميري، الروض المعطار، ص١٣٥؛ البكري، جغرافية الاندلس، ص٧٦.

(٣) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٨٨؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٠٤.

عبرت هذه الجيوش على متن الأسطول الموحدي بالاضافة إلى الأساطيل التي قدمها قائد مدينة قادس علي بن عيسى بن ميمون الذي سهَّل مهمة عبور الموحدين عبر البحر إلى الأندلس.(١)

استطاعت هذه القوات الموحدية من إخضاع مدن الجنوب أمثال جزيرة طريف* التي دخلها القائد موسى بن سعد في ذي الحجة ٥٣٩هـ/ ١١٤٥م والجزيرة الخضراء** التي دخلتها القوات الموحدية في يوم النحر من السنة نفسها، ومدينة شريش التي أعلنت ولاءها للموحدين وقام حاكمها أبو الغمر بن عزون بمدهم بثلاثمائة فارس (٣٠٠) من عنده.(٢)

توجهت بعد ذلك الجيوش الموحدية نحو مدينة اشبيلية (Sevilla) التي إمتنعت عن الطاعة للموحدين الأمر الذي دفعهم إلى تشديد الحصار عليها واقتحامها في شهر شعبان من عام ٥٤١هـ/ ١١٤٧م وإبادة القوات المرابطية فيها.(٣)

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٢٢؛ النويري، نهاية الارب، ج٢٤، ص٣٠٠؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٢٥٤.

* جزيرة طريف(Tarifa): وهي جزيرة على البحر الشامي عليها سور ترابي. الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٢؛ الدمشقي، شمس الدين ابي عبدالله الانصاري (ق ٧هـ)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، لايبزك، ١٩٢٣م، ص٢٤٣.

** الجزيرة الخضراء (AL geciras): ويقال لها جزيرة ام حكيم، على ربوة مشرفة على البحر. الحميري، الروض المعطار، ص٢٢٣؛ الدمشقي، نخبة الدهر، ص٢٤٣.

(٢) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٨٨؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٠٤.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج١١، ص٤٧؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٠٥؛ النويري، نهاية الارب، ج٢٤، ص٣٠١.

S.M. Imamuddin: Apolitical History of Muslim Spain, Pakistan, 1969. P. 271.

وفي عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م دخلت القوات الموحدية بقيادة القائد أبي زكريا يحيى ابن يومور ومعه جيش بلغ اثنا عشر ألف فارس مدينة قرطبة (Cordoba) وقام حاكمها يحيى بن علي بن غانية بالتعاون مع الموحدين للتخلص من خطر مملكة قشتالة التي كانت قد حاصرتها لمدة ثلاثة أشهر بقيادة ملكها الفونسو السابع (Alfonso VII) في أربعين ألف فارس، ورحل عنها عندما علم بمجيء القوات الموحدية لها.(١)

تابعت القوات الموحدية السيطرة على مدن وسط الأندلس أستجة (Ecija) وجيان (Jean) وأبذة (Ubeda) وبياسة (Baeza) وقرمونة (Carmona) وبعض الحصون أشير وأركش وبرشانة ومليانة.(٢)

تمردت في هذه الفترة (٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) مدينة اشبيلية مرة أخرى وانهزمت الحامية الموحدية فيها، وعندما وصلت الامدادات التي أرسلها الأمير عبدالمؤمن استطاعت القوات الموحدية من السيطرة عليها مرة أخرى وعلى معظم المدن المجاورة لها.(٣)

وفي عام ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م سيطرت القوات الموحدية على مدينة مالقة* بعد أن ثار سكان المدينة على حاكمها أبو الحكم بن حسون وقتلوه لأنه أراد التعاون مع جند الممالك المسيحية لرد الموحدين.(٤)

---

(١) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٩١؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٣٥؛ النويري، نهاية الارب، ج٢٤، ص٣١٠.

(٢) ابن ابي الدينار، المؤنس، ص١١١؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٠٩؛ ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٩٣.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٣٤؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٣٤.

* مالقه (Malga) وهي مدينة بالاندلس على شاطيء البحر. الحميري، الروض المعطار، ص٥١٧؛ ابن بطوطه، محمد بن عبدالله اللواتي (ت ٧٧٠هـ)، تحفة النظار في غرائب الامصار، ط١، شرح طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م، ص٦٦٩.

(٤) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٢٥٥.

وفي يوم الخميس الرابع عشر من شعبان عام ٥٤٩هـ/ ١١٥٥م توجهت القوات الموحدية إلى مدينة لبلة* التي امتنعت وقاومت الموحدين، حيث قام قائدهم يحيى بن يومور بمحاصرتها حصاراً شديداً حتى دخلها عنوة، فأخرج أهلها إلى خارجها وصفهم صفوفاً، ثم أمر بقتلهم جميعاً، وكان من بين القتلى جماعة من فقهائها منهم الفقيه أبو الحكم بن بطال المحدث والفقيه الصالح الفاضل أبي عامر ابن الجد، وبلغت حصيلة القتلى ثمانية الاف رجل وبيعت نساؤهم وأبناؤهم جميعاً وسُلبت أموالهم وأمتعتهم، الأمر الذي لم يرضي عبدالمؤمن بن علي حيث امر باعتقال القائد يحيى بن يومور وإعادته للمغرب لينال جزاءَه.(١)

وفي سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م دخل الجيش الموحدي بقيادة أبي سعيد إبن عبدالمؤمن والقائد عبدالله بن سليمان قائد الأسطول بسبتة، مدينة غرناطة (Grenada) بعد إعطاء حاكمها ميمون بن بدر اللتموني الأمان وخُطِبَ بها للأمير عبدالمؤمن بن علي.(٢)

بعد ذلك تابعت القوات الموحدية مسيرها نحو مدينة المرية (Almeria) التي كانت قد ملكتها قوات الممالك المسيحية في الشمال عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م.(٣)

---

* لِبْلة (Niebla): وهي مدينة في غرب الاندلس كثيرة الخيرات، تعرف بالحمراء. الحميري، الروض المعطار، ص٥٠٨؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس، ص١٤٥؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٥.

(١) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٩٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص ٢٣٥.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٣٢؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٠٦.

(٣) النويري، نهاية الارب، ج٢٤، ص٣٠٩؛ المقري، احمد المالكي الاشعري، نفح الطيب، مراجعة وزارة المعارف العمومية، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ١٩٣٦م، ج١، ص٣١٧، مراجع الغناي، قيام دولة الموحدين، ط١، المكتبة الوطنية، بنغازي، ١٩٧١م، ص١١٥؛ السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة اسطول الاندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٨٤م، ص٩٥.

وصلت القوات الموحدية بقيادة أبي سعيد عثمان بن عبدالمؤمن والشيخ أبي حفص بالقرب من مدينة المرية ونزلت القوات على الجبل المُشرف عليها، وبُنيَ سوراً على الجبل إلى البحر وعُمل عليه خندقاً فصارت المدينة والحصن الذي فيه الفرنج -جيش مملكة قشتالة- محصوراً بين السور والجبل ولايمكن أن يصلها من يُنجدها.(١)

ويذكر أن الأمير عبدالمؤمن بن علي قام باستنفار القبائل المغربية لمساعدة الجيش المحاصر لمدينة المرية، وأمر بإنشاء الأساطيل في سواحل العدوة والأندلس التي بلغ عددها زهاء مائتي قطعة، ويقول ابن صاحب الصلاة وهو معاصراً للحدث(٢): «وقفت عليها وعددتها بالمرسى، وأمر - عبدالمؤمن بن علي - بكتب الرجال والرؤساء الأبطال لعمارتها والقيام بحمايتها والنظر في آلاتها».

حاول ألفونسو السابع (السليطين) تحرير مدينة المرية لكنه لم يقدر، فقلت الأقوات على من فيها، وطلبوا الأمان من القائد أبي سعيد بن عبدالمؤمن الذي أمّنهم وتسلّم الحصن منهم معيداً المرية إلى حكم الموحدين في الأندلس بعد أن سيطر الإسبان عليها مدة عشر سنين (من ٥٤٢هـ/١١٤٧م - ٥٥٢هـ/١١٥٧م).(٣)

ولإعادة مدينة المرية أهمية عند الموحدين كونها أول لقاء بين الموحدين والممالك المسيحية المتمثلة بجيوش مملكة قشتالة.

بعد تحرير المرية عام ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م توجهت القوات الموحدية إلى مدينة

---

(١) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٩٤؛ المراكشي، المعجب، ص٢١١.

(٢) عبدالملك ابن صاحب الصلاة، (ت ٥٩٤هـ)، المن بالامامة، ط٣، تحقيق عبدالهادي التازي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٧م، ص١٤٧.

(٣) النويري، نهاية الارب، ج٢٤، ص٣١٠؛ سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٩٧.

غرناطة مرة أخرى، بسبب خروجها عن الطاعة، وقامت بقتل العامل الموحدي فيها بعد أن تعاونت مع أمير شرق الأندلس محمد بن سعد بن مردنيش وحليفه إبراهيم ابن همشك والبار ريد ريكيز (الأقرع النصراني)*.

إستطاعت القوات الموحدية من إعادة مدينة غرناطة وفتحها عنوة في سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م وهرب منها من كان بها من جيوش أمير شرقي الأندلس ومن عاونهم.[١]

وفي سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦٢م تابعت القوات الموحدية السيطرة على مدن غرب الأندلس، بطليوس (Badajoz)، وشلب (Silves)، وباجة (Beja)، ويابرة (Evora) وحصن القصر بكل سهولة.[٢]

ب - عبور الأمراء الموحدين إلى الأندلس:

بعد أن تم فتح مراكش في المغرب وإشبيلية (Sevilla) في الأندلس وهدأت الأوضاع بالمغرب إزداد اهتمام الموحدين وعنايتهم بالأندلس، وأمر الأمير عبدالمؤمن ابن علي ببناء مدينة على جبل طارق (Gibralta) وتحصينها، لذلك تولى بناءها السيد أبي سعيد عثمان بن عبدالمؤمن صاحب غرناطة، وجمع أمهر المهندسين

---

* وهو القائد النصراني الفادرو دويكينث (Alvar Rodriguez) اباد كثيراً من أهل الاندلس، قتله الموحدين قرب غرناطه في عام ٥٥٧هـ، البيذق، اخبار المهدي، ص٨٠، هامش ١.

(١) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٩٦؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٣٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٣٣، ٤٩؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٠٦.

(٢) ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٠٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٣١؛ ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٢٠٠.

والبنائين، كان من بينهم الحاج يعيش المهندس* والعريف أحمد بن باسة الذي كان له الفضل في جمع البنائين ومن يعاونهم، وبدأ البناء بسيف البحر حيث قاموا ببناء القصور المشيَّدة والمنازل.(١)

وفي سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦١م تحرك الأمير عبدالمؤمن بن علي إلى طنجة** برسم الجواز إلى الأندلس فنزل بجبل طارق (Giblartar) وسماه جبل الفتح كما وسمى المدينة التي بُنيت فيه مدينة الفتح***، نية منه لإعادة ما فقده المسلمون من الأندلس، فأقام بها شهرين واستشرف على أحوال البلاد.(٢)

علّلَ مؤرخ الدولة الموحدية ابن صاحب الصلاة هدف هذا العبور للاجتماع بطلبة الموحدين الذين في الأندلس و «النظر في أمر غزو الروم والمحاربين في نواحيها»، ووفد على الأمير عبدالمؤمن في تلك الفترة ولاة الأندلس وقضاتها وجمهرة من علمائها وشعرائها و «برز إليه من الناس النظارة على سيف البحر عالم لا يحصيه إلا خالقهم، وكان يوماً مذكوراً مشهوداً، ظهر فيه من فخامة الملك

---

* وهو من المع وأشهر المهندسين الذين تالق نجمهم زمن الموحدين، من مشاريعه الهامة صناعة مقصورة المسجد الجامع بمدينة مراكش، وقام بعملية تسريب الماء لسقي البحيرة الملكية باشبيلية، وبناء خزانات المياه فيها. ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٨٥؛ مجهول، الحلل الموشية، ص١١٩.

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٨٤ - ٨٥؛ ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٢٠٠.

** طنجَة: وهي مدينة بالمغرب على ساحل البحر. الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٥ - ٣٩٦.

*** مدينة الفتح: وهي علي جبل طارق عند الجزيرة الخضراء. الحميري، الروض المعطار، ص٣٨٢؛ بن بطوطة، عجائب الاسفار، ص٦٧٥.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٣١؛ مجهول، الحلل الموشية، ص١٥٥.

والأمر ما لم يتقدمه في سالف الأزمان». [١]

وخلال فترة إقامة الأمير عبدالمؤمن بن علي في مدينة الفتح، خرج الشيخ عبدالله بن أبي حفص من قرطبة عام (٥٥٥هـ/ ١١٦١م) في جيش كثيف بلغ ثمانية عشر ألف فارس من الموحدين، استطاعوا فتح حصن أطرانكش، وساق الموحدون السبي إلى قرطبة وإشبيلية. [٢]

استمر الأمير عبدالمؤمن بن علي في توطيد سيادة الموحدين في المغرب والأندلس، وبعد عودته إلى المغرب، قرر الجواز إلى الأندلس ثانية برسم الجهاد واستنفر القبائل المغربية، ولما استوفت لديه الحشود ابتداه المرض بعد أن وصل رباط الفتح وتوفي في العاشر من جمادي الآخر من سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م. [٣]

تابع الأمراء الموحدين عبورهم إلى الأندلس بعد وفاة الأمير عبدالمؤمن بن علي فقد تولى الأمير يوسف بن عبدالمؤمن من بعد والده إدارة الدولة الموحدية وكان محباً للجهاد فغزا بنفسه وملك الأندلس من مدينة تطيلة (Tatela) وقاصية شرق الأندلس حتى مدينة شنترين (Santarem) من الغرب. [٤]

وفي عام ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م عبر الأمير يوسف بن عبدالمؤمن إلى الأندلس وقام

---

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٨٥.

(٢) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٢٠٠.

(٣) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٢٠٢؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٣، ص٢٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣٤٥.

(٤) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٢٠٦ ـ ٢٠٨؛ ابن ابي الدينار، المؤنس، ص١٤٠.

بغزو مدينة طُلَيْطِلة* وفتح العديد من الحصون الواقعة في أحوازها وعاد إلى إشبيلية فأقام بها وشرع يبني المسجد الجامع المكرم بها وأمر ببناء الجسور على وديانها وجلب الماء لها وبقي فيها أربعة أعوام وعشرة أشهر.[١]

وفي عام ٥٧١هـ/ ١١٧٦م توفي أمير شرقي الأندلس محمد بن سعد بن مردنيش، فتحرك الأمير يوسف بن عبدالمؤمن نحو بلاده ففتحها بأجمعها ودان له شرق الأندلس.[٢]

ومع سيطرة الموحدين على كافة الأراضي الأندلسية بقي الأمراء الموحدين يقومون بالعبور إلى الأندلس كلما اقتضهم الحاجة لذلك أو إرسال من ينوبهم من الأسياد أو الأشياخ، ولعل في مقدمة الأسباب التي دفعت الموحدين إلى ذلك الحفاظ على كيان الدولة في الأندلس من خطر الممالك الإسبانية.

---

* طُلَيْطِلة (Toledo): مركز لجميع بلاد الاندلس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٣.

(١) مجهول، الحلل الموشية، ص١٥٧.

(٢) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٢١١.

ثانياً: علاقة الموحدين بالإمارات الأندلسية:

لقد تحملت الدولة الموحدية المسؤولية في حماية المسلمين ورعاية مصالحهم في الأندلس عقب دولة المرابطين، وكانوا من أجل ذلك على أتم استعداد لكل مواجهة محتملة، بل كانوا يقومون بمبادرات تأديبية ردعاً للمعتدي، لذلك فإن الموحدين اصطدموا ببعض الفئات المسلحة وبعض النزعات الانفصالية التي طمحت للإستقلال عنهم واستمرت في الدعاء لنفسها أو الخطبة لخلفاء الدولة العباسية في بغداد.(١)

كان من أشهر الإمارات الأندلسية التي قامت في هذه الفترة إمارة ابن مردنيش في شرق الأندلس وإمارة بني غانية أمراء الجزائر الشرقية (البليار).

أ- علاقة الموحدين بابن مردنيش أمير شرقي الأندلس:

١- تمهيد:

بعد اختلال الأحوال في الأندلس نتيجة ضياع دولة المرابطين، قام أعيانها باختيار ولاة جدد عليها، فأما المنطقة التي تضم بلنسية ومرسيه(شرق الأندلس) أصبحت من نصيب القاضي أبي محمد عبدالرحمن بن عياض* الذي بسط فيها حكمه، واستمر يحكم تلك المنطقة بلا منازع إلى أن لقي مصرعه في إحدى المعارك التي وقعت بينه وبين مملكة قشتالة سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م فكانت ولايته عام وتسعة شهور.(٢)

---

(١) د. عبدالهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من اقدم العصور الى اليوم، عهد الموحدين، مطابع فضالة المحمدية، المغرب، ١٩٨٧م، مجلد ٦، ص٢٣.

* ابن عياض: وهو قائد الثغر في بلنسية ايام المرابطين، بويع بالامارة في جمادي الاول سنة ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م، وتقلد رياسة مرسية. ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٣١.

(٢) المراكشي، المعجب، ص٢٠٨ -٢٠٩؛ ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٢٦٠.

أعلن محمد بن سعد بن مردنيش* للناس أن ابن عياض قد اختاره للإمارة من بعده، فبايعه الناس، واستلم حكم شرقي الأندلس الذي امتدّ من بلنسية وطرطوشة (Tartosa) شمالاً حتى المرية جنوباً، فاشتركت حدود إمارته مع حدود مملكة قشتالة من الشمال الغربي ومع مملكة آرغون من الشمال ونصارى المرية من الجنوب ومن الجهة الغربية مع البلاد الأندلسية الخاضعة للموحدين.(١)

تشبه محمد بن سعد بن مردنيش في هيئته ولباسه وسلاحه إلى النصارى الإسبان منه إلى مسلميها، إضافة إلى تكلمه اللغة الإسبانية والقلطلونية بطلاقة، وضمّ في جنده ورجاله عدد من المرتزقة الإسبان الذين أقطعهم الإقطاعات وأسكنهم المعسكرات الخاصة بهم المزودة بالحانات.(٢)

وقد وصفه ابن الخطيب بقوله:(٣) «كان محمد غريب السيرة في الثورة، عظيم القوة، ينادم كبار الأبطال، ومشاهير الفرسان فيعاقرهم الخمر ويعاطيهم الكأس... ومال إلى اتخاذ زي الروم من اللباس الضيق... واستعان بهم على تدبيره ورتّب منهم أعواناً وجنداً، وأفرد لهم بمرسيه منازل فيها الحانات والبِيَعْ».

---

* محمد بن سعد بن مردنيش: وهو أبو عبدالله محمد بن سعد بن محمد بن سعد الجذامي بن مردنيش اصله من شبيه الجزيرة، وجدة مردنيش دخل في ولاء بعض الجذاميين وانتسب اليهم، كان والده والياً لافراغة ايام المرابطين. ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٣٣، هامش رقم ١، يذكره ابن سعيد الاندلس في كتابه المغرب (ابن مرذنيش)، ج٢، ص٢٥٠.

(١) بن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٢٥٠ ـ ٢٥١. ابو رميله، علاقات الموحدين، ص١٠٧، محمد عبدالله عنان: اندلسيات، الكتاب العشرون، مجلة العربي، ١٩٨٨م، ص٨٦؛ S.M.Imamuddin: Apolitical History of Muslim Spain. P.271.

(٢) المقرّي، نفح الطيب، ج٤ ص٦٦؛ عنان، اندلسيات، ص٨٦.

(٣) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٢٦٠ ـ ٢٦١.

إتخذ ابن مردنيش لقب ملك شرقي الأندلس وأطلق عليه الجماعات المسيحية في شمال الأندلس إسم لُب (Lobo) أو الملك لُب (El Rey Lobo) التي تعني الذئب، ومنحه البابا لقب صاحب الذكر الحميد.(١)

تعاون محمد بن سعد بن مردنيش مع أحد الثوار الذين كانوا يطمعون في إقصاء الموحدين عن الأندلس، المعروف بإبراهيم بن همشك* الذي كان له دور في تأمين حدود دولة ابن مردنيش وبسط سلطانه على منطقة جيان (Jean) وأبذة (Ubeda) وبياسة (Beza) وقرمونة (Carmona).(٢)

إتصف ابن همشك بالجرأة والشجاعة (شديد الحزم، سديد الرأي عازماً بتدبير الحرب، كان جبّاراً قاسياً شديد النكال، عظيم الجرأة والعبث بالخلق، بلغ من عيثه

---

(١) ابن صاحب الصلاة: المن بالامامة، ص٦٥، هامش(١)، عنان اندلسيات، ص٨٦، انخل جنثالث: تاريخ الفكر لاندلسي، ص١٢٨؛ منتغمري وات، في تاريخ اسبانيا الاسلامية، ط١، ترجمة د. محمد رضى المصري بيروت، ١٩٩٤م، ص١١٧.

- S.M. Imamuddin: Apolitical History of Muslim Spain, p 271.
- Joseph. F. O'callaghan: Ahistory of Midieval Spain, New York, 1984, p 232; Luis Suarez Fernandez: Historia de Espana, Madrid, 1975. p579.

* ابراهيم بن همشك: وهو ابراهيم بن احمد بن مفرج بن همشك ،رومي الأصل، وهمشك من اجداده الذي اسلموا على يد بني هود، وتعني كلمة هامشك (Hemochico) المقطوع الاذن، خدم الموحدين في الصيد، واتصل مع الامير ابن عياض، وامتلك مدينة شقوبش، وشقورة، وسيطر عليها. ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٥٨، هامش، ١؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٢٦٠ ـ ٢٦٣؛ ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق محمد عبدالله عنان، دار المعارف، القاهرة د.ت، ج٢، ص٣٠٦؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص١٢٣.

(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٢٥٠؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٧٥.

فيهم إحراقهم بالنار، وقذفهم من الشواهق والأبراج، وإخراج الأعصاب والرّباطات عن ظهورهم).[1]

٢- علاقة ابن مردنيش بالممالك الإسبانية والدول الاوروبية:

عزز ابن مردنيش استقلاله بمنطقة شرقي الأندلس بتأمين حدود إمارته الشمالية والشمالية الغربية وتعاونه مع الممالك المسيحية في شمال الأندلس المتمثلة بمملكة قشتالة وأرغون وبعض الدول الأوروبية التي عقد معها المعاهدات كلما سنحت له الفرصة ودعت الضرورة.[2]

فيذكر أن ابن مردنيش قام بعقد معاهدة مع كونت برشلونة (Barcelona) ملك مملكة أرغون ريموند برنجر الرابع وكذلك مع ملك قشتالة ألفونسو السابع مدتها أربع سنوات تعهد فيها أن يدفع مبلغ خمسين ألف مثقال ذهباً كجزية سنوية لكل منها.[3]

وفي عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م عقد ابن مردنيش معاهدة مع جمهورية بيزا (Pezia) مدتها عشر سنوات وكذلك مع جمهورية جنوة (Genoa) تعهّد فيها أن يقوم بدفع الأتاوات مقابل أن لا تتعرض هاتين الجمهوريتين لأحد من رعاياه.[4]

---

(١) ابن الخطيب، الاحاطة، ج٢، ص٣٠٧؛ البيذق، اخبار المهدي، ص٨٠.

(٢) السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، ص٢٦٤؛ عنان، اندلسيات، ص٨٨.

(٣) ابن الخطيب، اعمال الاعمال، ص٢٦٠؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ج٢، ص١٢٣ـ ١٢٤؛ ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٢٤؛ جوليان، تاريخ شمال افريقيا، ج٢، ص١٤٧.

J.F. O'callaghan: Ahistry of Midieval Spain, p232.

(٤) مراجع الغناي، قيام دولة الموحدين، ص١١٩.

ويذكر أن ابن مردنيش قد تبادل الهدايا مع ملك إنجلترا هنري الثاني (Henry II) وبعث إليه الهدايا القيّمة من الذهب والحرير والخيل.(١)

٣- سوء العلاقة بين الموحدين وابن مردنيش:

نتيجة للمعاهدات التي أقامها ابن مردنيش مع مملكتي أرغون وقشتالة، قامت عليه ثورتان في مدينتي لورقة* وبلنسية** إستنكرت هذه المعاهدات ورفضتها، واتصل بعض الثوار بالموحدين طالبين منهم النجدة، الأمر الذي دفع ابن مردنيش بقمع هاتين الثورتين والقضاء عليها والتنكيل بالمشتركين فيهما.(٢)

ما إن علمَ الأمير عبدالمؤمن بن علي بهذا الأمر حتى قام بتوجيه رسالة لابن مردنيش حول هذا الأمر.(٣)

ومع انشغال الأمير عبدالمؤمن بن علي في فتح المدن الافريقية وإخضاعها، قام

---

(١) W.Montogomry Wat: Ahistory of Islamic Spain, Edinburgh, 1967. P.106.

J.F. O' callaghan: Ahistory of Midieval Spain, p.232.

* لورقه: (Lorca): وهي بالاندلس، تقع على ظهر جبل، كثيرة المعادن. الحميري، الروض المعطار، ص٥١٢.

** بَلَنسِيَة (valencia): وهي مدينة سهلية من قواعد الاندلس الواقعة في المنطقة الشرقية. الحميري، الروض المعطار، ص٩٧.

(٢) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٢٦٠؛ جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ج٢، ص١٤٥؛ مراجع الغناي، قيام دولة الموحدين ص١٢٠ ـ ١٢١؛ كنون، النبوغ المغربي، ج٢، ص١٠١ ـ ١٠٣.

(٣) لافي بروفنصال، مجموعة رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المؤمنية، المطبعة الاقتصادية، الرباط، ١٩٤١، الرسالة العاشرة، ص٣٥ ـ ٣٧.

ابن مـردنيش في سنة ٥٥٤هـ/ ١١٦٠م بغزو المنـاطق الأندلسيـة التابعـة للموحـدين وهدد مدينة قرطبة.[١]

إعتـمد ابن مردنيش في توسـعاته نحو الغـرب على حليفـه ابن همشك وبعض القبائل العربية في الأندلس (زغبة ورياح والأثبج) بالإضافة إلى بعض قوات الممالك الإسبانية التي كان يقودها (الأقرع النصراني).

إسـتطاعت هذه الجـيوش من السـيطرة على مـدينة جـيان وأبدّة وبـياسـة التي سقطت دون قتال، ثم أكملت سيرها نحو مـدينة قرطبة التي شُدَّ عليها الحصار ولم تسقط بسبب صُمود أهلها وقائدها أبو زيد عبدالرحمن بن تجيب.[٢]

واصل ابن مردنيش هجـماته على المدن الأندلسية، فتـوجه نحو مدينة إشـبيلية ونزل بموقع قـريب منهـا يسمى ألفـونت (Al-Funt)، وقاتلـها ببعض أجنـاده حتى وصل إلى باب قرمونة وأقام عليها ثلاثة أيـام، ولـم ينجح في دخولها بسبب صمود أهلها وأشـياخهـا وأعيانها الذين بقـوا يسهرون طوال الليل عـلى الأسوار لحراستـها وحماية أبوابها من ابن مردنيش ومن معه حتى أقلع عنها خاسراً.[٣]

وفي عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م أعاد ابن مردنيش هجومه على مـدينة قرطبة مستغلاً توجه القـوات الموحدية لاسـتقبال الأميـر عبدالمؤمن بن علي في جـبل طارق (جبل

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٤٠.

(٢) ابن صـاحب الصلاة: المن بالامامة، ص٦٥ ـ ٦٦؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٢٦١؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٣٨؛ المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٦٧.

(٣) ابن عذاري، البـيان المغـرب، ق٣، ص٤٠؛ ابن صـاحب الصـلاة، المن بالامامـة، ص٦٨، ٧٠؛

W.Montogomry Wat: Ahistory of Islamic Spain, p.106.

الفتح)، فشـدَّدَ مع حليفه ابن همشك الحصـار عليها ودمّر مزروعاتهـا وأكمن بخيله على مـقربة منهـا في موضع يسـمى الدارات حيـث استـشهـد في هذا الكمين والي قرطبة أبي زيد بن تجيب، ومع ذلك بقيت صامدة.[١]

تابع ابن همشك مـسيره بعـد ذلك إلى مدينة قـرمونة* التي استـطاع السيطرة عليها بالتعاون مع أحد زعمائها عبدالله بن شراحيل.[٢]

٤- موقف الموحدين من هجمات ابن مردنيش على المدن الأندلسية:

نتيجة لاستمرار هجمات ابن همشك على مدينة إشبيلية وانزاله أفدح الخسائر، قام واليهـا السيد أبي يعقـوب يوسف إبن عبد المؤمن بالاستنجـاد بوالده الذي أجابه وبعث له بالنجـدات، عندما كان مـقيـماً بمدينة الفـتح وأمر قادته بمواصـلة غزو ابن مردنيش وحلفائه.[٣]

ومع مطلع عـام ٥٥٧هـ/ ١١٦١م بدأت القـوات الموحـدية باسـترجـاع المدن الأندلسية التي سيطر عليها ابن مردنيش وحليفه ابن همشك، فقد استطاع الموحدون من اسـترجاع مـدينة قرمـونة وقامـوا بتعـزيز القوات الموحـدية في مدينتـي إشبيلـية وقرطبة.[٤]

في نفس السنة (٥٥٧هـ/ ١١٦١م) توجـه ابن همشك ليلاً إلـى غرناطة ونصب

---

(١) ابن صاحب الصلاة: المن بالامامة، ص٧٥.

* قرمُونه (Carmona): وهي مدينة شـرق اشبـيلية، تقع على سفح جـبل. الحمـيري، الروض المعطار، ص٤٦١.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٤٠؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٢٦١.

(٣) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٧٧، ٩٠.

(٤) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٢٦١.

عليها المجانيق و (رمى فيها من ظفر به وقتلهم بأنواع القتل) وتحصَّن الموحدون بقصبتها منتظرين قدوم النجدات التي بعثها الأمير عبدالمؤمن بن علي بقيادة ابنه أبي سعيد عثمان ووالي قرطبة الشيخ عبدالله بن أبي حفص في جيش كثيف بلغ ثمانية عشر ألف فارس (١٨،٠٠٠)، كذلك قام ابن همشك بالاستنجاد بحليفه ابن مردنيش، فسارت قوات الطرفين إلى غرناطة وكان اللقاء في مرج الرقاد حيث إنهزمت القوات الموحدية واستشهد كثير منهم ونكّل ابن همشك بأهل غرناطة وأسرى الموحدين أبشع تنكيل.[١]

تجدد العزم عند الموحدين لشن الحملات التأديبية على ابن مردنيش وأتباعه لاسترجاع غرناطة التي استنجد أهلها بالموحدين، فقام الأمير عبدالمؤمن بن علي باستنفار القبائل المغربية وجهَّز جيشاً بلغ عدده عشرين ألف مقاتل (٢٠،٠٠٠) مسنداً قيادته إلى ابنه ابي يعقوب يوسف حيث توجهت هذه العساكر نحو غرناطة بعد عبورها إلى الأندلس.[٢]

وما أن عَلِم ابن مردنيش بأنباء عبور الجيش الموحدي حتى قام بتجهيز جيش لمساعدة حليفه ابن همشك المسيطر على غرناطة وجمع ثمانية آلاف مقاتل (٨،٠٠٠) يعاونهم مجموعة من القوات الإسبانية وسار بهم نحو غرناطة وعسكر قبالتها يفصله عنها نهر حدرة.[٣]

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص١٢٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٥٠؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٢٦١ ـ ٢٦٣؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٣٨؛ مجهول، الحلل الموشية، ص١٥٥؛ البيذق، اخبار المهدي، ص٨١؛ ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٢٠٠.

(٢) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٢٠٢؛ مجهول، الحلل الموشية، ص١٥٧؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٣، ص٢٩.

(٣) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص١٣٢.

وفي صبيحة يوم الجمعة الثامن والعشرين لرجب سنة ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م قامت القوات الموحدية بمهاجمة مدينة غرناطة وانتصرت على قوات ابن همشك في وقعة تسمى السَّبيكة التي اعتبرت ضربة قوية لإبن مردنيش الذي عجز عن تقديم أية مساعدة لحليفه. حيث كان يرى بعينه هزيمة حليفه الذي لاحقته القوات الموحدية موقعةً به أشد الخسائر.(١)

عاد ابن مردنيش وحليفه ابن همشك إلى مدينة مرسيه وحاولا في جمادي الآخرة من عام ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م من غزو غرناطة نتيجة لوفاة الأمير عبدالمؤمن بن علي وظهور الخلافات بين أبنائه، ومع ذلك صمدت هذه المدينة أمام هذه الهجمات ورجع ابن مردنيش منسحباً إلى بلاده.(٢)

بعد أن أنهيت الخلافات بين أبناء الأمير عبدالمؤمن بن علي سارت القوات الموحدية عام ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م نحو بلاد ابن مردنيش بقيادة الأمير أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن وأخيه أبي سعيد عثمان فاتحةً القلاع والحصون في طريقها.(٣)

واصلت القوات الموحدية مسيرتها حتى وصلت مشارف مدينة لورقة، وعندها سار ابن مردنيش بقواته نحوها، تعاونه فرقاً من الممالك المسيحية التي بلغ عددها

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٥٢؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٣٨؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٢٦١؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ج٢، ص٣١٠؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٥٨.

(٢) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٢٠٢ ـ ٢٠٣؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٣٨؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص١٥٤ ـ ١٦٣.

Rogen Le Tourneau: The Al- Mohad Movement.p.41.

(٣) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٢٠٠.

ثلاثة عشر ألف مقاتل (١٣،٠٠٠)، فارتدّ الموحدون واتجهوا نحو مدينة مرسيه (Murcia) والتقى الجيشان في ذي الحجة عام ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م في موقع يسمى فحص الجلاب الذي دارت فيه معركة طاحنة انتهت بهزيمة ابن مردنيش ومن عاونه من القوات الاسبانية.(١)

ونتيجة لانتصار الموحدين في موقعة فحص الجلاب، انسحب ابن مردنيش نحو مدينة مرسيه التي قامت القوات الموحدية بمحاصرتها، إلا أنها أقلعت عن حصارها وعادت إلى مراكش لإخماد نار الفتنة والقضاء على المتمردين الذين ظهروا في المغرب.

وبعد القضاء على ثورة قبائل غمارة* في المغرب العربي قام والي غرناطة أبي سعيد عثمان بن عبدالمؤمن في عام ٥٦٢هـ/ ١١٦م من السيطرة على مدينتي لِبْسَة وبِسطة (Baza) التابعة لابن مردنيش.(٢)

٥- انضمام ابن همشك للموحدين ونهاية ابن مردنيش:

نتيجة لكثرة الهزائم التي أصابت ابن مردنيش، أصبح يقوم بالإساءة في تعامله مع كبار دولته وتذمر رعيته بسبب الضرائب الباهظة التي كانوا يدفعونها لسدّ

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٦٣؛ ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٢٠٩ـ٢١٠؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٣٨؛ النويري، نهاية الارب، ج٢٤؛ ص٣٢٢؛ ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٤٧٤.

* وهي من القبائل المغربية التي قامت بثورة ضد الموحدين بقيادة مفتاح بن عمرو وابن منخفاد عام ٥٦٢هـ/ ١١٦٧، مستغل انصراف الموحدين في قتال ابن مردنيش. ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٢٣١؛ ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٢١٠؛ ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٤٧٤؛ النويري، نهاية الارب، ج٢٤، ص٢٢٣.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٦٨؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٢٦٢.

وإشباع حاجات جنده والفرق المسيحيـة التي تعاونه، وقد صور لنا ابن سعيد أعمال ابن مردنيش في هذه الفترة بقوله: [١] «حين اشتدّت الأمور عليه، فصار يعذب على الأموال ويرتكب في شأن تحصيلها القبائح، ويسلخ الوجوه».

وهكذا فـقد بدأ الضـعف يدب في إمـارته لدرجة قـيامـه بالإسـاءة لحليفـه ابن همشك الذي تركه وانـضم الى الموحدين. ويعلّل ابن عذاري سوء العلاقة بقوله: [٢] «وكـانت إبنة إبراهيم بن همـشك زوجتـه، فطلقـها في هذه المـدّة وطردها إلى أبيهـا مهانة، فعند ذلك تطارح إبن همشك على الشيخ أبي حفص في الطاعة والتوبة».

أما ابن خلدون فـيذكر: [٣] «وبعث إليـهم -الموحدين- إبراهيم بن همـشك من جيان بطاعته وتوحـيده ومُفارقته صاحبه ابن مردنيش لِمـا حدث بينهما من الشحناء والفتنة».

ومن هنا نرى أن الخلاف الذي دبّ بين ابن مردنيش وحليفه ابن همشك، أدى إلى أن يخسـر ابن مردنيش حليـفه القوي الذي سـيصبح فـيما بعـد حجر عـثرة في طريقه.

بدأت الحروب بين الحليـفين السابقين، وزادت هجمـات ابن مردنيش على ابن همشك الذي سـارع بطلب النجدة من الموحدين حتى عـبر بنفسه إلى عـدوة المغرب وطلب العـون والمدد، فأعـانه الموحدون بقـواتهم التي استطاعت فـي عام ٥٦٦هـ/ ١١٧١م من السيطرة على مدينة لورقة وجزيرة شقر ومـجموعة من الحصون الواقعة

---

(١) ابن سعيد الاندلسي، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٢٥١.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٨٢.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٣٩.

في طريقها.[١]

حاول ابن مردنيش استرجاع جزيرة شقر مستغلاً قيام القوات الموحدية وأعيان الأندلس بالتوجه إلى إشبيلية لتقديم الطاعة للأمير أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن، إلا أنه فشل ورجع إلى مرسيه يعاني من مرضه الذي توفي منه في عام ٥٦٧هـ/ ١١٧٢م.[٢]

تولى من بعد محمد بن سعد بن مردنيش ابنه أبو القمر هلال الذي دخل في طاعة الموحدين بعد أن رأى لا جدوى من العصيان.[٣]

وبعدها قصد أبناء محمد بن مردنيش إلى الأمير أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن، ودخلوا في طاعته وتسلّم بلادهم وأكرمهم وعظم أمرهم.[٤]

وهكذا دخلت معظم بلاد الأندلس في طاعة الموحدين بما فيها المنطقة الشرقية التي تضم مدينة مرسيه وبلنسة وجيان.

---

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٣٨١؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٦٨؛ المراكشي، المعجب، ص٢٤٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٩٥.

(٢) النويري، نهاية الارب، ج٢٤، ص٣٢٣؛ ابن سعيد الاندلسي، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٢٥١.

(٣) ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٦٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٩٥.

(٤) ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٣٧؛ النويري، نهاية الارب، ج٢٤، ص٣٢٣؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٥٠

ب - علاقة الموحدين ببني غانية أمراء الجزائر الشرقية (البليار):

ينتمي بنو غانية إلى إحدى قبائل مسوفة الصنهاجية، ويمتون بصلة القرابة إلى بني تاشفين أمراء المرابطين، وتسميتهم غانية نِسْبَة إلى أمهم كتقليد مرابطي معروف.(١)

مع نهاية دولة المرابطين وبداية الدولة الموحدية قام بنو غانية بإنشاء إمارة لهم في منطقة الجزائر الشرقية* (البليار) المتمثلة بالجزر الثلاثة ميورقة** (Mallorca) ومنورقة*** (Manorca) ويابسة**** (Ibiza).

---

(١) المراكشي، المعجب، ص٢٦٦ - ٢٦٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٩٠؛ مراجع الغناي، سقوط دولة الموحدين، ط١، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، ١٩٧٥م، ص١٦٧.

* الجزائر الشرقية: وهو لقب اطلقه العرب علي الجزر الواقعة في شرق الاندلس نظراً لوقوعها في منطقة الشرق ويطلق حالياً عليها اسم جزر البليار، بطرس البستاني، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت د.ت، مجلد ٥، ص١٤٩.

** مَيُورقة (Majorca) أو (Mallorca): وهي جزيرة عامرة في البحر الزقاقي (المتوسط)، من شرقها منورقة وغربها جزرية يابسة، واسعة الخير، كثيرة الثمار، قليلة الآفة، ليس بها عاهة ولا وحش. الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ط٢، دار الجيل، لبنان، بيروت ١٩٨٨م، ص١٨٨؛ ابن حوقل، ابي القاسم النصيبني (ت ٣٦٧هـ)، صورة الارض، دار الحياة، بيروت د.ت، ص١١٠؛ القزويني، اثار البلاد، ص٥٦٨.

*** مَنُورقة (Manorca): وهي جزيرة بالاندلس تقابل برشلونه، شكلها مستطيل وبينها وبين سردانية اربع مجار. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢١٦؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٨٥؛ البغدادي، مراصد الاطلاع، ج٤، ص١٣٢٥؛ ابن سعيد الاندلسي، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٦٩.

**** يَابِسَه (Ibiza): وهي جزيرة كثيرة الكروم والاعناب، واقرب مدينة اليها دانية فيها انهار جارية، وقرى كثيرة، وفي اراضيها ينبت الصنوبر الجيد العود وبها ملاحة لا ينفذ ملحها وهي جزيرة خصيبة بعكس اسمها. الحميري، صفة جزيرة لاندلس، ص١٩٨؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٥٩؛ ابن سعيد الاندلسي، المغرب في حلى المغرب، ص٤٧٠.

اشتهـر من بني غانية، يحيى ومـحمد ابنَيْ علي بن غانيـة، الذين تولّوا أعمالاً إدارية في الأندلس زمن المرابطين، فقـد تولى محمد بن علي بن غـانية ولاية الجزائر الشرقية من قبل الأمير علي بن يوسف بن تاشفين لإصلاح ما فسد من أمورها على يد الوالي المرابطي أنور بن أبي بكر اللمتوني في عام ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م.(١)

أمـا يحيى بن علي بن غـانية فـقد تولـى ولاية مدينة بلنسـية ثم عـزله الأميـر المرابطي عنهـا ليوليه قـرطبة التي بقي والياً فـيها حـتى عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م، وهو العام الذي دخلت فيه القوات الموحدية لقرطبة مبعدة خطر مملكة قشتالة عنها.(٢)

ومـع نهـاية دولة المرابطين (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) وبداية دولة الموحـدين اسـتـقل محمد بن علي بن غانية بالجزائر الشرقية مكوناً له إمارة ذات سيادة مستقلة عن دولة الموحدين مبقياً ولاءه لدوله المرابطين داعياً لبني العباس* في المشرق الإسلامي.(٣)

يقول المراكشي:(٤) «واستقل محمد بمملكة هذه الجزر وضَبَطها لنفسه وأقام فيها

---

(١) ابن خلدون، العبـر، ج٦، ص١٩١؛ ابراهيم حـركـات، المغـرب عبـر التـاريخ، مـجلد ١، ص٢٨١؛ مونتغمري واط، في تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص١١٨.

(٢) المراكـشي، المعـجب، ص٢٦٧؛ ابـن الخطيب، الاحـاطة، ج٢، ص٣٤٥؛ ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٩١؛ النويري، نهاية الارب، ج٢٤، ٣٠١ ـ ٣٠٢.

(٣) المـراكشي، المعـجب، ص٢٦٧؛ عز الدين عـمـر احمـد موسى، دراسـات في تاريخ المغـرب الاسلامي، ط١، دار الشروق، بيروت ١٩٨٣، ص٢٨.

* يذكر انـهم اتخذوا الألوية السـوداء شعاراً لهم، احـمد مـختـار العبادي، دراسـات في تاريخ المغرب والاندلس، الاسكندرية، ١٩٦٨م، ص٣٣١.

ويذكر انـه وجد في جزيـرة البليار نقـود طبع عليهـا اسم الخليفـة العبـاسي. د، عصـام سالم سيسالم، جزر الاندلس المنسية، (التاريخ الاسلامي الجزر البليار)، ط١، دار العلم للميلايين، بيروت، ١٩٨٤م، ص٣٤٢.

(٤) المراكشي، المعجب، ص٢٦٧.

جارياً على أمر لمتونة الأول، يدعو لبني عباس».

قام محمد بن غانية بتحصين الجزر الثلاثة ميورقة، منورقة ويابسة من الأخطار الخارجية المتمثلة بخطر دولة الموحدين من جهة، وخطر الممالك المسيحية واساطيل بيزة وجنوة وصقلية من جهة أخرى.(١)

فقد أوجد محمد بن غانية جيشاً برياً وبحرياً لإمارته وأصبحت بلاده ملجأ للفارين من فلول المرابطين الذين لقوا الرعاية والأمان في ظل حكم هذه الأسرة، وكان من الفارين الذين لجأوا إلى بني غانية من الأندلس ابن هلال عامل الثغر الأعلى، بعد استيلاء ريموند برنجر الرابع عليه في عام ٥٤٤هـ/١١٤٩م.(٢)

بلغت قوة بني غانية في عهد محمد بن علي إلى حد كبير من القوة، لدرجة أنه فرض الغرامات على النشاط التجاري في البحر المتوسط وقد تسارعت الممالك الإسبانية والجمهوريات الإيطالية (جنوة، بيزة، البندقية) لعقد المعاهدات ودفع الأموال الطائلة لضمان تحرك أساطيلها في البحر.(٣)

وقد وصف المراكشي القوة التي وصلت لها إمارة بني غانية في عهد محمد بن علي قائلاً: «وأقبل إلى الغزو وصرف عنايته إليهم، فلم يكن همّ غيره، فكان له سَفْرة أو سفرتان إلى بلاد الروم يغنم ويسبي وينكي بالعدو أشدُّ نكاية إلى أن امتلأت أيدي أصحابه أموالاً، فقوى ذلك أمره وتشبَّه بالملوك».(٤)

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٣٨٩؛ عصام سيسالم، جزر الاندلس المنسية، ص٣١٩.

(٢) المراكشي، المعجب، ص٢٦٧.

(٣) عصام سيسالم، جزر الاندلس المنسية، ص٣٢١؛ عبدالهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مجلد ٦، ص٢٢٥.

(٤) المراكشي، المعجب، ص٢٦٧.

استمر محمد بن غانية يحكم الجزائر الشرقية (من ٥٢٠ ـ ٥٤٤هـ/ ١١٢٦ ـ ١١٤٩م) إلى أن قتل* سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م، وخلفه من بعده أبناءه الأربعة عبدالله وإسحاق والزبير وطلحة، الذي دبَّ الخلاف فيما بينهم وتنازعوا على حكم الجزائر الشرقية، إلى أن استطاع إسحاق الخروج منتصراً على إخوته وحكم الجزر الثلاثة مستمراً في سياسة والده في استقبال فلول المرابطين الفارين من الحكم الموحدي في المغرب والأندلس.(١)

يقول المراكشي: «واستقل أبو إبراهيم بالملك استقلالاً حسناً وحَسُنت حاله وكثر الداخلون عليه بجزيرة ميورقة من فلّ لمتونة وبقاياهم، فكان يُحسن إليهم ويَصِلهم حسب طاقته».(٢)

بقي بنو غانية يشعرون بالأمان خلال فترة قتال الموحدين لابن مردنيش الذي كان يَحول دون وصول الموحدين إلى ثغور شرق الأندلس والذي ظلّ سداً منيعاً وحليفاً غير مباشر لبني غانية.

وبعد نهاية ابن مردنيش وسيطرة الموحدين على منطقة شرقي الأندلس في عام ٥٦٧هـ/ ١١٧٢م، شعر إسحق بن غانية بالخطر الذي يهدده فأخذ في التودد للموحدين بإرسال الهدايا ويخصهم من كل ما يَسبي ويغنم بنفيسه وجيده لاشغالهم عنه.(٣)

---

* يقول ابن خلدون عن سبب مقتله: «ثم عهد محمد الى ابنه عبدالله فنافسه، اخوه استحق واخل جماعة من لمتونة في قتله، فقتلوه وقتلوا اباه محمد» العبر، ج٦، ص٢٤٢.

(١) المراكشي، المعجب، ص٢٦٧.

(٢) المراكشي، المعجب، ص٢٦٧.

(٣) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص١٤؛ الغبريني، ابو العباس احمد بن عبدالله (ت ٧١٤هـ)، عنوان الدراية في العلماء في المائة السابعة ببجاية، ط١، تحقيق عادل نويهض، منشورات لجنة التاليف، بيرت، ١٩٦٩م، ص٤٦ ـ ٤٧.

٢- دعوة الموحدين بني غانية للدخول في طاعتهم:

في عـام ٥٧٨هـ/ ١١٨٣م قام الموحدون بدعـوة اسـحق بن غانيـة للدخـول في طاعـتـهم، والدعـاء لهم على المنابر ويتـوعـدونه على ترك ذلك، فـوعـدهم بذلك، واستشار وجوه أصحابه فاختلفوا عليه وامتنعوا عن ذلك.(١)

ومع وفاة الأمير أبي يعـقوب يوسف بن عبـدالمؤمن عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤مـتولى أمر دولة الموحـدين ابنه الأميـر أبي يوسف يعقوب المنصـور، كذلك في نفس الفـترة توفي إسحق بن غانية إثر إصـابته بجراح خطيرة نتيجة إحدى المعـارك التي خاضها مع الممالك المسيحية، وتولى من بعده ابنه علي.(٢)

أعاد الموحـدون دعوة علي ابن اسحق بن غانيـة للدخول في طاعتـهم فأنف من ذلك وأساء الردَّ واحتال على الرسل حتى اعتقلهم وأودعهم السجون.(٣)

وبعد ذلك قام علي بن اسحق بن غانية بتجهيز الأساطيل مستغلاً فشل الموحدين في السيطرة على مدينة شنترين (Santarem) وهاجم مدينة بِجَّاية* (Bougie).

نزلت الأساطيل المكونة من اثنين وثلاثين قطعة (٣٢) بقيادة القائد البحري رشيد

---

(١) المراكشي، المعجب، ص٢٦٧؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص١٤؛ الغبريني، عنوان الدراية، ص٤٧.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص١٣٢.

(٣) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٥٩؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٩٠.

* بجاية: وهي قاعدة المغرب الاوسط، مدينة عظيمـة على ضفة البحر. الحميري، الروض المعطار، ص٨٠ ـ ٨١؛ مجهـول، (عاش في القرن ٦هـ)، الاستـبصار في عجائب الامـصار، تعليق د. سعد زغلول عبدالحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء ١٩٨٥م، ص١٢٩.

الرومي، ومعه مجموعة من أبناء غانية في شهر شعبان ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م واستطاعوا السيطرة على بجاية بمعاونة أنصارهم الذين كانوا بها من قبل.(١)

بعـد سيطرة بني غانية على مـدينة بجاية عام (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)، بعث الأمير الموحـدي بجيش بلغ عـدده ألف فـارس (١٠٠٠) من الأعـراب وثلاثمـائة فـارس (٣٠٠) من الموحدين لاستعادتها، بقيادة القـائد سليمان بن عبـدالله بن عبدالمؤمن، لكنه فشل لقوة مقاومة بني غانية وتخلي الأعراب عن القائد الموحدي.(٢)

ونتيجـة لهذا الإنتصار قام علي بن إسحق بن غانية بالتوجه نحـو مدن المغرب الأوسط - في العام نفسه -وترك أخيه يحيى والياً لمدينة بجـاية، وبعدها سيطر بنو غانـية على مدينـة الجزائر وولي عليهـا القائد يحـيى بن أبي طلحة وعلـى مدينة مازونة* وولي عليها القـائد بدر بن عائشة وبعدها على مدينة مليانة** وأشير التي دخلها بنو غانية عنوة بعد حصار دام ثلاثة أيام.(٣) وبعدها توجهت القوات نحو

---

(١) ابن عـذاري، البيـان المغـرب، ق٣، ص١٣٢؛ ابن ابي زرع، روض القـرطاس، ص١٩١؛ الزركـشي، تاريخ الدولتين، ص١٤؛ الناصـري، الاستـقصـا، ج٢، ص١٤٥؛ القلقـشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٢٥٠؛ الغبرني، عنوان الدراية، ص٤٦؛

Rogen le Tourneau: The Al Mohad Movement, P.72 S.M Imamuddin: Apolitical History of Muslim Spain, p.272

(٢) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٩١؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٥٩؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٩٠.

* مازُونة: وهي مـدينة بالمغرب بالقرب من مستغانم. الحميري، الروض المعطار، ص٥٢١؛ ابن بطوطة، عجائب الاسفار، ص٦٥٧.

** مَليانة: وهي من احواز اشـير في ارض المغرب، كثيرة الخيرات. الحمـيري، الروض المعطار، ص٥٤٧؛ القزويني، اثار البلاد، ص٢٧٥.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٩٢؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٩٠.

مدينة قسنطينة* التي شدَّ عليها الحصار.

ما أن علم الأمير الموحدي يعقوب بن يوسف أنباء الهزائم التي أحاقت بالموحدين في المغرب الأوسط حتى أمر بتجهيز حملة ضخمة وتجهيز قوات برية وبحرية مسنداً قيادتها لأبي زيد بن أبي حفص وفوّض إليه التفويض التام، فخرج في أعداد وافرة بلغت عشرين الف فارس وتحركت الأساطيل من سبتة وعليها أبي محمد بن أبي إسحاق بن جامع وأبي محمد بن عطشون الكومي، والقائد أبي العباس الصقلي وفق خطة حربية متفق عيها.[1]

بدأ الموحدون خطتهم ببعث الرسائل إلى أهالي منطقة المغرب الأوسط لكسبهم إلى جانبهم حال وصولهم. ويقول ابن عذاري[2] في ذلك: «أتْبَعَ أمراء الجيوش البرية والبحرية كتباً لأهل سائر البلاد المغلوب عليها بالأمن والأمان والصفح والإحسان... ولما دنت من البلاد دسّوا بالكتب جواسيس دخلوا بها ليلاً إلى البلاد واجتمعوا بها مع من يوثق به للأمن فلما وقفوا عليها رأو أنهم قد أمنوا عوائل العذاب وأن العفو والرحمة لهم مفتحة الأبواب».

وفي عام ٥٨١هـ/ ١١٨٥م تمكن الأسطول الموحدي من الاستيلاء على أسطول بني غانية وتم أسر قائدهم رشيد الرومي ونزلت القوات الموحدية على بجاية التي هرب منها واليها يحيى بن غانية حال سماعه وصول الجيوش الموحدية.[3]

* قسَنْطينة: وهي من المدن لافريقية الحصينة تقع علي جبل عظيم. الحميري، الروض المعطار، ص٤٨٠؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ص٩٥ ـ ٩٦؛ البكري، جغرفية الاندلس، ص٦٣.

(١) ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص١٢٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص١٤٩؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٩١.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص١٥٠

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣؛ ص١٥٠؛ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٩١ ـ ١٩٢.

لحق يحيى بن غانية بأخيه علي الذي كان محاصراً لمدينة قسنطينة والتي أوشكت على الوقوع في يدهم، فانسحب الاثنان وباقي قواتهم إلى صحراء بلاد الجريد*.

وخلال تواجد علي بن غانية في بلاد الجريد عمل على كسب ودّ القبائل العربية من بني سليم وقبائل بني هلال وجَشْم ورياح والأثبج ثم إرتحل إلى طرابلس في محاولة للم شمل قواته.[1]

لقي ابن غانية في طرابلس القائد شرف الدين قراقوش*، واتفقا معاً على الثورة ضد الموحدين وتقسيم المناطق التي يتم الاستيلاء عليها فيما بينهم.

بعث ابن غانية بعض القوات للسيطرة على مدينة أشير إلا أن القوات الموحدية استطاعت استرجاعها عام ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م بعد مقتل قائد الجيش المهاجم، وبعدها

---

* بلاد الجريد: وهي مجموعة من المدن الافريقية الصحراوية، سميت بهذا الاسم لكثرة النخيل فيها. الحميري، الروض المعطار، ص٨٢، ١٤٤؛ مجهول، الاستبصار، ص١٥٠.

(١) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٩٢؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٦٠.

* قراقوش: وهو مملوك تقي الدين، دخل المغرب في طائفة من الاتراك من ديار مصر في ايام الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب، نزل طرابلس المغرب، وملك عدداً من بلاد افريقيا. النويري، نهاية الارب، ج٢٤، ص٣٢٥؛ كنون، النبوغ المغربي، ص١١٦؛ مجهول، الاستبصار، ص١١٠ ـ١١١؛ ابن العماد، ابي الفلاح عبدالحي الحنبلي، (ت ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت د.ت، ج٤، ص١١٣؛ الحنبلي، احمد بن ابراهيم (ت ٨٧٦هـ)، شفاء القلوب في مناقب بني ايوب، تحقيق ناظم رشيد، وزارة الثقافة والفنون، بغداد ١٩٨٧، ص٨٢؛ المقريزي، احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه محمد مصطفى زياده، ط٢، مطبعة لجنة التاليف، القاهرة، ١٩٥٦، ق١، ج١، ص١٣٢.

استمر علي بن غانية في بعث الحملات في عام ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م للسيطرة على مدينة قفصة وجزيرة باشر بالقرب من تونس.[١]

وخلال فترة قيام علي بن غانية في المغرب الأوسط (من ٥٨١ ـ ٥٨٢ هـ) قام باتخاذ لقب أمير المسلمين وأقام الدعوة للخلافة العباسية وبعث للخليفة الناصر ابن المستضيء* (٥٧٥ ـ ٦٢٣هـ) ببغداد السفارات مجدداً له الطاعة، وأتبع ذلك بسفارة إبنه وكاتبه عبدالبر إلى بغداد، فلقيا الترحاب من الخليفة العباسي الذي طلب من صلاح الدين الأيوبي مناصرة ابن غانية.[٢]

يقول ابن العماد في حوادث سنة ٥٨١هـ/ ١١٨٥م[٣]: «وفيه استولى ابن غانية الملثم على أكثر بلاد افريقيا وخطب للناصر العباسي وبعث رسوله يطلب التقليد بالسلطنة».

---

(١) ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص١٣٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص١٥٠.

* الناصر بن المستضيء: احد الخلفاء العباسين بويع سنة (٥٧٥هـ ـ ٦٢٣هـ)، وتعتبر مدة خلافته من اطول الفترات للخفاء العباسيين. ابن اياس، محمد بن احمد ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط٢، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢، ق١، ج١، ص٢١٩؛ ابن كثير، ابو افداء الحافظ الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق د. احمد ابو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥، مجلد٧، ج١٢، ص٣٢٦؛ جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي، (ت ٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، ط١، تحقيق محمد محيي الدين، مطبعة السعادة، مصر ١٩٥٢، ص٤٤٨ ـ ٤٤٩.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٩٦؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٣، ص٨١؛ سعد زغلول، العلاقة بين صلاح الدين والمنصور الموحدي، مجلة كلية الاداب، جامعة الاسكندرية، سنة ١٩٥٢، ع٦٧، ص ٩٥ ـ ٩٦.

(٣) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص٢٦٨.

٣- قضاء الموحدين على إمارة بني غانية:

وفي سنة ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م توجهت القوات الموحدية نحو مدينة تونس لمواجهة قوات ابن غانية وأتباعه ووقعت معركة بين الطرفين قرب مدينة قفصة في سهل عمرة حيث هزمت القوات الموحدية ورجعت فلولها إلى مدينة تونس.[١]

تأثر الأمير أبو يوسف يعقوب المنصور بنبأ هذه الهزيمة وتوجه في رجب من عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، وبعث لإبن غانية كتاباً ينذره بوجوب الطاعة، فكان الردّ أن قام علي بن غانية باعتقال سفير الأمير الموحدي.[٢]

وفي شعبان من عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م قام الأمير المنصور باستنفار القوات الموحدية وبعثها لمهاجمة معاقل علي بن غانية وحليفه قراقوش واستطاعت دخول مدينة قابس* وتوزر** التي هلك فيها زعيم بني غانية المذكور ودخلت بعدها القوات الموحدية مدينة قفصة وسيطرت على بلاد الجريد، وعاد بعدها الأمير المنصور إلى مراكش.[٣]

في نفس السنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) استطاعت الأساطيل الموحدية من السيطرة

---

(١) المراكشي، المعجب، ص٢٧٣؛ ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص١٣٧ ـ ١٣٨.

(٢) ابن القنفذ، ابو العباس احمد بن حسين بن علي القسنطيني، الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي وآخرون، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨، ص١٠٣؛ ابو رميله، علاقات الموحدين، ص١٦١؛ بروفنصال، رسائل موحدية، ص١٨٠.

* قابس: وهي من بلاد الجريد بافريقيا. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٨٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٥٠؛ مجهول، الاستبصار، ص١١٢.

** تُوزَر: وهي قاعدة بلاد الجريد، هلك فيها علي بن اسحق الميورقي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٤٤؛ البغدادي، مراصد الاطلاع، ج١، ص٢٨٠.

(٣) ابن القنفذ، الفارسية، ص١٠٣؛ الناصري، لاستقصا، ج٢، ص١٦١.

على جزيرتي يابسة ومنورقة التي تمكن من استرجاعها قائد الأساطيل الموحدية أبي العباس الصقلي، ولم يبقَ أمام الموحدين إلا جزيرة ميورقة التي بقيت خارج الطاعة حتى سنة ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م.(١)

لم تنتهي الحروب بين الموحدين وبني غانية بعد مقتل علي بن غانية، بل قام يحيى بن غانية بإعادة وتجديد الحرب على الموحدين، وأعلن العصيان عليهم واستطاع السيطرة على بعض مدن المغرب الأوسط التي كان منها بسكرة وبونة وأرجع السيطرة كذلك على جبل نفوسه.(٢)

ولما استفحل أمر بني غانية في افريقية والمغرب الأوسط، أدركت الدولة الموحدية بأنه لا يتم القضاء على بني غانية إلا إذا تم القضاء على مركز قوتهم جزيرة ميورقة، التي كانت تعتبر المورد الذي يغذي بني غانية في افريقيا بالرجال والعتاد، لذلك رأى الأمير الموحدي محمد بن يعقوب الناصر أن يسيطر على هذه الجزيرة ليستأصل بني غانية ويقطع دابرهم.(٣)

أقلعت الحملة من ثغر دانية أواخر سنة ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م فوصلت بعد أيام إلى جزيرة يابسة ثم قصدوا إلى ميورقة يوم السبت الرابع والعشرين من ذي الحجة من السنة نفسها، ودخلتها القوات الموحدية بعد عناء كبير.(٤)

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص١٧٠.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٩٤؛ ابن ابي الدينار، المؤنس، ص١١٥؛ ابن القنفذ، الفارسية، ص١٠٣.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص١٦٩ - ١٧٠.

(٤) ابن عذاري، البيان، المغرب، ق٣، ص١٦٩؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، ط١، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٨، ص٣٤٣.

لقد كان لهذا الفتح وقع عميق لدى الممالك الإسبانية القريبة وعلى الجمهوريات الايطالية (جنوة وبيزة)، الأمر الذي يفسر وصول السفير القشتالي إلى مدينة مراكش سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٤م يحمل تحيات الملك القشتالي الفونسو الثامن ويطلب تجديد الهدنة التي كان قد عقدها الموحدون معهم عقب معركة الأرك.

وبعد سيطرة الموحدين على الجزائر الشرقية الثلاثة تفرغ الأمير الناصر لقتال بني غانية المتبقين في افريقية والمغرب الأوسط، فسيّر الجيوش في عام ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م وسيطرت على مدينة تاجرا* وحاصرت مدينة المهديّة** لمدة أربع وسبعون يوماً إلى أن استسلمت وعفي على من كان بها من المقاتلة.[١]

تابعت بعد ذلك القوات الموحدية ملاحقة زعيم بني غانية يحيى بن غانية الذي هرب إلى الصحراء ولم يلبث أن لقي مصيره بعد سنوات لكثرة الهزائم التي لحقت به.

وهكذا انتهى سلطان بني غانية في عام (٦٠١هـ/ ١٢٠٤م) على الجزائر الشرقية ميورقة ومنورقة ويابسة وعلى افريقيا، بعد سنوات من المتابعة والمصادرة التي كانت تسبب الخراب والدمار وعادت المدن الافريقية تحت سيطرة الموحدين الذين أنفقوا الأموال الطائلة جراء هذه الحروب.[٢]

---

* تاجرا:وهي مدينة مغربية من احواز قابس. الحميري، الروض المعطار، ص١٢٥.

** المهديّة: وهي مدينة بساحل افريقية تقع قرب القيروان وتنسب الى المهدي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٢٩؛ مجهول، الاستبصار، ص١١٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٦١؛ القزويني، اثار البلاد، ص٢٧٦؛ المقدسي، احسن التقاسيم، ص٢٣٩.

(١) ابن القنفذ، الفارسية، ص١٠٤؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ)، سير اعلام النبلاء، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥، ج٢٢، ص٣٣٨؛ الذهبي، تاريخ، ص٣٤٣؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص١٨٧.

(٢) يذكر ان ما انفق من هذه الغزوات زمن الامير الناصر الموحدي ما يعادل مائة وعشرين حملاً من الذهب، ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مجلد١، ص٢٩١.

ثالثاً : التنظيم الحربي عند الموحدين:

لقد اعتنى الموحدون بالجيش، وحظي باهتمام الأمراء الموحدين من حيث التدريب وتزويده بالعدة والعتاد وتموينه، ويذكر أن الأمير عبدالمؤمن بن علي كان يشرف بنفسه على إعداد الجيش وترتيبه، (فيأخذهم يوماً بتعلم الركوب ويوماً بالرمي بالقسي ويوماً بالعوم في بحيرة صنعها خارج بستانه مربصة، طول مربعها ثلاثمائة (٣٠٠) ذراع، ويأخذهم يوماً يجذفون على القوارب وزوارق صنعها لهم في تلك البحيرة، وكانت نفقتهم وخيلهم وعدتهم وسائر متطلباتهم من عنده). [١]

وقد أدرك الأمير الموحدي أهمية القوة العسكرية لذلك أوجد المدارس والمعاهد العسكرية لتخريج قادة الجيش، فكان يجمع الأولاد الصغار من مختلف أبناء القبائل والمدن الأندلسية ويقسمهم فئات حسب أعمارهم ثم يعمد إلى تدريبهم على كافة فنون الحرب المختلفة. [٢]

واهتمت الدولة الموحدية بالجيش وأوكلت شؤونه إلى ديوانين، الأول ديوان العسكر ويشرف على كل ما يتعلق بشؤون الجيش، والثاني ديوان التمييز وهو جهاز تطهير الخصوم والمتخاذلين وإبعادهم من الجيش، كذلك وجد ديوان الكتابة، المكون من كاتب أو أكثر يختصون بالكتابة في شؤونه. [٣]

أ - عناصر الجيش :

ضم الجيش الموحدي مجموعة من الفئات والعناصر البشرية المتفاوتة في

---

(١) مجهول، الحلل الموشية، ص١٥١.

(٢) علام: الدعوة الموحدية، ص١٢٦ ـ ١٢٧؛ ابو دياك، فنون القتال، ص٢٣٩ ـ ٢٤٠.

(٣) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦٣٨.

أعدادها وأصولها، وكان لها الفضل في الانتصار على دولة المرابطين وتقويضها عام ٥٤١هـ/ ١١٥٦م، كذلك الجهاد ضد الممالك المسيحية في شمال الأندلس، والقضاء على الفتن والتمردات التي كانت تظهر من حين لآخر في المغرب والأندلس.

لقد اعتمد الجيش الموحدي على الحشود القبلية التي تعتبر المصدر الرئيسي له، وقد بدأت هذه الحشود بصورة متواضعة، حينما أعلن محمد بن تومرت إمامته وبايعته القبائل الموحدية، وكانت معظم هذه الحشود من القبائل البربرية التي ضمت كل من هرغة، هنتانه، كنفيسه، زناته، كدميوه وكومية وغيرها. الذين كان لهم الدور الأول في الوقوف بوجه المرابطين وقيام دولة الموحدين في المغرب.(١)

ومع اتساع نطاق الغزوات الموحدية في المغرب والاندلس لم تعد القبائل البربرية تكفي وحدها لإمداد الجيوش، فعمد الأمراء الموحدين الى استمالة القبائل العربية، حيث تم جمع أمراء القبائل العربية التي ضمت رياح، سليم، هلال، وزغبة ومطالبتهم بنصرة الاسلام في الاندلس(٢).

قام الأمراء الموحدين بترغيب هذه القبائل العربية وغمرهم بالمال والكساء والسلاح، وأصبحت تسارع في الإنضمام للجيوش الموحدية وتقدم الطاعة للأمراء الموحدين، إلا أن طاعتهم لم تكن دائمة، فسرعان ما كانوا يقومون بالشغب والانصمام الى الحركات المعارضة لدولة الموحدين، ففي عام ٥٨٢هـ/ ١١٧٨م

---

(١) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٢١، ٢٠٢؛ ابن خلدون، العبرة، ج٦، ص٢٢٨؛ المراكشي، المعجب، ص١٠٩؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٥٧.

(٢) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص١٣٣؛ د. عبدالفتاح مقلد الغنيمي، ماساة الفردوس المفقود، دار الكتب القومية، بيروت، ١٩٩٣م، ص٣٠٧.

سارعت قبائل هلال وسليم للإنضمام في حركة إسحاق بن غانية وخلعوا طاعة الأمير المنصور، الذي تغلب عليهم بقفصة عام ٥٨٣هـ وشتتهم بعدها في مناطق المغرب المختلفة[١].

ضم الجيش الموحدي عناصر من (الأتراك) الغُز الذين كانوا قد عبروا الى المغرب مع قراقوش، فبعد إنتصار الموحدين على جيوش بن غانية زمن الأمير المنصور قام بالعفو عن الأتراك الغز الذين كانوا قد تحالفوا مع بني غانية، وأصبحوا من جملة جيشه، وجعل الأمير المنصور ميزة خاصة لهم لتشجيعهم لما رأى من شجاعتهم ونكايتهم بالعدو، فكان الموحدون يأخذون الجامكية* ثلاث مرات في السنة، أما جامكية الغز في كل شهر لا تختل[٢].

وقد شارك الغز في قمع ثورات قامت في بلاد السوس وقمع ثورة رجل من جزولة يدعى عبدالرحمن ابن الجزارة**. الذي تم قتله وإخماد ثورته[٣].

كذلك شكلت القوات الاندلسية جناحاً هاماً في الجيش الموحدي بالاندلس وشاركت في جميع الغزوات والحروب التي قامت بها الجيوش الموحدية ضد الممالك المسيحية، وقد اجتازت هذه القوات بقوتها وشجاعتها القتالية وتقاتل في طلائع

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٦١. [illegible]

* الجامكية: وهي مرتب خُدّام الدولة من العسكرية.

(٢) المراكشي، المعجب، ص٣١٥؛ مجهول، الحلل الموشية، ص١٣٢؛ المقدسي، الروض، ج٢، ص٢١٨ ـ ٢١٩.

** عبدالرحمن بن الجزارة، قام بثورة في عام ٥٩٧هـ ضد الموحدين ولم ينجح، قتل وسير برأسه إلى مراكش. المراكشي، المعجب، ص٣١٥.

(٣) المراكشي، المعجب، ص٣١٥.

الجيوش الموحدية لخبرتها بالطرق القتالية والخدع الحربية الخاصة بالممالك المسيحية[١].

وقد شارك في الحملات العسكرية مجموعات كبيرة من العبيد الذين كانوا مقربين من الأمراء الموحدين، حيث يقومون بحراسة خيمة الأمير ويستميتون في الدفاع عنه[٢].

وعلى غرار الجيوش الاسلامية فكان يضم الجيش الموحدي مجموعات كبيرة من المتطوعة الذين كانوا يعتمدون على الغنائم والمنح والاكراميات وكان التحاقهم بالجيش لتأدية فريضة الجهاد[٣].

وكثيراً ما كان يلجأ أمراء الدولة الموحدية باستنفار الناس ودعوتهم للجهاد، ففي عام ٥٩١هـ/ ١١٩٥م قام الأمير المنصور باستنفار أهل المغرب من غير إكراه، فأتاه من المطوعة جمع عظيم[٤].

وقد رافق الجيش بعض أسرى الحروب من المرابطين والاسبان الذين كان دورهم تقديم الخدمات للجيش الموحدي، إضافة لمرافقة الأطباء الذين كان لهم دور في علاج مرضى الجند والمصابين منهم اثناء المعارك[٥].

---

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص٦٣٦؛ فايزة كلاس، الجيش عند الموحدين، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، ع٢٩، ص٢٠٥.

(٢) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص١٣٨؛ الانضاري، فهرست الرصاع، ص٤٩٠.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٥٥.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص١٧٤.

(٥) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٥٣٤؛ ابو دياك، فنون القتال، ص٢٣٩؛ بوتشيش. الجاليات المسيحية بالمغرب، ص٨٣.

ب ـ الامرة:

كان الأمير الموحدي هو القائد العام للحملات والغزوات الكبرى بالمغرب والاندلس، وفي بعض الأحيان كان ينوب عنه أحد أبنائه أو أحد أشياخ الموحدين، أو من قادة القبائل، ففي عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٥م قام الأمير عبدالمؤمن بن علي بإرسال ثلاثة من الجيوش الموحدية الى الأندلس مسنداً قيادة الجيش الأول للقائد بدران بن محمد المسوفي والجيش الثاني بقيادة القائد موسى بن سعيد والجيش الثالث بقيادة القائد عمر بن صالح الصنهاجي[١].

وكان قبيل نشوب المعركة أو الغزو، يعقد مؤتمراً حربياً لوضع خطة حربية ويستمع خلاله الأمير الموحدي الى آراء قادته وقادة فرقه[٢].

جـ ـ الراية:

إتخذ الموحدون خلال فترة حكمهم مجموعة من الرايات كشعار يمثل الدولة ويميّز كل فرقة عسكرية وكل قبيلة، وكانت هذه الرايات مختلفة من حيث الألوان والأدعية المكتوبة عليها، فقد اتخذ المهدي بن تومرت لجيشه منذ البداية علماً لونه أبيض كتب على أحد وجهيه: (الواحد الله، محمد رسول الله، المهدي خليفة الله) وكتب على الوجه الآخر (وما من إله إلا الله، وما توفيقي إلا بالله وأفوض أمري الى الله)[٣].

أما في عهد الأمير المنصور فقد كتب على علمه (لا إله إلا الله، الملك لله) وسمّاه المنصور[٤].

---

(١) د. عصمت دندش، الاندلس في نهاية المرابطين، ص١٤٧.

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦٣٢.

(٣) مجهول، الحلل الموشية، ص١٥٢ ـ ١٥٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٦٠.

(٤) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص١٣٩.

د ـ مسير الجيش:

اهتمت الدولة الموحدية في عرض المقاتلة قبل الخروج الى جبهات القتال لتأكد من مدى استعدادهم، وقد ذكرت لنا بعض المصادر العربية[١] طريقة مسير الجيش الموحدي، والتي تبدأ السير عقب صلاة الصبح علي صوت طبل الرحيل، ومن ثم يركب الأمير فرسه ويمشي الى جانبه رجلان مقلدين بسيفين يمسك أحدهما بركابه اليمين والآخر بركابه اليسار ويجتمع من حوله الأشياخ والاعيان، وأكابر دولته، مثل أصحاب الرأي العشرة ثم يليهم أعيان الجند مقلدين السيوف، ويمشي في هؤلاء قاضي الجماعة بالاضافة لكثير من الموحدين أقارب الأمير وأبناءه ثم يتقدم أهل كل صناعة ومعهم الدرق والسيوف والعلم الأبيض المسمى العلم المنصور، ثم أهل الأسواق ثم باقي القبائل.

ويتقدم الموكب الخلفي مصحف عثمان وهو في تابوت مغلف بصفائح الذهب والمرصع بالياقوت الأحمر موضوع في هودج[٢]. ثم يتبعهم الطبول المرتبة والتي لها فرقة خاصة وأنظمة معينة[٣].

أما اذا ضاقت الطريق في المسير مشوا كيفما شاؤوا وأرادوا، فاذا كان وقت النزول، نزلت كل قبيلة في منزلها، وتضرب قبة الأمير، والعلم عليها، ويقف من حوله العبيد بأيدهم حراب في رؤوسها رايات من حرير[٤].

---

(١) مجهول، الحلل الموشية ص١١٥؛ ابي عبدالله محمد الانصاري، (ت ٨٩٤هـ)، فهرست الرصاع، تحقيق محمد العنابي ، دار الكتب الوطنية، تونس، د.ت، ص٤٩.

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦٣٣.

(٣) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٧٤؛ مجهول، الاستبصار، ص٢٤٠؛ مجهول؛ الحلل الموشية، ص٤١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٦٠.

(٤) الانصاري، فهرست الرصاع، ص٤٩٠.

هـ - الخطط العسكرية:

كان الأمير الموحدي يقود الجيوش في الحملات والغزوات الكبرى، في المغرب والاندلس، وكان قبيل نشوب المعركة أو بداية الغزو يعقد مؤتمراً حربياً لوضع خطة الغزو ويستمع الى آراء قادته ونصحهم حتى يتمكن من الانتصار. وكان لآراء القادة الاندلسيين الدور الكبير في تحقيق الانتصارات لخبرتهم بالطرق القتالية والخدع الحربية الخاصة بالممالك المسيحية[1].

وقد إمتازت الخطط العسكرية عند الموحدين بتفوقها في فن الحصار ومقدرتها على اقتحام المدن المنيعة، بواسطة قصفها بآلاتهم المدمرة من مجانيق كبيرة تقذف الحجارة، والكرات الحديدة الملتهبة التي كان يصحبها دوي كالرعد[2].

أما الخطط العسكرية عند المواجهة المباشرة للعدو فقد كانت على أساس نظام التربيع الذي أخذه الجند الموحدي عن قبائل الغز المنضمة اليهم، ويتمثل هذا النوع بصناعة دارة مربعة في بسيط المعركة ، يقف من جهاتها الاربع صف من الرجال بأيدهم القنا الطوال ومن ورائهم الدرق والحراب صفاً ثانياً ومن ورائهم الرماة صفاً رابعاً. وفي وسط المربعة ترابط قوى الفرسان، وكانت صفوف الفرسان تخصص لها أمكنة معينة في جميع جوانب المربع وتفتح لها مخارج سريعة تستطيع ان تنطلق منها ثم تعود الى أماكنها الداخلية دون ان تخل بنظام المشاة[3].

وقام الجيش الموحدي بزرع الالغام في المناطق الضعيفة والتي كانت تتمثل

---

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦٣٦؛ هوبكنز، النظم الاسلامية، ص١٥٥.

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦٣٩.

(٣) مجهول، الحلل الموشية، ص١٣٢؛ علام، الدولة الموحدية، ص١١٢ - ١١٣؛ هوبكنز، النظم الاسلامية، ص١٤٨، ١٥٥، ١٧٣.

بالصنانير والخوازيق الحديدية[١].

و - التسليح والتموين:

كان على المقاتل الموحدي أن يقوم بتجهيز نفسه بالعدة والسلاح اللازم للقتال وغالباً ما كانت الدولة الموحدية تحدد نوعية السلاح المطلوب من كل مقاتل فكان الجيش الموحدي اذا خرج للقتال ألزم كل مقاتل أن يتسلح بالاسلحة الخاصة بفرقته ويتمون بالمؤن الذي يكفيه.

ونظراً لأن المقاتل كان يجهز نفسه من العطاء، فقد قامت الدولة الموحدية بصرف الأجور والعطاء للجند. قبل الخروج ليتسنى لهم تجهيز انفسهم[٢].

ومع ذلك فقد كان الدور الكبير في تأمين الاسلحة والتموين للجيش الموحدي يقع على عاتق الدولة فقد كانت تقوم الدولة الموحدية بتوزيع الاسلحة والكساء الكامل لجندها من مغفرة* وعمامة، وقسطة ووشقة، كذلك أهتمت الدولة باقامة مصانع الاسلحة في الولايات المختلفة، واعتنت باستجلاب الخيل والاسلحة من رماح ودروع وتروس وملابس حيث توزع على الجند وفقاً لنظام معين[٣].

فقد أمر الامير عبدالمؤمن بن علي بإعداد القمح والشعير لتموين المقاتلة، ويذكر ابن صاحب الصلاة الذي عاش زمن الموحدين انه رأى التموين (مكدساً

---

(١) اشباخ، تاريخ الاندلس، ص٣٦١.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٥٦؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٢٢٢؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص١٤١؛ المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٦٨.

* المغفرة: وهي زرد ينسج من حلقات الدرع على قدر الرأس ويلبس تحت القلنسوة. المقّري، نفح الطيب، ج٢، ص٧٠.

(٣) ابن عذاري، البيان، المغرب، ق٣، ص٦٦، ٨٤.

كأمثال الجبال، بما لم يتقدم لملك قبله ولا سمعنا به في جيل من الاجيال)[١].

وقد اهتمت الدولة الموحدية في شحن القلاع والحصون بما يلزمها من الخيل والرجال والمؤن للوقوف في وجه اي حصار محتمل[٢].

على الرغم من تحمل الدولة الموحدية العبيء الأكبر في تسليح وتموين الجيش، الا ان الأمير الموحدي كان يُلزم القبائل في المشاركة بتقديم حصص من الخيل والرجال والطعام لديوان العسكر الذي يقوم بدوره في توزيع الحصص على الجند[٣].

وأهتمت الدولة الموحدية بالزراعة في الاندلس، فقد أمر الأمير عبدالمؤمن بن علي باستصلاح الأراضي في جبل طارق (جبل الفتح)، كذلك فعل الأمير ابي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن باستصلاح الأراضي الواسعة في مدينة اشبيلية وعني بجلب الماء اليها من الوادي بواسطة القنوات تحت الارض، حتى يكون لها دور في تموين الجيوش العابرة للأندلس[٤].

كذلك اصطبحت الحملات الموحدية مجموعة من الاسواق التي كانت تعرض بضائعها بالقرب من معسكرات الجند، حيث كان الجندي الموحدي يقوم بالشراء والتزود منها بكل ما يلزمه من تموين أو سلاح قبل الرحيل نحو أرض المعركة[٥].

---

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص١٤٨.

(٢) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٢٠١؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٤٣.

(٣) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٢٣٤.

(٤) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص١٣٣٠؛ ابو رميلة، علاقات الموحدين، ص٤٨٠.

(٥) الانصاري، فهرست الرصاع، ص٤٩٠.

وكانت الدولة الموحدية تقوم بعمل العديد من قواعد التموين في مدينة سلا وسبته ومدينة الفتح، كذلك قامت ببناء الاساطيل الخاصة التي تقوم بنقل الجند والتموين والاسلحة[١].

أما طبيعة الاسلحة الموحدية فهي متنوعة فمنها الفردية التي ضمت السيوف* والرماح** والسهام وأما الجماعية فقد ضمت المجانيق وأسلحة الحصار والسلالم.

ز - زي المقاتل الموحدي:

لقد اختلفت أزياء المقاتلة الموحدين واختلفت اشكالها وألواها فقد ذكر القلقشندي[٢] الفرق بين لباس الاشياخ وبقية الجند من خلال قوله: (ولا يمتاز الاشياخ الواقفون والجند الا بشيء واحد لا يكاد يظهر ولا يبين وهو صغر العمائم وضيق القماش).

أما بالنسبة للعبيد** فقد كان زيهم يتمثل بالجباب البيض مقلدين بالسيوف وبأيديهم الحراب[٣].

---

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٢٤٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٠١.

* اتقن الموحدون صناعتها، وكانت تسمى السيوف القضب. ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٢٧٤.

** استخدمت في الرمي من على ظهور الجياد وكان رؤوسها على عدة اشكال، واختلفت اطوالها، واطلق عليها تسمية المزاريق والمربوعات، وصل طول بعضها عشرة أذرع. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص١٤١؛ د. مصطفى ابو ضيف، اثر العرب في تاريخ المغرب، ط١ مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٣، ص٢٨٦.

(٢) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص١٣٨.

*** يقال لها (جناوة وقناوة) الانصاري، فهرست الرصاع، ص٤٩٠.

(٣) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص١٣٨.

ح ـ المراكز العسكرية: ـ

اهتمت الدولة الموحدية بوسائل الدفاع لمنع توغل الممالك المسيحية في الأراضي الأندلسية، فقد قام الأمير عبدالمؤمن بن علي ومن بعده الأمراء الموحدين بإنشاء القلاع والحصون والرباطات التي كانت مستمرة الحراسة ليلاً ونهاراً للحيلولة دون وقوع اي هجوم مباغت، وكانت تشعل النيران ليلاً وتستخدم الطبول الضخمة نهاراً[١].

استمر الأمراء الموحدين بشحن هذه القلاع بما يلزمها من الخيل والجند والتموين وكان يعطى الاجناد في هذه المناطق الأموال الكثيرة بدلاً عن خدمتهم فيها[٢].

وللمحافظة على أمن الطرق من وإلى المراكز العسكرية التي أقامتها الدولة الموحدية، حوت الطرق مراكز كبيرة ومتتالية كان لها أهمية في تقديم الخدمات للجند، فيذكر ان مدينة سلا بنيت بها الحمامات والفنادق لاستراحة الجند قبل الجواز الى الاندلس كذلك كان يقابلها على بر الاندلس المراسي المجهزة بكل ما يلزم المقاتلة من تموين او سلاح لإمداد الجيوش الذاهبة والعائدة[٣].

ومن أهم المراكز العسكرية التي قام ببنائها الموحدين في الاندلس مدينة الفتح التي كانت مركزاً ومعسكراً للجيش فقد ذكر ابن صاحب الصلاة انها (منزلاً للأمراء

---

(١) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، ص٣٣٩.

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦٣٣.

(٣) مجهول، الاستبصار، ص١٤٠ ـ ١٤١؛ ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٢٠٠؛ مجهول، الحلل الموشية، ص١٥٥.

عند إجازة العساكر ومحلاً ريثما تتقدم الرايات المظفرة والاعلام المنشورة)[١].

ط- معاملة الأسرى:

خلفت المعارك الواقعة بين الموحدين والممالك الاسبانية العديد من الاسرى من الجانبين وغالباً من كان يتم إطلاق سراجهم إما عفواً، أو عن طريق تبادل الاسرى، فيذكر ان الافراج عن الاسـرى من الطرفين كان يتم بواسطة الفكاك الذي يتولى أمر الأسرى فكان يحمل المال الى الاسبان لافـتداء أسرى المسلمين وإعادتهم الى أهلهم وبلادهـم[٢].

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٨٤ ـ ٨٥.

(٢) بن صـاحب الصلاة، المـن بالامامـة، ص٣٩٣ ـ ٣٩٤؛ ابن عـذاري، البـيان المغـرب، ق٣، ص١١٦.

الفصل الثاني

اشهر الممالك الإسبانية في شمال الأندلس وتطورها زمن الموحدين

١ ـ مملكة قشتالة (Castile)

٢ ـ مملكة ليون (Leon)

٣ ـ مملكة آرغون (Aragon)

٤ ـ مملكة نبرة (Navarra)

٥ ـ مملكة البرتغال (Portugal)

تمهيد:

أتم المسلمون فتح معظم بلاد الاندلس في العقد الاخير من القرن الاول الهجري، ووصلوا المناطق الشمالية والشمالية الغربية من شبه الجزيرة الايبيرية، وأوغلوا في الجبال الصخرية المفيضة إلى سواحل جبال كنتبريه المطلة على المحيط الاطلسي، ومع ذلك لم يفرضوا سلطانهم بشكل فعال على مناطق الركن الشمالي الغربي المسمى باقليم اشتريش* (Asturias) في جليقة** (Galica)، لوعورة المنطقة وقساوة مناخها[1].

اسغلت فلول القوط*** المنهزمة هذه الظروف ولجأت إلى الجبال واختفت

* واشتريس: احدى مدن جليقة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٥٧.

** جليقة: (Galicia) وتقع في شمال الاندلس في جهة اقصى الغرب من شبه الجزيرة الايبرية، وتحاذي حدودها من جهة الغرب المحيط الاطلسي، وخليج بسكاية وجهة الشمال وتجاورها من الجنوب حدود بلاد البشكنس ومدينة ليون، من اشهر مدنها شنت ياقوب واشتريش. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٥٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٦٩؛ شكيب ارسلان، الحلل، ج٢، ص٥٨.

(١) عبدالواحد ذنون طه، قيام الممالك الاسبانية وعلاقتها مع العرب في الاندلس، مجلة اوراق، ع٥، ١٩٨٢، ص٨٩.

*** القوط: ويقصد بهم قبائل القوط الغربيين الذين هاجروا في آواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الميلادي من اسكندنافيا، عبر البلطيق واستوطنوا منطقة شمال غالية (جليقة) وشبه الجزيرة الايبيرية، وكانوا يمثلون اقلية من السكان الاصليين لهذه الجزيرة. رجب، العلاقات بين الاندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني امية وملك الطوائف، ص١٩٥؛ ج.م. ولاس هادريل، اروبا في العصور الوسطى، تعريب د. حياة الحجي، ط١، الكويت ١٩٧٩، ص١٤٩ ـ ١٥؛ د. فهمي جدعان، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى، ط١، وزارة التربية والشباب، سلطنة عمان ١٩٨٥، ص٧١ ـ ٧٢.

فيها تنتظر الفرصة المواتية للتجمع والاستعداد لمقاومة الفتح العربي للاندلس، عن طريق تجميع فلولها لتكوين كيان لنفسها يستطيع مع الايام أن يناهض المسلمين في الاندلس وينقلب من حالة الدفاع إلى الهجوم(١).

تجمعت فلول القوط في جبهتين الاولى هضاب كانتبرية في الطرف الغربي من الجبال بزعامة الدوق بطرة (Pedro)، والثانية منطقة جليقة واشتريش بزعامة القائد القوطي بلاي (Pelayo)(٢).

اصبح لهذه التجمعات شان كبير وأهمية عند اتحادها على اثر زواج الفونسو ابن بطرة من ابنة بلاي، وبدأت تزيد مساحتها مستغلة انشغال المسلمين بالتمردات* الداخلية في الاندلس(٣).

أعتبر الفونسو المذكور المؤسس الحقيقي لنواة الممالك الاسبانية المسيحية في الشمال واصبح يوسع مناطق سيطرته التي شملت المناطق الشمالية الغربية من الاندلس حتى نهر دويره(٤).

---

(١) فهمي جدعان، تاريخ اوروبا، ص٧٢؛ حتي، تاريخ العرب، ج٢، ص٢٧٧؛ خير الدين التونسي، اقوام المسالك، ص٦٣٥.

(٢) السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، ص١٣١ ـ ١٣٢؛ عنان، عصر المرابطين، ق١، ص٢٠٨ ـ ٢١٠.

* تمثلت هذه التمردات في ثورة القبائل العربية بقيادة العلاء بن مغيث الجذامي، وثورة البربر بقيادة شقيا بن عبدالواحد المكناسي. مجهول (ق٩هـ)، أخبار مجموعة في فتح الاندلس، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ص١٠٣، ١٠٧، ١١١.

(٣) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٣٢٣؛ د. حسين مؤنس، فجر الاندلس، ط٢، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الدمام، ١٩٨٥، ص٣٤٤.

(٤) د. حسين مؤنس، فجر الاندلس، ص٣٤٥؛ السامرائي، تاريخ العرب وحضاراتهم في الاندلس، ص٢١٧.

تابع خلفاء الفونسو توسعاتهم في الاراضي الاندلسية من خلال استغلالها للظروف التي كانت تعاني منها الاندلس من ثورات وتمردات في مختلف عصورها، لدرجة انه في بعض الاحيان كان يقوم بعض امراء المدن الاندلسية (في عصر الطوائف)* الاستعانة بملوك الممالك المسيحية الناشئة مقابل التنازل لهم عن بعض القلاع والحصون والمدن الحدودية المهمة[1].

تابعت المالك المسيحية في التطور حتى وصلت في عهد دولة الموحدين إلى خمسة ممالك تمثلت بـ: ـ

١ ـ مملكة قشتالة (Castile)

٢ ـ مملكة ليون (Leon)

٣ ـ مملكة آرغون (Aragon)

٤ ـ مملكة نبرة (Navarra)

٥ ـ مملكة البرتغال (Portugal)

ذهبت كل مملكة من هذه الممالك بالاستقلال وأتبع كل ملك منها هواه الخاص، ومنفعته الخاصة، من حيث التبعية، فقد فضل ملك نبرة أن يكون ضالعاً مع فرنسا، بينما فضل ملك أرغون أن يكون ضالعاً مع صقلية ونابولي وسردينيا.

---

* عصر الطوائف: وهو لقب أطلقه المؤرخين على الفترة التي مر بها المسلمون في الاندلس بعد سقوط الخلافة عام ٤٢٢هـ، حيث انقسمت الى مجموعة دويلات عرف رؤسائها بملوك الطوائف، كان منها (بني جهور في قرطبة، بني عباد في اشبيلية، بني الافطس في بطليوس، وغيرهم) انتهت على يد المرابطين.

(١) ابن الخطيب، اعمال الاعمال، ص١٤٤؛ د. حسين مؤنس، فجر الاندلس، ص٣٤٥.

لقد قامت كل مملكة بالبحث عن مصالحهـا الخاصة غير مكترثة بما كانت تؤدي تلك المصالح من نزاعـات فيمـا بينها دون التفكيـر في خطة لوحدة اسبانيـا أو اتحاد ايبري[١].

في هذه الفـترة ـ وجـود الموحـدين بالاندلس ـ بدأت البـابوية تدعـوا لقيـام وحدة ما بين هذه الممالك، فقد قام البابا أنوسنست* بدعوة هذه الممالك إلى طرح عداوتها جانباً وأن تحزم قواتها في حركة سميت بحركة الاسترداد (Reconquesta) لاخراج المسلمين من الاندلس[٢].

(١) هـ.أ. ل. فيشر، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى، تعـريب محمد مصطفى زياده وآخرون، دار المعـارف في مصر، القاهرة ١٩٥٧م، ج٢، ص٣٩٦؛ يوسف اشباخ، تاريخ الاندلس في عـهد المرابطين والمـوحدين، ط٢، ترجمة مـحمـد عبـدالله عنان، مؤسـسة الخانجي، القاهرة ١٩٨٥، ص٢٥٥.

* البـابا أنوسنست: ولد في أنـاني قرب رومـا، كـان اسـمـه قبـل توليـه المنصب لوثاريو، درس الفلسـفة واللاهوت في باريس، وفي الثـلاثين من عمـره اصبح كاردنيـال، وفي سنة ١١٩٨م انتخب لمنصب البـابوية، وكان له دور في الحروب الصليـبية في المغرب والمشـرق العربي. د. عبدالقادر احمد يوسف، العـصور الوسطى الاوروبية، (٤٧٦ ـ ١٥٠٠م)، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٦٧، ص٢٤٣.

(٢) فيشر، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى، ص٣٩٣؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٥٩٠؛ مونتغمري وات، في تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص١١٩.

أولاً: مملكة قشتالة (Castile)

١ - بداية التكوين:

تشكلت هذه المملكة في شمال الاندلس وسميت نسبة إلى قاعدتها قشتالة*، كانت تسمى قديماً (بردوليا) ثم سميت فيما بعد باسم قشتالة (Castilla)[(١)].

اصل هذه المملكة من مجموعة قلاع وحصون أقامتها مملكة ليون قديماً للحماية من هجمات المسلمين وعرفتها المصادر العربية بالقلاع أو ألبه والقلاع[(٢)].

سكنها البشكنس وأهل ألبه الذين حُكموا من قبل أمراء تابعين لمملكة ليون، وقاموا بمنحهم الحكم الذاتي ليتمكنوا من مواجهة الحملات الاسلامية الموجهة ضدهم[(٣)].

---

* قشتالة: وهي من القواعد الاندلسية الواقعة خلف جبال الشارات. الحميري، الروض المعطار، ص٤٨٣؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٢٦٠.

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٥٥؛ احمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والاندلس، ص٧٨.

(٢) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص١٣٥ ـ ١٣٦؛ احمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والاندلس، ص٧٨؛ عنان، الخلافة الاموية والدولة العامرية العصر الاول، القسم الاول، الثاني، مؤسسة الخانجي بالقاهرة، مطبعة لجنة التاليف، ١٩٦٠، ص٥٣٧ ـ ٥٣٨.

(٣) كانت عادة ملوك الممالك الاسبانية بمنح المدن عندهم الحكم الذاتي وانبثقت عن ذلك جمعيات تسمى كوارتز (Cortes) اي المحاكم (المجالس النيابية في الوقت الحاضر) للوقوف في وجه الهجمات الاسلامية او اطماع الاشراف والاسر المحلية التي كانت تطمح في السيطرة على الحكم كاسرتي كاسترو ولارا. اشباخ، تاريخ، ص٢٥٨؛ ول ديوارنت، قصة الحضارة (عصر الايمان)، مجلد ٤، ترجمة محمد بدران، جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٥٧، ج٤، ص٢٤٦؛ العبادي، في تاريخ المغرب والاندلس، لبنان، بيروت ١٩٧٨، ص٧٨.

أخذت هذه المملكة تتوسع على حساب الاراضي الاندلسية وأراضي الممالك المسيحية المجاورة لها، ففي عهد ملوك الطوائف استطاع الملك الفونسو السادس من احتلال مدينة طليطلة (Toledo) سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م واتخاذها عاصمة لمملكة قشتالة[١].

ومع سيطرة الدولة المرابطية على الاندلس عام (٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م)، قاموا بالاعداد لإرجاع مدينة طليطلة من السيطرة القشتالية ووقعت بين الفريقين معركة الزلاقة* في الثاني عشر من رجب ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م إنهزمت فيها قوى مملكة قشتالة وانتصر المرابطون الذين لم يتمكنوا من استعادة تلك المدينة[٢].

أعاد المرابطون الهجوم مرة أخرى على مدينة طليطلة واستطاعوا الانتصار على مملكة قشتالة مرة اخرى في معركة إقليش عام ٥٠١هـ/ ١١٠٨م وقتل سانشو (Sancho) ابن الفونسو السادس وولي العهد الوحيد، الأمر الذي أدى إلى وفاة الملك القشتالي المذكور بعد ثلاثة شهور من هذه المعركة كمداً على إبنه[٣].

ومع إنهيار دولة المرابطين في الاندلس كررت مملكة قشتالة الهجوم على المدن الاندلسية في محاولة زيادة مناطق نفوذها وسيطرتها، وبلغت هذه الهجمات من

---

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس، ص١١٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٢٥.

* الزلاقة (Sagrajas): تقع في شمال بطليوس، انتصر فيها المسلمون بزعامة يوسف بن تاشفين الامير المرابطي (ت ٥٠٠هـ) والمعتمد بن عباد (ت ٤٨٨هـ) على ملك مملكة قشتالة الفونسو السادس وذلك عام ٤٨٩هـ/ ١٠٨٦م. ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٥٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٣٠؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٣٢.

(٢) ابن الكردبوس، تاريخ، ص١١٥.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٣٥.

شـدتها انهـا وصلت إلى أحـواز مـدن قرطبـة واشـبيليـة وألقت الرعب في نفـوس أهلها[1].

وخلال وجود دولة الموحدين في الاندلس تناوب على حكم مملكة قشتالة أربعة من الملوك:

١ ـ ألفونسو السابع (AlfonsoVII) (السليطين) ٥٢٠ ـ ٥٥٢هـ/ ١١٢٦ ـ ١١٧٥م.

٢ ـ سانشو الثالث (sancho III) ٥٥٢ ـ ٥٥٣هـ/ ١١٥٧ ـ ١١٥٨م.

٣ ـ الفونسو الثامن (Alfonso VIII) (النبيل) ٥٥٣ ـ ٦١١هـ/ ١١٥٨ ـ ١٢١٤م.

٤ ـ فرديناند الثالث (Fernando III) ٦١١ ـ ٦٥٠هـ / ١٢١٤ ـ ١٢٥٢م.

٢ ـ الفونسو السابع* (السليطين)** وتقسيم مملكة قشتالة:

توفي الفـونسو السـادس ولم يترك له عـقب يرث مملكته، سـوى إبنتـه أوراكا

---

(١) مـجـهول، الحـلل الموشـية، ص٨٤؛ ابن الابار، المعجم، ص١٥٥؛ المقري، ازهار الرياض، ج٥، ص١٧١.

* ذكـر اسم هذا الملـك في المصـادر العـربيـة (السـليطين، ألفنش، الفنش الـكبيـر، ادفـونش، الانبـوطر، الأدفونش). ابن الكردبوس، تاريخ، ص١٢٠؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٥٠؛ ابن الخطيب، اعـمـال الاعـلام، ص٢٨٤؛ ابـن ابي زرع، روض القـرطاس، ص١٩٣؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٢٥٧.

** السليطين: وهو لقب أطلق عـليه لانه حكم مملكتين في آن واحـد (مملكة ليـون وقشتـالة)، أو تصغـير لكلمة سلطان (الملك الصـغير) في حين اطلقت الحـوليات المسيحـية (Rexparvus) الـتي تعني الملـك الصـغـيـر. ابن الابـار، الحلة السيـراء، ج٢، ص٢٥٠، هامش ١؛ ابن الكردبوس، تاريخ، ص١١٥؛

William. C. Atkinson: Ahistory of Spain and Portugal.p.76.

(Uraca) التي كانت قد رزقت من زوجها الأول الكونت ريمونديس البرجوني ولداً، هو ألفونسو السابع الذي قدر له أن يحكم مملكة قشتالة ويجتاز الأزمة الخطيرة التي واجهتها هذه المملكة[١].

واجهت ألفونسو السابع في بداية عمره العديد من المكائد والهجمات التي كان يدبرها من حوله بعض الأشراف وزوج أمه الثاني الفونسو المحارب ملك مملكة أرغون، بالإضافة إلى أمه التي كانت تطمح في عرش هذه المملكة[٢].

استطاع الفونسو السابع التخلص من هذه المكائد والدسائس بمعاونة أنصاره الذين طالبوا بحقه كوريث شرعي لعرش قشتالة والذين قاموا بمعارضة مشروع ملك أرغون ألفونسو المحارب لضم قشتالة إلى مملكته[٣].

كان من أبرز المعارضين لهذا المشروع الأسقف فرناندو أسقف مدينة طليطلة الذي قام بالغاء زواج الملك ألفونسو المحارب من الملكة أوراكا حيث تم الانفصال سنة ١١١٤م، ولحقه إنفصال مملكة قشتالة عن مملكة أرغون[٤].

بدأ ألفونسو السابع حكمه في السادسة من عمره لمنطقة جليقة وفي الثانية عشر من عمره إنضم اليه جزء من منطقة ليون وبعد عام أصبح ملك على كل قشتالة[٥].

تابعت مملكة قشتالة نموها وأزدهارها في عهد ملكها ألفونسو السابع وأصبحت

---

(١) اشباخ، تاريخ الاندلس، ص١٧٠.

(٢) ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٥٠، هامش ١.

(٣) اشباخ، تاريخ الاندلس، ص١٧٠ ـ ١٧١.

(٤) J.F. O'callaghan: Ahistory of Midieval Spain.p.231.

(٥) اشباخ، تاريخ الاندلس، ص١٧١.

مملكة قشتالة في عهده أكبر الممالك المسيحية رقعة وأوفرها قوة، لذلك قام الملك ألفونسو السابع بعقد اجتماع في عام ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م في مدينة بوغوس (Bogos) احدى مقاطعات ليون حضره كل من الاميرة برنجاريا وسانشا أخوات الملك المذكور وملك نبرة وسفراء من قطلونية وأرغون والبرتغال، وعدداً من أكابر الأشراف ورجال الدين من جميع أنحاء قشتالة، وأعلن فيه ألفونسو ريموندس السابع قيصراً لاسبانية[١].

استطاع الملك ألفونسو السابع من حكم مناطق واسعة ضمت إقليم ليون وفرض سيطرته على الممالك المسيحية المجاورة، وبعض حكام المدن الاسلامية المجاورة. وقد أشار ابن الخطيب إلى ذلك بقوله: «كان له سبعة من الملوك يخدمونه لا يعصون أمره بين مسلمين ونصارى»[٢].

وفي سنة ٥٤٧هـ/ ١١٥١م اجتمع ملك قشتالة ألفونسو السابع مع ملك مملكة أرغون ريموند برنجر الرابع في مدينة تطليه واتفقا في معاهدة سميت باسم معاهدة تطيلة على تقسيم الاندلس فيما بينهما وتحديد مناطق غزواتهما القادمة، فحصل ملك أرغون بموجب هذه المعاهدة على حق غزو شرقي الاندلس متعهداً أن يبقى تابعاً للملك القشتالي[٣].

---

(١) يقول ابن الخطيب (هو اول من تسمى إنبردور (امبراطور) ومعناها سلطان السلاطين)، اعمال الاعلام، ص٣٣٠؛ أشباخ، تاريخ الاندلس، ص١٧٧؛ وليام لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ترجمة د. محمد مصطفى زياده وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٩، ج٢، ص٦٤٤؛ سير توماس أرنولد، تراث الاسلام، ط٣، تعريب جرجيس فتح الله المحامي، دار الطليعة، بيروت ١٩٧٨، ص٥٥؛

William, C.Atkinson: Ahistory of Spain and Portugal.p.76.

(٢) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٣٣٠ ـ ٣٣١.

(٣) J.F. O'callaghan: Ahistory of Midieval Spain.p.232.

وفي أواخر عمره، قام الملك ألفونسو السابع بتوطيد دعائم السلم بين أفراد مملكته وأتخذ بعض التدابير المتعلقة بوراثة العرش من بعده حتى لا يصيب مملكة قشتالة اي ضرر أو نزاع بعد وفاته[١].

فقد عهد الملك القشتالي في حياته لولديه سانشو (Sancho) وفرديناند (Fernando) الإشراف على بعض المناطق والاقاليم في مملكته، فجعل الابن الاكبر سانشو يقوم بالإشراف على مملكة قشتالة وبسكونة والبرت، اما الابن الأصغر فرديناند فقد أشرف على ليون وأستراما دورو وجليقة واشتريس والبرتغال[٢].

وثق ألفونسو السابع العلاقات مع الممالك المسيحية المجاورة عن طريق عقد الاتفاقيات والمصاهرة، فقد تزوج سانشو إبن الملك ألفونسو السابع من شقيقة ملك نبرة دونيا بلانكا الذي نتج عنه توثيق العلاقات الطيبة بين المملكتين، كذلك قام الملك القشتالي بعقد المعاهدات مع الملك لويس السابع ملك فرنسا[٣].

وفي عام ٥٥٣هـ/ ١١٥٧م قام الملك ألفونسو السابع بالتعاون مع أمير شرق الاندلس محمد بن سعد بن مردنيش لنجدة نصارى المرية الذين تحاصرهم القوات الموحدية، لكنه عجز عن ذلك وعاد إلى بلاده يائساً حيث توفي أثناء عودته من

---

(١) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٣٣١؛ لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ج٢٥، ص٦٤٤؛ أشباخ، تاريخ الاندلس، ص٢٣٢.

٢) William. C. Atkinson: Ahistory of Spain and Portugal.p.77.

J.F. O'callaghan: Ahistory of Midieval Spain.p.235.

(٣) أشباخ، تاريخ الاندلس، ص٢٣٣؛ لانجر، موسوعة تاريخ العلم، ج٢، ص٦٤٤؛ أرنولد، تراث الاسلام، ص٢١.

مضيق موردال بالقرب من طليطلة وعمره ثلاثة وخمسون عاماً (٥٣) بعد ان حكم سبعة وأربعون عاماً[١].

٣- أوضاع مملكة قشتالة بعد وفاة الفونسو السابع حتى تولي فردنياند الثالث (Fernando III) :

بعد وفاة الملك ألفونسو السابع عام (٥٥٣هـ/ ١١٥٧م) ووفقاً لوصيته حكم قشتالة ابنه سانشو الثالث* (Sancho III) الملقب بالمحبوب، فكان نصيب سانشو عرش قشتالة والأراضي التابعة لها في أعالي نهر التاجة وعاصمتها طليطلة بالاضافة لذلك جعل له حق الجزية على مملكة أرغون[٢].

واجهت الملك سانشو الثالث في بداية حكمه العديد من الهجمات التي تمكن من الانتصار بها على خصومه.

تمثلت هذه الهجمات بهجمات ملك ليون فردنياند الثاني وهو الشقيق الاصغر له، كذلك هجمات ملك أرغون ريموند برنجر الرابع وملك نبرة سانشو السادس وألفونسو انريكيث ملك البرتغال الذين كانوا يطمعون بضم بعض الأراضي من مملكة قشتالة لأنفسهم[٣].

---

(١) أشباخ، تاريخ الاندلس، ص٢٣٣؛

J.F. O'callaghan: Ahistory of Midival Spain.p233-235; Claudio Sanchez - ALbornoz: Spain. Ahistory Enigma, Madrid, 1975, vol,2.p.271.

* ذكرته المصادر العربية (شانجة، شنجول). ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٣٣١؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس، ص٦٦، ٧٥.

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٥٨٣.

(٣) أشباخ، تاريخ الاندلس، ٢٥٧.

وفي سنة ٥٥٤هـ/ ١١٥٨م توفي ملك قشتالة سانشو الثـالث بعد فترة قصيرة من الحكم لا تتجـاوز السنة، تاركاً طفلاً صـغيراً في الثالـثة من العمر هو الفـونسو الثامن (Alfonso VIII) الوريث الوحيد لعرش مملكته[١].

مع هذه الأوضاع التي تعيشها مملكة قشتالة زادت أطماع الممالك المسيحية بها، لذلك قام معاوني الملك السابق بنشر وتطبـيق وصية الملك سانشو الثالث التي كانت تتضمن ما يلي[٢]:

١ ـ إبعاد ملكي نبرة وأرغون عن أي تدخل في حكم مملكة قشتالة.

٢ ـ عدم إختيـار ملك ليون فرديناند الثاني أو زوجتـه الملكة بلانكا للوصاية أو نيابة الحكم.

٣ ـ جعل الوصاية النيابية لجوترو فرنانديث سليل أسرة كاسترو القوية.

٤ ـ أن يحتفظ جـميع الأشراف بالقابهم ومناصـبهم حتى يبلغ ألفونـسو الثامن سن الرشد.

ونشاهد من هذه الوصية اسـتقلال مملكة قشتالة عن الممالك الاسـبانية الاخرى وعدم القبول بأي تدخل خارجي في أمورها الداخلية.

ونتيجة لهذه الوصية ظهرت الحرب الأهلية بين أسرتي كاسترو ولارا من الأسر القشـتالية المتنفـذة في الحكم ـ استمرت بـضعة أعوام، وانتـهت حينما بلغ الفـونسو

---

(١) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٣٣١؛عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٥٨٣؛
J.F. O'callagan: Ahistory of Midival Spain.p.235.

(٢) أشباخ، تاريخ الاندلس، ص٢٥٧.

الثامن الحادية عشر من عمره حيث أعلن ملكاً على قشتالة تحت كنف أسرة لارا القوية(١).

تولى ألفونسو الثامن* (Alfonso VIII) حكم مملكة قشتالة عندما بلغ الرابعة عشر من عمره وكانت مملكته في هذا الوقت من أكبر الممالك المسيحية مساحةً وأوفرها قوة(٢).

بدأ هذا الملك حياته بعقد الاتفاقيات مع الممالك المسيحية المجاورة، ففي عام ٥٥٦هـ/ ١١٧٠م قام الملك ألفونسو الثامن بالاجتماع مع الملك الأرغوني ألفونسو الثاني حيث أتفقا على تسوية سائر الخلافات فيما بينهما وعقدا حلفاً مشترك ضد باقي الممالك المسيحية(٣).

تابع الملك ألفونسو الثامن عقد الاتفاقيات مع الدول الاوروبية المجاورة، فقد عقد حلف مع ملك إنجلترا هنري الثاني وقام بمصاهرته بالزواج من ابنته الأميرة

---

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٥٨٣؛

J.F.O'callaghan: Ahistory of Midival Spain.p.235.

* ذكر في المصادر العربية (الفنش، الأدفنش، ابن الهنشة، القيش). ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص٣٠٦؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ص٣٩١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٢؛ ابن الفضل محمد بن علي بن نظيف الحموي (ت ٦٣٧هـ)، التاريخ المنصوري، تحقيق د. ابو العيد دودو، مراجعة د. عدنان درويش، مطبعة الحجاز، دمشق، ١٩٨٢م، ص١٠٢؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص١٥٣.

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٥٨٣ ـ ٥٨٤؛ أشباخ، تاريخ الاندلس، ص٢٥٨؛ ج.س. كولان، الاندلس، ط١، ترجمة ابراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠، ص١٢٦.

(٣) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٥٨٤.

لينور (Leonor) التي قدِمَت من إنجلترا في حاشية فخمة من الأحبار والفرسان الإنجليز[١].

. عاصر الملك ألفونسو الثامن دولة الموحدين في الاندلس وخاض معها الحروب التي كان منها معركة الأرك عام ٥٩١هـ/ ١١٩٥م وهُزم فيها شر هزيمة ونتج عنها عقد معاهدة مع الموحدين لحماية نفسه من هجمات مملكتي ليون ونبرة[٢].

وفي عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م اتحدت الممالك المسيحية وقادها الملك ألفونسو الثامن وبمعاونة من البابوية وشنت حرب ضد الموحدين التي سميت بمعركة العِقاب (Las Navas De Tolosa)وتم وصفها بأعظم حركة عدوانية.

توفي ألفونسو الثامن سنة ٦١١هـ/ ١٢١٤م تاركاً وراءه طفلاً في الحادية عشر من عمره إسمه هنري الأول (Hinry)، وعهد له بوراثة العرش القشتالي على أن تتولى أمه الملكة لينور الوصاية عليه حتى يبلغ السن التي تؤهله لحكم قشتالة لكنها توفيت بعد فترة قصيرة.[٣]

تولت الوصاية الملكة برنجيلا* (Bringella) التي عاشت في جو مليء بالصراعات والحروب والمنازعات على العرش، فقد قاومت أطماع أسرة لارا القوية، لكنها تنازلت عن الوصاية مقابل عدم إعلان الحرب على أي ملك وعدم

---

(١) سير توماس أرنولد، تراث الاسلام، ص٢١؛

J.F.O'callaghan: Ahistory of Midival Spain.p.23.

(٢) لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ج٢، ص٦٤٢؛ د. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والاندلس، ط١، دار مطابع المستقبل، القاهرة، ١٩٨٠، ص٣٧٩.

(٣) الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب، ج٣، ص٢٤٤ك

.J.F.O'callaghan: Ahistory of Midival Spain.p.253

* وهي أخت الملك الفونسو الثامن ومطلقة الملك الفونسو التاسع ملك ليون.

التنازل عن الأراضي للأتباع وعدم فرض اي ضريبة دون موافقة الملكة برنجيلا[١].

لم تحترم أسرة لارا هذه الشروط وحاولت الإطاحة بالملكة برنجيلا ومحاصرتها بقلعة أوتيلو (Otello) حيث إستغاثت وطلبت النجدة من زوجها السابق الفونسو التاسع ملك ليون، الذي بعث إبنه فرديناند الثالث لإنقاذ أمه[٢].

وفي سنة ٦١٢هـ/ ١٢١٧م توفي هنري الأول نتيجة إصابته بحجر في رأسه عندما كان يلعب في القصر.

وبعد إنقاذ فرديناند الثالث أمه الملكة برنجيلا والقضاء على مؤامرة أسرة لارا رحلا معاً إلى مدينة بلد الوليد (Valladolid) حيث أعلنت الملكة برنجيلا ملكةً على قشتالة ومن ثم تنازلت عن العرش لإبنها فردنياند الثالث[٣].

وبعد أن اصبح فردنياند الثالث ملكاً على مملكة قشتالة بدأ أول أعماله إنهاء الحروب الأهلية فيها، وقام بتنظيم الشؤون الداخلية فيها، فأصلح نظام الحكم والادارة وأصدر طائفة من القوانين البلدية لعدد من المدن القشتالية.

ومع وفاة الفونسو التاسع (٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م) ملك مملكة ليون قام فرديناند الثالث بكونه الوريث الشرعي لها بإعادة توحيد مملكة قشتالة وليون في مملكة واحدة مرة اخرى[٤].

ومع هذا الاتحاد بين المملكتين قام الملك فردنياند الثالث بمهاجمة الأراضي

---

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٥٩٢.

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٥٩٣.

(٣) ابن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٣٩١؛ عنان، عصر الموحدين، ص٥٩٣.

(٤) ابن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٣٩١؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٥٩٩.

الأندلسية واستولى على قرطبة في سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٣٦م، وعلى مدينة إشبيلية سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٨م واتخذها عاصمة لمملكته.

تابع هذا الملك توسعاته في المدن الانـدلسية واستولى على مدينة أبذة واستجة والعديد من الحصون مثل أركش وشذونة وقادس[١].

وفي عام ٦٥١هـ/ ١٢٥٤م توفي هذا الملك في الرابعة والخمسين من عمره بعد حكم دام ستة وثلاثين عام[٢].

---

(١) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج٤، ص٢٤٢؛

William.C. Atkinwon: Ahistory of Spain and Porugal .p.79.

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٥٩٨ ـ ٥٩٩.

ثانياً: مملكة ليون* (Leon)

١ - بداية التكوين:

تقع ليون في المنطقة الشمالية من شبه الجزيرة الايبرية التي تسمى اشتريس، فقد قام بتأسيسها القائد القوطي بلاي (Pelayo) متخذاً مدينه أبيط (Oviedo) عاصمة لها، وبعد هذا الحاكم توسعت هذه المملكة في المناطق القريبة منها ونقل حكامها العاصمة إلى مدينة ليون (Leon) حيث أصبحت هذه المملكة تعرف باسم مملكة ليون[1].

وخلال وجود الموحدين في الاندلس حكم من الملوك فيها:

١ ـ فرديناند الثاني (Fernando II) (الببوج) ٥٥٢ ـ ٥٨٤هـ/ ١١٥٧ ـ ١١٨٨م.

٢ ـ ألفونسو التاسع (Alfonso IX) ٥٨٤ ـ ٦٢٨هـ/ ١١٨٨ ـ ١٢٣٠م.

٢ - فرديناند الثاني وانفصال مملكة ليون عن قشتالة:**

حكم الملك ألفونسو السابع (السليطين) مملكتي ليون وقشتالة في مملكة واحدة. وقبيل وفاته قام بإقرار وصية تضمنت قسمة مملكة قشتالة الكبرى إلى مملكتين بين أبناءه سانشو الثالث وفرديناند الثاني الذي اختصه بمملكة ليون.

---

* ليون: وهي قاعدة من قواعد قشتالة، بها معاملات وتجارات. الحميري، الروض المعطار، ص٥١٤.

(١) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٣٢٢؛ د. حسين مؤنس، فخر الاندلس، ص٣٤٤.

** ذكر في المصادر العربية (الببوج). وتعني كثير اللعاب او الأبله (EL- Baboso). ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص١٥٣؛ المراكشي، المعجب، ص٣٢٠؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٧١؛ أشباخ، تاريخ الاندلس، ص٢٥٥.

مع وفاة الملك ألفونسو السابع عام (٥٥٣هـ/ ١١٥٧م) استقل فرديناند بمملكته عن مملكة قشتالة ولقب نفسه بالملك[١].

ضمت هذه المملكة في عهد ملكها فرديناند الثاني مناطق ليون وجليقة وأشتريش وجزء من أراضي استرا مادوره والبرتغال[٢].

وبالرغم من استقلال مملكة ليون عن مملكة قشتالة إلا أنها كانت مملكة ضعيفة تشق طريقها بصعوبة، ولم يكن لها شأن كبير في سير الحوادث الهامة في شبه الجزيرة الايبرية[٣].

وبعد اعلان مملكة البرتغال استقلالها عن مملكة قشتالة قام الملك فرديناند الثاني بمصاهرة ملك البرتغال ألفونسو إنريكيث (Alfonso Enriquez) وتزوج من إبنته الأميرة أوراكا وجعل مهرها المناطق التي استولي عليها البرتغاليون في جليقة[٤].

وفي عام ٥٧٥هـ/ ١١٨٠م تم تخطيط الحدود ما بين مملكة ليون وقشتالة وعقدت الاتفاقيات على التعاون المشترك على تحقيق فتوح المدن الاندلسية[٥].

٣ - ألفونسو التاسع وعودة الاتحاد مع قشتالة:

في سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م توفي الملك فرديناند الثاني وتولى من بعده عرش مملكة ليون ابنه ألفونسو التاسع، الذي بدأ حكمه كغيره من ملوك الممالك المسيحية

---

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٥٩٣.

(٢) أشباخ، تاريخ الاندلس، ص٢٥٥.

(٣) عنان: عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٥٩٤.

(٤) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٥٩٤.

(٥) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٥٩٤.

في القضاء على الثورات التي ظهرت في أنحاء المملكة والتي كان يحركها ملك قشتالة ألفونسو الثامن[١].

بقيت القطيعة ما بين مملكة قشتالة وليون وانتهت عندما تم اجتماع الملكين في مدينة كريون[٢].

وفي عام ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م قامت البابوية بتقريب ملوك الممالك المسيحية في تحالف موحد ضد الموحدين، حيث قام الملك ألفونسو التاسع بارسال المعونات الحربية من الرجال والمواد المساعدة وقدمها لمملكة قشتالة التي خاضت مع الموحدين معركة العقاب ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م.

وبعد وفاة الملك القشتالي ألفونسو الثامن سنة (٦١١هـ/ ١٢١٤م) ورث عرشه إبنه الصغير هنري الأول (Hinry I) وعهد بوصاية العرش إلى والدته الملكة لينور التي توفيت بعد فترة وجيزة. وبعدها تولى مسؤولية الوصاية الملكة برنجيلا شقيقة الملك ألفونسو الثامن ومطلقة الملك ألفونسو التاسع ملك ليون، إلا أنها لم تستطع السيطرة على زمام الحكم بسبب الصراعات التي واجهتها هذه الملكة مع الأسر القوية في مملكة قشتالة ومقتل الأمير هنري الأول وهو يلعب في ساحة القصر[٣].

استنجدت الملكة برنجيلا بزوجها السابق ملك ليون ألفونسو التاسع، وبالفعل

---

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٥٨٦؛

Rogen Le Tourneu: The AL Mohad Movement.p.85.

(٢) عنان، عصر الموحدين، ص٥٩٦؛ منغمرري وات، في تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص١١٩.

(٣) J.F. O'callaghan: Ahistory of Midival Spain. P. 252

قام بـنجدتهـا وبعث إليهـا إبنه فرديناند الثالث الذي استطاع السيطرة علـى عرش قشتالـة وبعدها تم تنصيب الملكة برنجيـلا ملكة على قـشتـالة ومن ثم تنازلت عن العرش لإبنها فرديناند الثالث[١].

وفي عـام ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م توفي الملـك الفـونسـو التـاسع وكـان قـد أوصى بالعرش لإبنتيـه سانشا ودولتي، حيث قامـتا بالتنازل عن العرش لأخيهـما فرديناند الثالث الذي كان ملكاً على عرش قشتالة[٢].

ونتيجة لهـذا التنازل تم إعادة اتحاد مملكتي قشتالة وليـون في مملكة واحدة مرة اخرى بعد أن قسمها الملك الفونسو السابع عام (٥٥٣هـ/ ١١٥٧م).

---

(١) W. Montogomry Wat: Ahistory of Islamic Spain.p.107.

(٢) عـنان، عصـر المرابطين والموحـدين، ق٢، ص٥٩٧؛ وات، في تاريخ اسبـانيـا الاسـلامية، ص١٢٢.

ثالثا: مملكة ارغون (Aragon)

١ - بداية التكوين:

تقع هذه المملكة في الجهة الشرقية من شبهة الجزيرة الايبرية، وشملت على كل من برشلونة (Barcelona) وقطلونية (Cataluna) وأرغون (Aragon)(١).

وتشكلت هذه المملكة نتيجة اتحاد برشلونة وقطلونية في عام ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م.

قام بحكم هذه المملكة الفونسو المحارب واتخذ له مدينة سرقسطة* (Zaragoza) عاصمة لمملكته، وعند ما قام هذا الملك بحصار مدينة إفراغة** في نهاية عهد المرابطين ولم يستطع من فتحها عاد إلى بلاده مغموماً حيث توفي عام (٥٢٩هـ/ ١١٣٤م) دون أن يترك وريثاً للعرش(٢).

وتناوب على حكم هذه المملكة زمن الموحدين في الاندلس:

---

(١) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٢٦١.

* سرقسطة: وهي في شرق الاندلس، تعرف بالمدينة البيضاء سيطر عليها الاسبان سنة ٥٠٢هـ. الحميري، الروض المعطار، ص٣١٧.

** افراغة: وهي مدينة بالقرب من لاردة بالاندلس، تقع على نهر الزيتون، حسنة البناء، لها حصن منيع، وبساتين كثيرة. الحميري، الروض المعطار، ص٢٤.

(٢) ابن القطان، نظم الجمان، ص٢١٨؛ عبدالواحد دنون، قيام الممالك الاسبانية، ص٩٣؛ أشباخ، تاريخ الاندلس، ص١٧٣؛ بيار غريمال، موسوعة تاريخ اوروبا العام، ترجمة انطوان أ، الهاشم، منشورات عويدات، بيروت ١٩٩٥، ص٣٦٤.

١ ـ راميرو الراهب (Ramiro) ٥٣١هـ / ١١٣٧م

٢ ـ ريموند برنجر الرابع (Ramon Brengare IV) ٥٣١ ـ ٥٥٧هـ / ١١٣٧ ـ ١١٦٢م.

٣ ـ ألفونسو الثاني (Alfonso II) ٥٥٧ ـ ٥٩٣هـ/ ١١٦٢ ـ ١١٩٦م.

٤ ـ بيدرو الثاني (Pedro II) الكاثوليكي ٥٩٣ ـ ٦١٠هـ/ ١١٩٦ ـ١٢١٣م؛

٥ ـ خايمي الاول (Jaime I) (الغازي) ٦١٠ ـ ٦٧٥هـ/ ١٢١٣ ـ ١٢٧٦م.

٢ ـ اوضاع أرغون في عهد راميرو الراهب حتى تولي ريموند برنجر الرابع:

مع وفاة ألفونسو المحارب سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م دون أن يترك وريثاً للعرش، قام الأروغنيون باستدعاء أخيه راميرو الذي كان منخرطاً في سلك الرهبنة، بعيداً عن السياسة لا يطمع في عرش هذه المملكة، لتنصيبه ملكاً على مملكة أرغون للحيلولة من أطماع مملكتي قشتالة وليون[١].

وبعد تنصيب راميرو ملكاً على أرغون اتخذ لقب ريموند الثاني وبدأ يحكم مملكته، ومع انصراف هذا الملك وإنخراطه في سلك الرهبنة لم يستطيع من السيطرة على أقاليم مملكته فقد تنازل عن سرقسطة بأكملها لمملكة قشتالة، كذلك قام النبرّيون بإعلان إنفصالهم عن مملكة أرغون في عام ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م ونادوا بغريسه راميروس ملكاً عليهم متخذين ببنبلونة عاصمة لهم[٢].

---

(١) اشباخ، تاريخ الاندلس، ص١٧٤؛ ابو رميلة، علاقات الموحدين، ص٣١٩ ـ ٣٢٠.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٩١؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٣٣٧.

ونتيجة لعدم مقدرة الملك راميرو مسك زمام الحكم في مملكة أرغون ملّ أهل أرغون من هذا الملك وطالبوا بتغيره، فاعتزم على أن يختار لإبنته بترونيلا (Petronilla) زوجاً ليستلم الحكم بدلاً منه، فقام ممثلي الشعب في أرغون باختيار الكونت ريموند ربنجر الرابع (Ramon Brengare IV) زوجاً للأميرة، وبذلك انتهت مشكلة عرش مملكة أرغون[١].

وفي سنة ٥٣١هـ/ ١١٣٧م اعتزل الملك راميرو الحكم والتجأ إلى سُكون الدير حيث عاش بعدها زهاء عشر سنوات وتوفي عام ٥٤١هـ/ ١١٤٧م .

ونتيجة لزواج الاميرة بترونيلا من الكونت البرشلوني ريموند برنجر الرابع اتحدت برشلونة وأرغون في مملكة واحد قوية مطلة على البحر ضمت كل من بروفانس (Provans) ومونبيليه (Monobleh) وأقاليم فوا ونييم وبزيه[٢].

بدأ الملك ريموند برنجر حكمه بعقد الاتفاقيات والمعاهدات مع الممالك الاسبانية فقد قام بعقد معاهدة مع مملكة قشتالة، لتوسيع ممتلكاته في منطقة جبال البرت والايبره[٣].

وكان له دور في رعاية فرسان المعبد وأغدق عليهم بالاموال[٤].

أمضى الملك ريموند برنجر حياته في حروب مستمرة مع مملكة نبرة واشرف على الفرنسيين في لانجيدوك وبرفانس وقام بتوسيع اراضي مملكته على حساب

---

(١) أشباخ، تاريخ الاندلس، ص١٧٩.

(٢) لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ج٢، ص٦٤٨.

(٣) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج٤، ص٢٤؛ كولان، الاندلس، ص١٣٦.

(٤) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٥٨٤.

الأراضي الأندلسية فاستطاع عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٩م من ضم مدينة لارده*.

وقد علا شأن هذه المملكة حيث قام الملك ريموند برنجر بإقامة العلاقات التجارية مع المدن الايطالية واليونانية[١].

وفي السادس من اغسطس سنة ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م توفي ريموند برنجر اثر مرض ألم به وهو في الخمسين من عمره[٢].

٣ - أوضاع أرغون بعد وفاة ريمون برنجر الرابع حتى تولي خايمي الأول:

بعد وفاة ريمون برنجر الرابع (٥٥٧هـ/ ١١٦٢م) ترك إبناً له في العاشرة من عمره لعرش مملكة أرغون يسمى ألفونسو الثاني، وعُهد بوصاية العرش لأمه الملكة بترونيلا حتى يبلغ السن القانونية التي تؤهله للحكم[٣].

ومع تولي الملكة بترونيلا الحكم في أرغون، قام بحكم منطقة قطلونية شقيق الملك السابق، أمير بروفانس الكونت برنجار (Brengaer)[٤].

وطدت الملكة بترونيلا الحكم في مملكة أرغون ودعمت السلام فيها ووثقت

---

* لارده: وهي ثغر في شرق الاندلس، بالقرب من مدينة وشقة. الحميري، الروض المعطار، ص٥٠٧.

(١) لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ج٢، ص٦٤٩؛ اشباخ، تاريخ الاندلس، ص٢٥٨.

(٢) اشباخ، تاريخ الاندلس، ص٢٦١.

(٣) عنان: عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٥٩٤؛ اشباخ، تاريخ الاندلس، ص٢٦١؛ William.C. Atkinson: Ahistory of Spain and Portugal.p.85.

(٤) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٥٩٤.

العلاقات الطيبة مع مملكة قشتالة وإنجلترا، وبعد فترة وجيزة قامت بالتنازل عن الحكم لإبنها ولقب بالملك[1].

على الرغم من الخلافات والمنازعات على مناطق النفوذ واقتسام اراضي نبرة بين ملوك قشتالة وأرغون فقد كانوا جميعاً يدركون أهمية تكتلهم ضد المسلمين في الاندلس، لا سيما وأن قوة الموحدين الفتية تزيد في كل يوم، لذلك، اتحدت قوة هذه الممالك في عقد معاهدة كاسولا (Cozola) في سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م حيث تم تقسيم أماكن السيطرة لكل من المملكتين، فقد خصت مملكة أرغون بالسيطرة على منطقة بلنسية، وسائر الأماكن القريبة منها، أما مملكة قشتالة، فكان لها السيطرة على سائر الأراضي الجنوبية من شبه الجزيرة الايبيرية[2].

ووفقاً لهذه المعاهدة حاول الملك ألفونسو الثاني مهاجمة مدينة بلنسية (Valencia) لكنه فشل لحصانتها ومناعتها.

وفي ٢٥ ابريل سنة ٥٩٢هـ/ ١١٩٦م توفي ألفونسو الثاني وتولى من بعده الحكم ابنه الصغير بطرة الثاني حيث عُهد بوصاية العرش لأمه الملكة سانشا (Sancha)[3].

وبعد تولي الملك بطره الثاني (Pedro II) العرش مملكة أرغون دب الخلاف مع

---

(١) الحموي، التاريخ المنصوري، ص١٠٢.

(٢) د. عبدالواحد ذنون، تحالف الممالك الاسبانية في الاندلس واثره على سقوط غرناطه، مجلة البحث العملي، الرباط، ع٣٤، ١٩٨٤، ص٦٣.

(٣) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦٠٣ ـ ٦٠٤؛

William, C. Atkinson: Ahistory of Spain and Portugal.p.85.

والدته، لكنه انتهى بعد احتفاظ الملكة الأم بالحصون الواقعة في قطلونية وفقاً لوصية والده[١].

وفي عام (٦٠٠هـ/ ١٢٠٤م) توجه الملك بطرة الثاني نحو روما وقابل البابا أنوسنت الثالث حيث قام بتتويجه ملكاً، في كنيسة القديس بطرس ومنحه الشارات الملكية واسبغ عليه درع الفروسية[٢].

ومن هنا نرى بأن العديد من ملوك الممالك المسيحية كانوا يقومون بالتوجه إلى البابا في روما لتتويجهم وإضفاء الصفة الشرعية في الحكم.

ومع إعلان الملك بطرة الثاني تبعيته للبابوية، وعودته إلى بلاده، قام في عام ١٢١٠م بمهاجمة بعض الحصون التابعة لبلنسية بمساعدة فرسان الراوية[٣].

وخلال فترة الهدنة المؤقته ما بين مملكة قشتالة والموحدين بعد معركة الأرك، تجدد التحالف ما بين مملكة قشتالة وأرغون للقيام بمحاربة الموحدين ودفع تيار فتوح المدن الاندلسية بأقصى ما يستطيع حيث تم اللقاء مع الموحدين وانتصروا عليهم في معركة العقاب (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م).

وفي سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م قامت معركة موريه ما بين مملكة أرغون وسادة فرنسا، لحماية أملاكها فيما وراء البرت، ونتيجة لهذه المعركة قتل الملك بطرة الثاني على يد رسولاً بابوياً بعد أن قامت البابوية باصدار عقوبة الحرمان ضده وضد أتباعه

---

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦٠٤.

(٢) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج١، ص٢٤٤؛ لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ج٢، ص٦٥١؛ د. عبدالقادر اليوسف، تاريخ، ص٢٤٢.

(٣) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٥٨٧.

الذي أطلق عليهم الملاحدة الألبيين[١].

وعند إنتهاء المعركة قام سيمون دي منفور (Semon de Monfor) أحد السادة الفرنسيين الذين قادوا الحروب ضد مملكة أرغون باحتجاز خايمي الأول (Jaime I) إبن الملك المقتول والوريث الشرعي لعرش أرغون، وتم الإفراج عنه بعد تدخل البابوية في عام ٦١١هـ/ ١٢١٤م.[٢]

تولى الملك خايمي الاول عام (٦١٠هـ/ ١٢١٣م) حكم مملكته في الخامسة من عمره، حيث استغل الاشراف ذلك في استعادة استقلالهم الإقطاعي، وقيام ثورتي أعمامه دون فرديناند ودون سانشو،لكن أوصياء العرش استطاعوا من اخضاعهما[٣].

وعندما بلغ الملك خايمي الاول (Jaime I) العشرين من عمره قام بتوجيه الحملات لاخضاع جزر البليار (ميورقة، منورقة، ويابسته) حيث تم ذلك سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م، وبعدها واصل تقدمه نحو المدن الاندلسية فسقطت بيده مدينة بلنسية عام ٦٦٣هـ/ ١٢٦٦م وكذلك مدينة مرسية التي قام باهدائها لملك قشتالة[٤].

تابع الملك خايمي الاول توسعاته واتجه نحو شمال افريقيا ودخل مدينة بجاية وتلمسان الا انه تراجع عنها بسبب معارضة النبلاء لذلك[٥].

---

(١) لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ج٢، ص٦٥١؛ ول ديورانت، قصة الحضارة، ج٤، ص٢٤٤؛ أرنولد، تراث الاسلام، ص٢١.

(٢) ابن الخطيب، الاحاطة، ج٢، ص٣٩١؛ اليوسف، العصور الوسطى الاوروبية، ص٢٥٦ ـ ٢٥٧.

(٣) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦٠٥؛ لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ص٦٥٣.

(٤) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج٤، ص٢٤٤؛ سيد يو، خلاصة تاريخ العرب، ص١٨٥.

(٥) لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ج٢، ص٦٣٥.

وهكذا استطاع هذا الملك أن ينتصر على المسلمين في المنطقة الشرقية للأندلس والجزائر الشرقية (البليار)،لذلك لقب بالغازي أو الفاتح (EL Conquistador)[(١)].

وبعد هذه المجموعة من الحملات الحربية طمع خايمي الاول في الاستيلاء على الجزء الجنوبي الغربي من فرنسا لكنه لم يقدر على ذلك لقوة ملك فرنسا لويس التاسع من التغلب عليه، كذلك حاول السيطرة على صقلية لاتخاذها قاعدة حربية ومركز تجاري لكن هذا الحلم لم يتحقق ايضاً[(٢)].

ومع قيام الحملات الصليبية على المشرق الاسلامي كان للملك خايمي دوراً في تجهيز هذه الحملات بالقوات والاساطيل البحرية التي وصلت إلى ثغر حيفا لمحاربة المسلمين[(٣)].

وفي سنة (٦٧٠هـ/ ١٢٧٦م) توفي الملك خايمي الاول وقسم مملكته بين ابنيه بيدور الذي كان من نصيبه حكم منطقة أرغون وقطلونية وبلنسية وخايمي الاصغر الذي كان نصيبه حكم الجزائر الشرقية (البليار) والامارات الفرنجية في ما وراء البرت[(٤)].

---

(١) عبدالواحد زنون، تحالف الممالك الاسبانية، ص٦٦؛ سير يو، تاريخ العرب، ص٣٤٥.

(٢) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج٤، ص٢٤٥.

(٣) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦٠٦.

(٤) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦٠٧؛ سيد يو، تاريخ العرب العام، ص٣٤٥.

رابعاً: مملكة نبرَّة (Navarre):

١ - بداية التكوين:

تقع هذه المملكة في المنطقة الجنوبية من جبال البرت في بلاد البشكنس بسكاية الجبلية (Biscays)، خضعت هذه المملكة قبل قيامها إلى سلطة النبلاء التابعين للفرنج وأمراء كنتبريه واشتريس [١].

ومن أول زعمائها غريسة الينجر الذي أقام هذه المملكة واتخذ بمبلونة* عاصمة لمملكته [٢].

لم يتمكن خلفاءه من توسيع حدودها على حساب الدولة الاسلامية في الأندلس أو الممالك المسيحية المجاورة، ويعود سبب ذلك إلى تفوق القوة الاسلامية في تلك الفترة، وعدم سماح الممالك المسيحية لها بتوسيع حدودها [٣].

٢ - انفصال مملكة نبرة عن مملكة ارغون :

بعد وفاة ألفونسو المحارب سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٤م وتولي راميرو الراهب عرش مملكة أرغون، لم يرغب النبرّيون من البقاء تحت حكم هذا الملك الراهب الذي لم

---

(١) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٢٦١؛ عنان، الخلافة والدولة العامرية، ص٣٦٤؛ الحجي، التاريخ الاندلس، ص٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٢) د. رجب محمد عبدالحليم، العلاقات بين الاندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني امية، ص٩٠ ـ ٩١؛ السامرائي، الثغر الأعلى الاندلسي، ص١٦١.

* بنبلونه (Pamplona): مدينة بالاندلس بالقرب من سرقسطة، تقع بين جبال شامخة. الحميري، الروض المعطار، ص١٠٤.

(٣) محمد نايف العمايرة، مراحل سقوط الثغور الاندلسية بيد الاسبان، رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية، عمان ١٩٨٩، ص٩٠.

يستطيع أن يحمي حدود مملكته من أطماع الممالك المسيحية الأخرى، لذلك قاموا بإعلان استقلالهم وانفصالهم عن مملكة أرغون وأقاموا مملكة نبرة تحت حكم ملكها غريسه حفيد سانشو الكبير[١].

ومع وفاة الملك غريسه سنة ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م تولى الحكم من بعده إبنه سانشو السادس (Sancho VI) المعروف بالعالم (EL Sabio)، حيث بدأ حكمه باشعال الفتن بين إبني القيصر الفونسو السابع (فرديناند وسانشو الثالث) لاسترداد بعض الحصون والقلاع التي استولت عليها مملكة قشتالة في ولاية (يورخا)[٢].

٣ ـ أوضاع مملكة نبرة في عهد الملك سانشو السابع:

بعد وفاة سانشو السادس (٥٤٤هـ/ ١١٥٠م)، تولى الحكم الملك سانشو السابع (Sancho VII) الملقب بالقوي، الذي بدأ حكمه بخوض مجموعة من المعارك ضد مملكتي أرغون وقشتالة، وقام بمحالفة الموحدين والاستغاثة بهم[٣].

وفي سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م تم عقد حلف مشترك ما بين ملوك مملكة أرغون وقشتالة ونبرة في اجتماع وادي الحجارة متفقين على غزو الاندلس والتعاون معاً على قتال المسلمين، ونتج عنه الانتصار في معركة العقاب سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م[٤].

---

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦٠٧؛ أشباخ، تاريخ الاندلس، ص١٧٤.

(٢) أشباخ ، تاريخ الاندلس، ص٢٥٦.

(٣) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦٠٨؛

J.F. O'callaghan: Ahistory of Midival Spain.p.244.

(٤) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦٠٨؛

W. Montogomry Wat: Ahistory of Islamic Spain .p.107 - 108.

عاش الملك سانشو السابع بعد معركة العقاب زهاء عشرين عاماً، وكانت مسالة الوراثة للعرش تزعجه لانه لم يكن له عقب يرث العرش، فقام بترشيح الملك الأرغوني خايمي الاول لوراثة العرش وعقد معه معاهدة تطيلة لتحقيق هذا الغرض في سنة ٦٢٧هـ/ ١٢٣١م[١].

وفي سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٤م توفي سانشو السابع، ولم يقم الملك خايمي الاول ملك أرغون من تنفيذ المعاهدة لانشغاله بافتتاح بلنسية وخشيته من التعرض لمشاكل هو في غنى عنها[٢].

---

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦٠٨.

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦٠٨.

خامساً: مملكة البرتغال* (Portugal):

١ - بداية التكوين:

نتيجة لهجمات الممالك المسيحية على المدن الاندلسية الواقعة في الجهة الغربية قام مجموعة من الفرسان بتشكيل بعض الأمارات الصغيرة في الواجهة الغربية من شبه الجزيرة الأيبرية المطلة على المحيط الاطلسي[١].

بقيت هذه الامارات تتوسع حتى أصبحت في النهاية دويلة تابعة لمملكة قشتالة، من اشهر مدنها قلمرية (Coimbra) ولشبونة (Lisbona) وشنترين (Santarem) وشلب (Silves) وباجة (Beja)[٢].

قسمت هذه المملكة إلى قسمين في اول أمرها، فوقع القسم الشمالي منها لمملكة قشتالة والقسم الجنوبي تحت حكم بني الافطس (من ملوك الطوائف) وقاعدة حكمهم بطليوس (Badajoz)[٣].

---

* وهذا الاسم مشتق من ثغرها المسمي بورتس كالي (Portas Cale) اما عند الرومان الى اليوم إبرتو (Opoto). ول ديورانت، قصة الحضارة، ص٢٥٠. في المصادر العربية (البرتقال). ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٣٣٠، القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٢٧.

(١) د. عبدالرحمن حميده، جغرافية اروبة الغربية، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥، ص٤٤٧؛ خير الدين التونسي، اقوام المسالك، ص٧٣٥ ـ ٧٣٦.

(٢) اشباخ، تاريخ لاندلس، ص٢٣٨.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٣٧؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص١٨٢؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٨١.

* ريموند البرجوني، من فروع اسرة كابيه ملوك فرنسا، عبر البرينيه لاغاثة الملك القشتالي الفونسو السادس ومعه كثير من الفرسان ضد المرابطين، تزوج من ابنته الأميرة أراكا. ديورانت، قصة الحضارة، ج٤، ص٢٥٠.

بقيت البرتغال تحت حكم ملك قشتالة ألفونسو السادس وتنازل عنه للكونت ريموند البرجوني* (Ramon) وابن عمه الكونت هنري قائد الفرسان كمكافئة لهم على خدماتهم الحربية، وبعدها قام الكونت ريموند البرجوني بالتنازل عن نصيبه، للكونت هنري الذي كان مقرباً من الملك القشتالي الفونسو السادس بزواجه من إبنته الأميرة تريسا (Teresa)[١].

استطاع الكونت هنري أن يقوم بحماية الحدود الجنوبية للممالك المسيحية من غارات المرابطين، وبقي تابعاً لملك قشتالة ألفونسو السادس الذي أمر في وصيته بإمارة البرتغال لصهره الكونت هنري وعقبه من بعده على أن يحكمها باسم ملك قشتالة، ويدفع الجزية لمملكة قشتالة[٢].

وفي سنة ٥٠٦هـ/ ١١١٢م توفي الكونت هنري وترك طفلاً صغيراً في الثالثة من العمر اسمه ألفونسو الذي عُهِد له وراثة العرش على أن تتولى أمه الأميرة تريسا الوصاية حتى يبلغ السن المؤهلة للحكم[٣].

بدأت الأميرة تريسا حكمها للبرتغال في جو مليء بالصراعات والحروب والمنازعات على العرش، فقد استطاعت من المحافظة على استقلال البرتغال من أطماع أختها الملكة أوركا ملكة قشتالة وإبنها الملك الفونسو ريمونديس (السليطين) بالاضافة إلى الهجمات التي كان يشنها المرابطين على البرتغال[٤].

---

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦٠٢؛ لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ج٢، ص٦٥٣؛ فليب فان نس ميرز، التاريخ العالم، ط٢، ترجمة المطبعة الامريكانية، بيروت ١٩٢٨، ج٢، ص٢٧٧.

(٢) أشباخ، تاريخ الاندلس، ص٢٣٩.

(٣) عبدالواحد ذنون، تحالف الممالك الاسبانية، ص٥٩.

(٤) أشباخ، تاريخ الاندلس، ص٢٤١.

ونتيجة لاحتفاظها باستقلال البرتغال، حاولت الملكة تريسا انتزاع السلطة من يد إبنها، لكنها مع ذلك اصطدمت مع الاشراف ورجال الدين الذين قاموا بتحريض ابنها عليها(١).

ومع هذا النزاع خاضت الاميرة تريسا وزوجها الثاني فرديناند الجليقي حرباً ضد إبنها وأنصاره، انتهت بهزيمة الملكة التي تم خلعها عن عرش البرتغال ونفي زوجها مع عدد من أنصاره(٢).

هكذا بدأت البرتغال تشق طريقها تحت قيادة ألفونسو إنريكيث بعد توطيده للحكم وإبعاد الطامعين في عرش البرتغال.

٢ - ألفونسو إينريكيث* (Alronso Enriquez)وانفصال البرتغال عن مملكة قشتالة وليون: -

ما كاد ألفونسو انريكيث يقبض على زمام الحكم في البرتغال في عام (٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) حتى بدأت الإضطرابات بين مملكة قشتالة والبرتغال، خاضت خلالها العديد من الحروب انتهت بعقد هدنة بين الطرفين لكثرة هجمات الموحدين على مملكة قشتالة(٣).

---

(١) أشباخ، تاريخ الاندلس، ص٢٤١.

(٢) عبدالواحد ذنون، تحالف الممالك الاسبانية، ص٥٩؛ ول ديورانت، قصة الحضارة، ج٤، ص٢٥٠.

* الفونسو إنريكيث: ذكر اسم هذا الملك في المصادر العربية (ولد الرنك، ابن الرنق، انريق، القمز انريق، صاحب قلمريه). المراكشي، المعجب، ص٣٢٠؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٢٤؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٠٠؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٣٣٦.

(٣) أشباخ، تاريخ لاندلس، ص٢٤٢؛

William .C. Atkinson: Ahistory of Spain and Portugal .p.91.

إنتهز ألفونسو إنريكيث هذه الهدنة وقام بكسب ثقة شعبه ودعى إلى عقد مجلس في لاميجو (Lamego) سنة ٥٣٨هـ/ ١١٤٣، ودعى اليه الأشراف ورجال الدين ومجموعة من مندوبي المدن البرتغالية، مصدراً فيه قراراً ينصّبه ملكاً على البرتغال[١].

وفي سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م قام الملك ألفونسو انريكيث بالسيطرة على مدينة لشبونة (Lisbona) التي أصبحت من ذلك الوقت عاصمة للبرتغال[٢].

وبعد إعلان مملكة البرتغال عام (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) قام البابا أنوسانت الثاني بدفع المفاوضات ما بين مملكة البرتغال بقيادة الملك ألفونسو إنريكيث ومملكة قشتالة بقيادة الملك ألفونسو السابع، انتهت بالاعتراف بمملكة البرتغال على أن تكون خاضعة لمملكة قشتالة[٣].

ومن هنا نرى القوة التي كانت بيد البابوية في ذلك الوقت من خلال التدخل في سياسة الممالك الاسبانية وعملها بدور الوسيط ما بين هذه الممالك.

ولإضفاء الصفة الشرعية لمملكة البرتغال قام الملك ألفونسو بتحسين العلاقات البرتغالية والبابوية في روما وبموجبها قام البابا اسكندر الثالث في عام (٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) باصدار مرسوم بابوي أعلن بموجبه إستقلال البرتغال ومنح الفونسو

---

(١) أشباخ، تاريخ الاندلس، ص٢٤٧؛ لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ج٢، ص٦٤٥؛ د. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والاندلس، دار مطابع المستقبل، القاهر ١٩٨٠، ص٣٧٨.

(٢) عبدالواحد ذنون، تحالف الممالك الاسبانية، ص٦٠.

(٣) أشباخ، تاريخ الاندلس، ص٢٤٨؛

Charles Julian Bishko: Studies In Medieval Spanish .p.421.

انريكيث لقب الملك، بشرط أن تتبع البرتغال إلى البابوية وتقوم بدفع الجزية السنوية إلى كرسي روما[١].

وبعد تأمين الأحوال الداخلية في البرتغال والعلاقات الخارجية مع الممالك المسيحية قام ألفونسو إنريكيث بالتفرغ لتوسيع حدود مملكته الناشئة على حساب الأراضي الاندلسية، فاستطاع السيطرة على قلعة يابره (Evora) وتمكن من السيطرة كذلك على مدينة شنترين (Santarim) التي حاول الموحدون إعادتها دون جدوى في المرة الاولى، وفي المرة الثانية قام الامير الموحدي ابي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م بتوجيه الجيش اليها، لكنه أصيب أثناء حصاره لتلك المدينة بجراح خطيرة أدت إلى وفاته[٢].

تابع الملك ألفونسو إنريكيث توسعاته وحاول الاستيلاء على مدينة قصر أبي دانس (Alcacer de Sal) بمعاونة الجيوش الانجليزية والالمانية، والهولندية التي كانت متوجه للمشرق لكنه فشل في ذلك[٣].

وخلال فترة حكم ألفونسو إنريكيث (٥٣٨ ـ ٥٨٠هـ/ ١١٤٣ ـ ١١٨٥م) امتدت حدود مملكته ما بين نهر منيو (Mino) ومنديجو (Mandoge) إلى ما وراء

(١) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٣٣٦؛ ول ديوارنت، قصة الحضارة، ج٤، ص٢٥١؛ لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ج٢، ص٦٤٥.

(٢) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٢٦٩ ـ ٢٧٠؛ عنان، الآثار الاندلسية الباقية، ص٤٢٥.

(٣) الحميري، الروض المعطار، ص٤٧٥؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٧٢؛ الحجي، التاريخ الاندلسي، ص٤٦١.

نهر التاجة ما عدا الجُرف*[١].

وفي أواخر عهد الملك ألفونسو إنريكيث قامت حرب أهلية بينه وبين ابنه دينليث (Dinliz) الذي كان يأخذه العجب من أن والده قد طال عمره اكثر مما يجب وانتهت بخسارة الإبن[٢].

وبعد عمر طويل زاد عن السادسة والسبعين توفي ألفونسو انريكيث في سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٥م بعد أن حكم ما يزيد على ربع قرن وعُهد بوراثة العرش لابنه سانشو الاول (Sancho I)[٣].

٣- أوضاع البرتغال بعد وفاة الفونسو انريكيث حتى تولي سانشو الثاني الحكم:

بعد وفاة ألفونسو انريكيث (٥٨١هـ/ ١١٨٥م) تولى حكم البرتغال ابنه سانشو الاول الملقب بالمعمر، الذي اتسم عهده بتطوير المدن وقيام الهيئات الحربية من الفرسان[٤].

---

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦١٠؛ ول ديورانت، قصة الحضارة، ج٢، ص٢٥٠؛ أشباخ، تاريخ الاندلس، ص٤٦١.

* الجُرف: وهو اصطلاح اطلقه اهل المغرب والاندلس على المنطقة الجنوبية الغربية من الاندلس. ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس، ص٧٥؛ بيار غريمال، موسوعة تاريخ اوروبا العام، ص٣٦٤.

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦١٠؛ ول ديورانت، قصة الحضارة، ج٢، ص٦١٠.

(٣) أشباخ، تاريخ الاندلس، ص٢٥١ ـ ٢٥٢.

(٤) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٣٣٦؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦١٠.

خالف سانشو الاول سياسة والده مع البابوية وظهر في عهده سوء العلاقات معهم، لرفضه أداء الجزية لهم، لذلك، أصدر ضده الحرمان الكنسي[1].

كان من الأعمال العسكرية لسانشو الأول تجاه المدن الاندلسية، أن قام في عام ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م بالسيطرة على مدينة شلب (Silves) بعد حصار طويل دام ثلاثة أشهر من البر والبحر وبعدها قام بالتعاون مع جموع الصليبيين المتجهين إلى المشرق واستولى على قصر أبي دانس[2]. وقبل وفاة سانشو بعامين (٦٠٧هـ/ ١٢١١م) عهد بولاية العرش لإبنه ألفونسو الثاني.

تولى الحكم ألفونسو الثاني بعد وفاة والده عام (٦٠٨هـ/ ١٢١١م)، واتسم عهده بالأمان والهدوء إلا أنه لم يخلوا من النزاع مع رجال الدين الذين تدخلوا في الخلاف القائم ما بين الملك ألفونسو الثاني وأخواته حول الوصية التي أوصى بها والدهم، والتي تضمنت منح بعض الأملاك لهن[3].

توجهت أخوات الملك ألفونسو الثاني إلى البابا لحماية أملاكهن، وانتهى الخلاف القائم بعد التحكيم، حيث تم عزله على يد البابا الذي منح التاج لأخيه سانشو الثاني[4].

---

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦١٠؛

William .C. Atkinson: Ahistory of Spain and Portugal .p.91.

(٢) المراكشي، المعجب، ص٣٥٦؛ ابن لاثير، الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٥٧.

(٣) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٣٣٦؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦١٠؛ لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ج٤، ص٦٥٤؛

William. C. Atkinson: Ahistory of Spain and Portugal .p.91.

(٤) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦١٠.

ومع تولـي الملك سـانشـو الثـاني الحـكم في سنة ٦١٩هـ/ ١٢٢٣م تم إعـادة العلاقات الطيبة مع البابوية ورجال الدين، وعمل على إعطائم الحقوق والامتيازات التي كانوا يتمتعون بها سابقاً[١].

(١) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٣٣٦؛ لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ج٢، ص٦٥٤.

سادساً: التنظيم الحربي عند الممالك الاسبانية:

ليس مما لا شك فيه أن قوة الدولة العسكرية هي عمادها وقد اهتمت كل مملكة بجيوشها للدفاع عن نفسها من الممالك المسيحية الاخرى أو للتوسع على حساب الأراضي الاسلامية في الأندلس.

١ - عناصر الجيش الاسباني:

اعتمدت الممالك المسيحية في الدرجة الأولى على عناصرها السكانية في الجيش. فكانت جيوش الممالك المسيحية عندما تكون مجتمعة تضم عناصر من جيوش مملكة قشتالة ومن جيوش مملكة ليون، ونبرة والبرتغال وأرغون[١].

قامت كل مملكة بزيادة حشودها من أفرادها حتى تتمكن من حماية أملاكها وتوسعاتها، لذلك قام ملوك الممالك الاسبانية بتامين كل ما يلزمها من السلاح والمال لجيوشهم التي تعتبر اساس قوتهم[٢].

ضمت جيوش الممالك المسيحية ايضاً مجموعات من الفرسان الدينية التي كانت تضم فرسان قلعة رباح (Calatrava) وفرسان قشتالة وفرسان الداوية*

---

(١) منتغمري وات، في تاريخ اسبانيا، ص١١٩.

(٢) أشباخ، تاريخ الاندلس، ص٣٣٤.

* الداوية: وهو اسم لفرق من الفرسان الذين اتخذوا حياة الرهبنة لهم وأخذوا على عاتقهم الدفاع عن اسبانيا، واسمها الاصلي (Pauperes Cammilitones Christi). فليب حتي، تاريخ العرب، ص٧٦٣؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦٠٩؛ طرخان، المسلمون في اوروبا، ص٢٦٨.

والقنطرة (AL- Cantara) وسنتياجو* (Santiago) الذين كان لهم دور في خوض المعارك ضد المسلمين في الأندلس زمن المرابطين والموحدين[١].

ولتقوية الحماس الديني عند جيوش الممالك المسيحية قام مجموعة من الاحبار والقساوسة بالاشتراك في الحملات لاضفاء الصفة الدينية على الحروب ضد المسلمين في الاندلس ولتقوية الحماس الديني في نفوس المحاربين[٢].

كذلك قام مجموعة من الفرسان الصليبيين بالاشتراك في صفوف الممالك المسيحية الذين كانوا على نوعين اما جاؤوا من المشرق للمشاركة أو كانوا متجهين إلى المشرق لمواجهة الأيوبيين[٣].

وقد اشتركت في الأعمال الحربية ضد المسلمين في الاندلس عناصر من الجيوش الفرنيسة والانجليز والألمان والفلمنكيين** (Flemings)[٤].

---

* فرسان سنتياجو: وهم فرسان ينسبون الى يعقوب الحواري الذي بنيت على رفاته كنيسة في مدينة شنت يعقوب ليحج اليه المسيحيون وقد شكل هؤلاء الفرسان أكبر الهيئات الحربية في اسبانيا. لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ج٢، ص٦٤٦.

(١) فيشر، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى، ص٣٨٩؛ أشباخ، تاريخ الاندلس، ص٣٣٤.

(٢) مؤنس، معالم تاريخ الاندلس، ص٣٧٩؛ عبدالقادر اليوسف، تاريخ، ص٢٤٨.

(٣) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦١١؛ فليب حتي، تاريخ العرب، ص٦٥٢؛ بيار غريمال، موسوعة تاريخ أوروبا العام، ص٤٨٢.

** الفلمنكيين: وهم سكان الأراضي المنخفضة في هولندا. صلاح مدني، ص٥٤٤؛ الغنيمي، مأساة الفردوس المفقود، ص٣٠٧.

(٤) ول ديورانت، موسوعة تاريخ العالم، ج٢، ص٢٤٦؛ بيار غريمال، موسوعة تاريخ اوروبا، ص٣٦٤؛

Charles Julian Bishko: Studies in Medieval Spain .p.422

اضافة إلى ذلك اعتمدت الجيوش المسيحية على مجموعة من المطوعة، كان منهم متطوعة وراء البرنية ومن بعض البورغونيون ولانجيد وكيون وأكتانيون الذين حلموا في أن يكونوا حماة الغرب المسيحي(١).

وقد شارك في الجيوش الاسبانية مجموعات من اليهود الذين كان لهم دور في إحضار الاسواق للبيع والشراء وتوفير المؤن للجيش المحارب(٢).

٢ ـ التعبئة:

كان يقوم بالاشراف على جيوش الممالك المسيحية وقيادتها أحد ملوك هذه الممالك، وغالباً ما كان ملك قشتالة باعتبار مملكته من أكبر البلاد مساحةً وأوفرها قوة، إضافة إلى ذلك كان يساعده مجموعة من النبلاء والأشراف وعدد من رجال الدين، ونتيجة لحصول العديد من الممالك المسيحية على الحكم الذاتي كانت تقوم فيها المجالس النيابية* بعقد الاجتماعات في حالات الطواريء لإقرار عقد الصلح أو إعلان الحرب(٣).

وكانوا يقومون باتخاذ الاجراءات اللازمة للحصول على المعلومات المناسبة المبكرة حول تحركات الطرف الثاني(٤).

---

(١) بيار غريمال، موسوعة تاريخ اوروبا العام، ص٤٨٢؛ د. امين توفيق الطيبي، دراسات في التاريخ الاسلامي، الدار الاندلسية للطباعة والنشر، طرابلس، ١٩٩٢، ص٤٣.

(٢) William . C. Atkinson: Ahistory of Spain and Portugal. p.77; Charles Julian Bishko: Studies in Medival Spain.p.423.

* المجالس النيابية: وكانت تسمى مجالس الكورتز التي تضم الأشراف والنبلاء والأغنياء ومجموعة من رجال الدين. ول ديورنت، موسوعة تاريخ العالم، ج٢، ص٢٤٦.

(٣) ول ديورانت، موسوعة تاريخ العالم، ج٢، ص٢٤٦؛ أشباخ، تاريخ الاندلس، ص٣٣٤.

(٤) ر .ي. سميل، الحروب الصليبية، ط١، ترجمة سامي هاشم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت د.ت، ص١٨١.

٣ ـ مسير الجيش: ـ

كانت تقوم الجيوش المسيحية ومن يرافقها من الجيوش الأوروبية بالسير في فرق عسكرية مقسمة ومنظمة، وكانت العادة أن تقوم فرق خاصة بنفخ المزمار والقرون عند بداية الرحيل والوصول وبداية القتال[١].

٤ ـ الخطط الحربية: ـ

اعتمدت الممالك المسيحية في خططها الحربية على نوعين وهي التحصن بالقلاع والحصون حتى يقوم الجيش المعادي بتركهم اما لنفاذ مؤنه أو اشتداد البرد وحلول فصل الشتاء أو ظهور الأمراض بين فرق الجيش، وبهذا لا يكون اللقاء المباشر وتكون الخسائر قليلة، وهذا ما حدث حين تحصّن مجموعة من الجيش الاسباني في قلعة شلبطره سنة ٦٠٨هـ/ ١٢١١م وقام الجيش الموحدي بمحاصرتهم لمدة طويلة أكثر من ثمانية أشهر، وتراجع عنها الجيش بعد أن حلّ بهم المرض ونقص المؤن[٢].

أما النوع الآخر من الخطط فقد تمثل بالحروب الخاطفة وتكون أهدافها تخريبية أكثر من السيطرة والتوسع، فبالرغم من سيطرة جيوش الممالك المسيحية على بعض الأراضي الاندلسية، لم يكن بوسعهم قط أن يأملوا في سحق أي قوة اسلامية بأسرها، لذلك اعتمدوا أسلوبَ الهجوم لمرة واحدة والعودة إلى بلادهم محملين بالغنائم[٣].

ومن هنا نستنتج أن الجيوش المسيحية كانت في الغالب تتجنب القتال المباشر

---

(١) أشباخ، تاريخ الاندلس، ص١٠٣.

(٢) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٢٣٦؛ النويري، نهاية الارب، ج٢٤، ص٣٤٢.

(٣) لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ج٢، ص٦٤٦؛ سميل، الحروب الصليبية، ص١٤٥.

دون تعريض أنفسهم لمخاطر القتال وعواقبه الخطيرة.

٥ ـ التسليح والتموين: ـ

إهتم ملوك الممالك المسيحية في تأمين كل ما يلزم الجيش المسيحي من سلاح وتموين فقد قاموا بصرف رواتب للجند ليتسنى لهم تسليح أنفسهم وتأمين كل ما يلزمهم من طعام ولباس(١).

ومع دعوة البابوية لحروب الاسترداد في الاندلس كانت تدعو العامة من الناس لتقديم المساعدات المالية والمعونات كذلك كانت المجالس البلدية* تقوم بعمل حملات التبرع لتوفير السلاح والتموين للجيش(٢).

كذلك كان لوجود الاراضي الزراعية في طريق الجند المسيحي دور في تامين الطعام وتوفير الأخشاب التي استخدمت في الطهي.

وقام السادة من النبلاء والاقطاعيين في أوروبا بدفع مبالغ مالية وبعض المؤونات للانفاق على الفرسان التابعين لهم والمشتركين في الحملات ضد الموحدين في الاندلس.

٦ ـ المراكز العسكرية: ـ

تعتبر القلاع والحصون من مستلزمات النظم الاقطاعية التي كانت سائدة في

---

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦١١.

* وكانت تسمى مجالس الاخوة (Hermandades) والتي تعتبر تجمعات المدن المستقلة التي تمتعت بالحكم الذاتي في ظل الممالك الاسبانية وكان لها دور في شن الهجمات على المدن الاندلسية ومن اشهرها (اخوة قشتالة). ول ديورانت، قصة الحضارة، ج٤، ص٢٤٦.

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦٠٤.

أوروبا في العصور الوسطى وكانت تعتبر كمراكز عسكرية لتجيمع الجيش المسيحي وغالباً ما تكون في المناطق الحدودية مع الدولة الموحدية في الاندلس، فقد قام ملوك الممالك المسيحية بتحصين العديد من المراكز الحدودية مع الاندلس، فيذكر أن الملكة تريسا ملكة البرتغال قد أمرت بتحصين البلاد من هجمات الموحدين فقامت ببناء القلاع والحصون وأصلحت ما خرب منها جراء الحروب، كذلك قام الملك سانشو الاول ابن ألفونسو انريكيث باصلاح الحصون واعمارها[١].

وتكمن أهمية تلك القلاع والحصون باعتبارها مراكز إداريه اضافة إلى استخدامها كمخازن لتموين الجيش وسجون للأسرى من الطرف المعادي، وتوفير استراحة للجيش وحماية المدن التي يتم الاستيلاء عليها[٢].

(١) ديورانت، قصة الحضارة، ج٤، ص٢٥٠.

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦١٠؛ سميل، الحروب الصليبية، ص٢٢٠ـ ٢٢١.

الفصل الثالث

اشهر المعارك بين الموحدين والممالك الإسبانية

١- معركة الأرك (Alarcos) ٥٩١ هـ / ١١٩٥ م

٢- معركة العقاب (Las Navas de Tolosa) ٦٠٩ هـ/ ١٢١٢م

أشهر المعارك بين الموحدين والممالك الإسبانية

تمهيد :

كانت مجاهدة الممالك المسيحية من أهم ما ورثه الموحدون عن دولة المرابطين، واستعداداً لهذه المجاهدة، بنى الأمير عبدالمؤمن بن علي، أمير الموحدين، مدينة الفتح على سفح جبل طارق (Gibraltar) في الأندلس، لتكون معسكراً متقدماً للجيوش الموحدية. وبعد أن تم له إخضاع المناطق في شمالي إفريقية، والمغرب، وفر حامية قوية من الموحدين والأندلسيين في مدينة الفتح، وأوكل إليها مهمة الدفاع عن حدود الأندلس من الهجمات الإسبانية.[١]

قام الأمير عبدالمؤمن بن علي في عام ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م باستنفار القبائل في جميع أنحاء المغرب وإفريقية للجهاد، وجهز الجيوش، وسار بها من مراكش إلى مدينة رباط الفتح، مستهدفاً ردّ عدوان الممالك المسيحية، إلا أنه مرض فمات في تلك السنة نفسها.[٢]

تولى الأمر بعد الأمير عبدالمؤمن بن علي في عام (٥٥٨هـ/ ١١٦٣م) ابنه الأمير أبو يعقوب يوسف، الذي استأنف جهود أبيه، وسار على خطاه في توفير الحماية للأندلس، ورد كيد الممالك المسيحية عنها. وقد خاض ضد هذه الممالك

---

(١) المراكشي: المعجب، ص٢١٣؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٨٤ - ٨٥؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٠٠؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص ٢٥٨ ـ ٢٦٠؛ البيذق، اخبار المهدي بن تومرت، ص٨١.

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٠٢؛ المراكشي، المعجب، ص٢١٣؛ ابن القنفذ، الفارسية، ص١٠٢ ـ ١٠٣.

كـثيـراً من الوقـائع، وقاد لـدحرها كـثيراً من الغـزوات. ومن أهم تلك الوقـائع والغزوات:

- موقعة السبطاط (٥٧٠هـ / ١١٧٤م)
- غزوة شنترين (٥٨٠هـ / ١١٨٤م)

١ - موقعة السبطاط* ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م:

عبرت القوات الموحـدية في عهد الأمير أبي يعقـوب يوسف بن عبدالمؤمن إلى الأندلس، وتمكنت من عقد معاهدة صلح مع الملك فرديناند الثاني (Fernando II) ملك مملكة ليـون، وذلك سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٩م، إلا أن هذه المعـاهدة لم تسـتمر طويلاً، فـقد خرقـها الملك فرديناند الثـاني في أواخر سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م، حيث هاجم القواعد الأندلسية، وعاث فيها خراباً ونهباً وقتلاً.[(١)] وكان رد فعل الأمير أبي يعقـوب حاسـماً وسـريعاً؛ إذ جهّز حـملة من الموحديـن والأندلسيين هاجـمت عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م مدينة لذريق الليوني، أي مـدينة (السبطاط) كما تسمـيها المصادر العربية.[(٢)] غيـر أن الحملة فـشلت في فتح المديـنة رغم حصـارها مدة طويلة، فـقد كانت مدينة منيعـة، كما أن الملك فرديناند الثاني استمـات في الدفاع عنها. وساهم في فشل الحملة - كما يرى ابن عذاري - دخول فصل الشتاء.[(٣)]

---

* السبطاط: (Cidad Real) وهي مدينة بجنوب طليطلة. ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٢٢٠ هامش (١).

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ٢٣٥.

(٢) ابن صـاحب الصلاة، المن بالامامـة، ص٢٣٥؛ المراكـشي، المعـجب، ص٤٠٠؛ د. خليل إبراهيم السامرائي، تاريخ العرب، ص٢٨٣.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص١٠٤.

لقد انتهت وقعة السبطاط دون أن تحقق هدفها، ولكنها - مع ذلك - تعتبر موقعة مهمة؛ فهي - من جهة - تعتبر أول لقاء مباشر بين مملكة مسيحية وبين الجيوش الموحدية، وهي - من جهة أخرى - تعكس قدرات القوات الموحدية، فقد استطاعت هذه القوات التوغل في مدن مملكة ليون، والاستيلاء على بعض الحصون الحدودية، كحصن القنطرة، وحصن ناطوس.(١)

ب - غزوة شنترين ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م:

قام ملك قشتالة، ألفونسو الثامن (Alfonso VIII)، عام ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م بمهاجمة المدن الأندلسية الواقعة على حدود مملكته، وعاث فيها. ولما علم الأمير أبو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن بذلك جهّز حملة كبيرة مؤلفة من مائتين وثمانين ألف مقاتل (٢٨٠،٠٠٠)، وأعدها إعداداً جيداً، وقادها بنفسه مستهدفاً محاصرة مدينة شنترين (Santarem). وقد حاصر المدينة فعلاً، وكاد أن يحقق نصراً مؤزراً، إلا أن جيشه ما لبث أن ارتدّ عن المدينة دون نظام أو ترتيب. ويرجع سبب هذا الاندحار إلى أن بعض قادة الجيش الموحدي أساؤوا فهم الأوامر التي كان يصدرها أميرهم أبو يعقوب يوسف، وكانت النتيجة أن داهمت القوات القشتالية ساقة الجيش الموحدي، وكان فيها أمير الموحدين، فأصيب بجراح توفي على أثرها، وكان ذلك في ربيع الآخر من سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م.(٢)

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص٩٢؛ د. جمعة شيخة، الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي، ط١، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر، تونس، ١٩٩٤، ج٢، ص١٥١.

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢١٥؛ مجهول، الحلل الموشية، ص١٥٨؛ ابن أبي الدينار، المؤنس، ص١٤١؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٣، ص١١٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص١٣٤؛ ابن الخطيب، شرح رقم الحلل في نظم الدول، تعليق د. عنان درويش، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٠، ص٢٠٠.

ويرى ابن العماد أن سبب هزيمة الموحدين في هذه الغزوة هو خيانة ابن المالقي، وزير أبي يعقوب يوسف، إذ يذكر أن الوزير طلب من الجيش أن يعود إلى مراكش، موهماً إياه أن أمير المؤمنين هو الذي أمر بذلك. ثم أخبر الفونسو الثامن بأن الأمير أبا يعقوب يوسف لم يبق معه سوى نفر قليل من الجند، فقام ألفونسو بمهاجمة الأمير وطعنه في جنبه، فمات بعد يومين.[1]

(١) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٢، ص٢٦٤.

معركة الأرك

٥٩١ هـ/ ١١٩٥ م

وقعت هذه المعركة إلى الشمال من مدينة قرطبة، في مكان قريب من حصن الأرك الواقع على أحد فروع نهر وادي آنه شمالي قلعة رباح. وتقع قرب هذا المكان مدينة (ثيوداد ربالة) الحالية.[١]

واختلفت المصادر العربية في تسمية هذه المعركة، اذ ذكرتها باسم: الأرك[٢]، والأراك[٣]، والأركة[٤]، ومرج الجديد[٥]، وفحص الجديد[٦]، والزلاقة[٧]. أما المصادر الأجنبية فقد ذكرتها بـ (Alarcos)[٨] أو (Sta Maria de Alarcos)[٩] التي تعني: حصن القديسة مريم.[١٠]

---

(١) الحميري، الروض المعطار، ص١٦٣؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٢٠٤.

(٢) الحميري، الروض المعطار، ص١٦٣.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص.

(٤) المراكشي، الذيل والتكملة، ص١٩٨.

(٥) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٣٤.

(٦) المراكشي، المعجب، ص٢٨٢.

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص١٢٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٣٩١؛ المكناسي، جذوة الاقتباس، ص٥٥٦؛ المقدسي، تراجم رجال القرنين، ص٧.

(٨) - J. F. O'Cllaghan: Ahistory of Medieval Spain, P243.

(٩) - Luis Suarez Fernandez: Historia de Espana P.635; Claudio Sanchez: Spain, Vol. 2, P718.

(١٠) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٢٠٤؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٤٨٤؛ منتغمري وات، في تاريخ اسبانيا، ص١١٨؛ الغنيمي، مأساة الفردوس المفقود، ص١١٣.

وقد مهدت لهذه المعركة ظروف مختلفة بعضها يتعلق بالجانب الاسباني، وبعضها بالجانب الموحدي. ونظراً لأهمية هذه المعركة كواحدة من المعارك الفاصلة في التاريخ الإسلامي في الأندلس، فإن الباحث سيعرض فيما يلي: ظروفها، وخططها التعبوية والحربية، ووقائعها، ونتاجها.

أ - ظروف المعركة:

مهدت لمعركة الأرك، وأحاطت بها، ظروف مختلفة منها ما يتعلق بالجانب الإسباني، ومنها ما يتعلق بالجانب الموحدي. فقد تعرضت الممالك المسيحية في نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر الميلادي لأحداث كثيرة شغلتها عن التصدي للموحدين في الأندلس، ومن ذلك صدور قرار بابوي بحرمان ملكي البرتغال وليون، والخلافات الحدودية التي نشبت بين مملكتي أرغون ونبرة من جهة، وفرنسا من جهة أخرى.[1]

وكانت المملكة المسيحية الوحيدة المستقرة في تلك الفترة هي مملكة قشتالة، بقيادة ملكها ألفونسو الثامن (Alfonso VIII) الذي كان يضع مصلحة بلاده فوق كل اعتبار، ويحرص على استقرارها، إذ عقد - تحقيقاً لهذا الاستقرار - حلفاً مع الملك الأرغوني ألفونسو الثاني (Alfonso II) ضد الممالك المسيحية الأخرى. كما عقد حلفاً آخر مع ملك إنجلترا هنري الثاني، وقام بمصاهرته.[2] ثم أخذ يفكر في توسيع مملكة على حساب الممالك المسيحية المجاورة وعلى حساب المدن الأندلسية

---

(١) أشباخ، تاريخ الأندلس، ص٣٣١.

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص٥٨٤؛ سير توماس آرنولد، تراث الإسلام، ص٢١؛
- J. F. O'Callaghan: AHistory of Midival Spain, P 236.

أيضاً، محاولاً استغلال الظروف المواتية. فقد حاول غزو البرتغال، وضمها إلى مملكته عندما وجد الفرصة مواتية بوفاة ملكها الفونسو أنريكيث سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٥م. كما حاول بسط سلطانه على مملكة ليون، مستغلاً وفاة ملكها فرديناند الثاني (Fernando II) سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م، غير أنه فشل.[١]

استغل ملك قشتالة الفونسو الثامن انشغال الأمير الموحدي المنصور بقمع ثورة بني غانية في المغرب، إذ هدّد المدن الأندلسية المجاورة، وهاجم مشارفها، وخاصة: أحواز قرطبة، وشرق اشبيلية. وتمكن من السيطرة على بعض الحصون الأندلسية، حيث قامت قواته بقتل الرجال، وسبي النساء والأطفال.[٢]

ولم تقتصر مهاجمة المدن الأندلسية على ملك قشتالة، فقد قام ملك البرتغال سانشو الأول (Sancho I) بمساعدة الجند الألمان والفلمنك على مهاجمة مدن الأندلس الغربية سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م، مثل شلب (Silves)، وباجة (Beja)، وبايرة (Evora)[٣] التي تعرضت على أيديهم للنهب والسلب.

وبدأت ظروف معركة الأرك المتعلقة بالجانب الموحدي بتولي الأمير يعقوب ابن يوسف (المنصور بفضل الله) الحكم بعد والده أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن. فقد بدأ هذا الأمير عهده بالعمل على اكتساب محبة شعبه في

---

(١) أشباخ، تاريخ الأندلس، ص٢٥١ _ ٢٥٢؛ أبو رميلة، علاقات الموحدين، ص٢٥٦.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص١٧٥ _ ١٧٦؛ ابن أبي الدينار، المؤنس، ص١٤٢؛ المراكشي، المعجب، ص٢٨٢.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٣١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص١٧٧؛ ابن أبي الدينار، المؤنس، ص١٤١؛

- W. Montogomry Wat: Ahistory of Islamic Spain, P 107.

الأندلس والمغرب، إذ قام بتوزيع الأموال على الفقراء والمحتاجين، وأطلق سراح بعض المساجين والمعتقلين، وزاد مرتبات القضاة والفقهاء، وأنشأ المساجد والمستشفيات (البيمارستانات). وقام في الوقت نفسه بتجنيد الجند، وشحن القلاع والحصون بالمتميزين منهم.[(١)] وعمل على توفير الاستقرار، وسيادة الأمن.[(٢)] وقد كان له ذلك بعد أن وضع حداً لثورة بني غانية في المغرب، بعد أن قاموا - بمساعدة بعض القبائل - بمهاجمة مدينة بجاية وغيرها من المدن المغربية.[(٣)]

وتفرغ الأمير المنصور لمجابهة ملك البرتغال سانشو الأول (Sancho I) الذي هاجم المدن الأندلسية عام ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م، وتمكن - بمعاونة الجنود الألمان والفلمنك - من السيطرة على مدينة شلب (Silves) الأندلسية. فعندما سمع الأمير المنصور خبر سقوط المدينة، عبر إلى الأندلس في آخر محرّم ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م، وضرب حصاراً برياً وبحرياً على مدينة شلب، ثم هاجمها ليلاً، وقاتل من فيها من

(١) ابن خلدون، بغية الرواد، ج١، ص١٧١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص٤؛ المراكشي، المعجب، ص٢٦١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص١٧٠؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢١٦؛ المكناسي، جذوة الاقتباس، ص٥٥٥.

(٢) ابن أبي دينار، المؤنس، ص١٤١؛ ابن الخطيب، شرح رقم الحلل في نظم الدول، ص٢٠١ - ٢٠٢.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٢٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص١٣٢؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٥٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٥٠؛ الغبريني، عنوان الدراية، ص٤٦؛ المقدسي، شهاب الدين أبي محمد عبدالرحمن بن إسماعي (٦٦٥هـ)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع، ط٢، تصحيح محمد بن الحسن الكوثري، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤م، ص٧.

الجنود البرتغال قتالاً شديداً حتى ذلوا، وطلبوا الأمان، وخرجوا منها.[١]

واصلت القوات الموحدية بقيادة الأمير المنصور عملياتها ضد الممالك المسيحية، وقد تمكنت عام (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) من استعادة مدينة قصر أبي دانس (Alcacer de Sal) بعد عدد من الهجمات العنيفة. وفي أعقاب هذا الانتصار رجع الأمير المنصور إلى المغرب، ومعه غنائم كثيرة «بلغت فيها سبايا النساء خمس عشرة ألف امرأة، وثلاثة عشر ألف رجل وُضعوا كل خمسين في سلسلة».[٢]

لقد أصبحت الدولة الموحدية في عهد الأمير المنصور قوة يُحسب حسابها، وهو ما دفع ملك قشتالة، ألفونسو الثامن، إلى طلب عقد هدنة مع الموحدين. وقد تم - بناء على هذا الطلب - عقد هدنة بين الطرفين مدتها خمس سنوات.[٣] تمكن ملك قشتالة خلالها من تجميع قواه، وحاول لم شمل الممالك المسيحية استعداداً لمواجهة الموحدين في الأندلس.

لم يلتزم المسيحيون الإسبان جميعهم بهذه الهدنة؛ إذ خرج بعضهم - كما

---

(١) المراكشي، المعجب، ص٣٦٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٥٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٣١؛ عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص٤٠٢؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ص٣٣١.

(٢) ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٧٢-٢٧٣؛ المراكشي، المعجب، ص٣٥٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٣١؛ ابن أبي الدينار، المؤنس، ص١٤١؛ المكناسي، جذوة الاقتباس، ص٥٥٥؛ المراكشي، أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالملك الأنصاري، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (السفر السادس)، ط١، تحيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣، ج٥، ص١٩١.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٣١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧، ص٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص١٧٧.

يقول ابن الأثير - «إلى بلاد الإسلام، فقتلوا، وسبوا، وغنموا، وأسروا، وعاثوا فيها عيثاً شديداً».[١]

وكان ملك قشتالة ألفونسو الثامن قد أسند قيادة جيوشه إلى مارتن دي بسرجا (Martin de Baserga)، مطران طليطلة. وكان هذا المطران قد وجّه حملات عديدة نحو الثغور الأندلسية حتى لا يثير مسلمي الأندلس، والأمير الموحدي. فقد عبرت هذه الحملات جبال الشارات (سيرامورينا) (Sirra de Gredos)، وسارت بمحاذاة الوادي الكبير إلى أعماق الأندلس، ودمرت في طريقها كل شيء، وهاجم بعض فرسانها أحواز مدينتي إشبيلية (Seville) وأستجة (Ecija).[٢]

لقد استغل ملك قشتالة ألفونسو الثامن هذه الهدنة في حشد أعداد كبيرة من الجند «لم يجتمع له مثلها قط».[٣] وما أن انتهت الهدنة حتى بدأ باستفزاز الأندلسيين بتوجيه الحملات التخريبية إلى أراضيهم. كما قام - كما تذكر بعض المصادر العربية - بإرسال رسالة استفزازية إلى الأمير المنصور، أمير الموحدين، جاء فيها: «إنك أمير المسلمين، لا يخفى عليك ما هم عليه رؤساء الأندلس من التخاذل وإرهاب الرعية... وأنا أسومهم الخسف، وأخلي الديار، وأسبي الذراري، وأمثل بالكهول، وأقتل الشبان، ولا عذر لك في التخلف عن نصرتهم. أنت تعتقد أن الله فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم*، والآن نخفف عنكم، فنحن نقاتل عدداً منكم

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٢، ٢٣٧.

(٢) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٤٨٥.

(٣) المراكشي، المعجب، ص٢٨٢.

* مقتبسة من سورة الأنفال آية ٦٥/٦٦:

﴿يا أيها البني حرِّض المؤمنين على القتال، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبون مائتين، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون﴾.

بواحد منا. ثم بلغني عنك أنك أخذت في الاحتفال، وتمطل نفسك عاماً بعد عام، تقدم رجلاً وتؤخّر أخرى، ولا أدري الجبن أبطأ بك، أم التكذيب بما أُنزل عليك؟ وأنا أقول ما فيه المصلحة، أن تتوجه بحملة من عندك في الشواني والمراكب، وأجوز إليك بحملتي، وأبارزك في أعز الأماكن عندك، فإن كانت لك، فغنيمة عظيمة جاءت إليك. وإن كانت لي، كانت يدي العُليا عليك، واستحققتُ ملك الملّيّن، والتقدّم على الفئتين». [1]

عندما وصلت هذه الرسالة إلى الأمير المنصور ثارت حميته. وصمم على مقابلة التحدي بتحدٍ مماثل. وقد أمر بإذاعة الرسالة في الجند الموحدي، إثارة لغيرتهم. ثم كتب في أعلى الرسالة قوله تعالى: ﴿إرجع إليهم فلنأتينّهم بجنود لا قبل لهم بها، ولنخرجنّهم منها أذلة وهم صاغرون﴾. [2] وكتب أيضاً: «الجواب ما ترى لا ما تسمع»، وأعادها إلى ملك قشتالة. [3]

كان المسيحيون في تلك الأثناء يهاجمون الأراضي الأندلسية، ويروعون أهلها، مما اضطر هؤلاء إلى الإستعانة بالأمير المنصور، فأمر بحشد الجيوش، وعبر إلى الأندلس في جمادى الآخرة من سنة ٥٩١هـ/ ١١٩٥م، ونزل الجزيرة الخضراء،

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٣٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٣٦؛ ابن أبي الدينار، المؤنس، ص١٤٣؛ ابن العبري، غريغوريوس أبي الفرج بن هرون الطيبي (ت٦٨٥هـ)، تاريخ مختصر الدول، تعليق، الأب انطوان صالحياني اليسوعي، دار الرائد، بيروت، ١٩٨٣، ص٣٩١؛ المقدسي، تراجم رجال القرنين، ص٧.

(٢) سورة النمل آية ٣٧.

(٣) ابن أبي الدينار، المؤنس، ص١٤٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٣٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٣٣.

وجزيرة طريف (Tarif)، ثم غادرها إلى إشبيلية (Seville).[١]

ب ـ الاستعداد لمعركة:

اهتم الأمير المنصور، أمير الموحدين اهتماماً كبيراً بتنظيم جيشه ليحرز النصر، ويتجلى ذلك في التنظيم التعبوي الذي اعتمده، وفي الخطط الحربية التي رسمها كبار قادته لسير المعركة، وفي تزويد الجيش بالأسلحة والتموين قبيل المعركة وأثناءها. ولقي جيش الأعداء اهتماماً مماثلاً من قادته. وفيما يلي تفصيل ذلك:

١ - التنظيم التعبوي:

ضم جيش الموحدين في معركة الأرك فرقاً عديدة، وقد تم تشكيلها من القبائل البربرية والعربية الافريقية، ومن أهل الأندلس. وبلغ تعداد هذا الجيش مائتي ألف مقاتل (٢٠٠،٠٠٠)، انضم إليهم ألف مقاتل (١٠٠٠) من المطوعة.[٢]

أسند الأمير المنصور قيادة الجيش لأبي يحيى بن محمد بن حفص الذي بقي مع بقية الجند في المؤخرة. أما الفرق المشكلة من القبائل العربية والبربرية فقد أسند قيادتها لشيوخ تلك القبائل. وكان ذلك كما يلي:[٣]

---

(١) المراكشي، المعجب، ص٢٨٢؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٦٧.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص١٩٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص١٢٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٣٤.

(٣) الناصري، الاستقصا، ص١٦٨ ـ ١٦٩؛ الغنيمي، مأساة الفردوس المفقود، ص٣١١.

- ابن الصناديد على الجيش الأندلسي.

- جرمون بن رباح على القبائل العربية.

- منديل بن عبدالرحمن المغراوي على قبائل مغراوة

- محيو بن أبي بكر المريني* على قبائل بني مرين وزناتة.

- جابر بن يوسف على قبائل بني عبدالواد.

- عباس بن عطية على قبائل توجين.

- يحيى بن علي على قبائل المصامدة.

- محمد بن منحفاذ على قبائل غمارة.

- يخلف بن خزر الأوربي على المطوعة.

- أبو محمد بن عبدالواحد بن تومرت الهسكوري الأسود** على قبائل هسكورة.

---

* محيو بن أبي بكر: أمر زناتة بعد وفاة والده إلى أن توفي في صفر سنة ٥٩٢هـ/ متأثراً بالجروح التي أصابته في معركة الأرك، ابن الأحمر، أبي الوليد اسماعيل (ت٨٠٧هـ)، روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٢م، ص١٤.

* عبدالواحد بن تومرت: يلقب بالأسود، استشهد في معركة الأرك. ابن الزيات التادلي (٦١٧هـ): التشوق إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، ط١، الرباط، ١٩٨٤م، ص٣٥٩.

وبعد تعيين القادة، قسم الأمير المنصور جيش الموحدين إلى خمسة أقسام[١] هي:

القلب: ويضم القوات الموحدية النظامية بقيادة أبي يحيى بن أبي حفص.

الميسرة : وتضم القبائل العربية، وبعض القبائل المغربية (المصامدة).

الميمنة: وتشمل القوات الأندلسية.

المقدمة: وتضم مجموعة من المطوعة، وحملة الرماح الطويلة.

المؤخرة وتضم القوات الاحتياطية، والمتطوعة والعبيد، وكانت بقيادة الأمير المنصور.

أما الجيوش المسيحية فضمت عناصر من مملكة قشتالة والممالك المسيحية الأخرى، وخاصة مملكة ليون. كما ضمت فرسان قلعة رباح، وفرسان الداوية. وقد بلغ تعداد هذه الجيوش مائتين وأربعين ألف مقاتل (٢٤٠،٠٠٠).[٢]

٢- الخطط الحربية:

اعتمد الموحدون في رسم خططهم الحربية لهذه المعركة على مبدأ الشورى، فقد

---

(١) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٦٩؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٤٥؛ الغنيمي، مأساة الفردوس المفقود، ص٣١١.

(٢) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص٣٠٦؛ المقدسي، تراجم رجال القرنين، ص٧؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ص٣٣٣؛

- J. F. O'Callaghan: Ahistory of Medieval Spain, P243.

جمع الأمير المنصور قادة الجيش وشيوخ القبائل من أهل الأندلس، وشاورهم في الخطة الفُضلى لسير المعركة. وخاصة أنهم أعلم من غيرهم بالمنطقة، وبالأساليب الحربية المعتادة لدى المسيحيين. وقد فوض القادة والشيوخ اختيار الخطة الملائمة إلى القائد أبي عبدالله بن صناديد[١]

رأى ابن صناديد أن يتولى قيادة أهل الأندلس زعماؤهم حتى لا تهبط معنوياتهم، وأن يبدأ الأندلسيون الهجوم بينما تكون فرق المغاربة قوة احتياطية تقدم العون عند الحاجة. ورأى القائد ابن صناديد أيضاً أن يُعين قائد عام للجيش كله، وكان القائد الذي تم إختياره لهذا المنصب هو أبو يحيى بن أبي حفص. كما رأى أن يرابط الأمير المنصور بقواته على مسافات قريبة خلف التلال، ليتسنى له الانقضاض على جيوش الممالك المسيحية في الوقت المناسب.[٢]

أما ملك قشتالة الفونسو الثامن فقد اتبع في معركة الأرك خطة قتالية جديدة في أسلوبها، إذا ما قورنت بأسلوب الممالك المسيحية المعتاد، وهو الأسلوب المتمثل في الامتناع داخل القلاع والحصون إلى أن ينفذ ما لدى القوى المعادية من مؤن، أو تتفشى الأمراض في قواتها، أو يحل فصل الشتاء، مما يحقق نصراً سهلاً على تلك القوى.[٣]

ويقضي هذا الأسلوب الجديد بالمواجهة المباشرة، إذ رأى الملك الفونسو الثامن أن من العار عليه، وهو قائد جيش ضخم، أن لا يجابه جيش الموحدين.[٤] ولكي

---

(١) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٦٧ - ١٦٨.

(٢) الغنيمي، مأساة الفردوس المفقود، ص٣١١؛ اشباخ، تاريخ الأندلس، ص٣٣٤.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٣٤؛ ابن أبي الدينار، المؤنس، ص١٤٢.

(٤) أشباخ، تاريخ الأندلس، ص٣٣٤.

يضمن النصر لجيشه، حاول الفونسو الثامن وضع خطة محكمة راعى فيها وضع الجيش بين قلعة الأرك من جانب، وبين التلال وطرقها الوعرة من جانب آخر لتوفير الحماية لجيشه من الجانبين. ثم أمر بنصب خيمته في مكان مرتفع، ليتسنى له متابعة الأحداث.(١)

٣ - التسليح والتموين:

قام الأمير المنصور - قبيل معركة الأرك - بتوزيع الأموال على الجند، وكان الهدف من ذلك هو تمكينهم من التزود بالسلاح والطعام والكساء.(٢) ويشار هنا إلى أن عدد الجيش الموحدي الذي اشترك في المعركة كان مائتي ألف (٢٠٠،٠٠٠) منهم مائة ألف «يأكلون من الديوان، مائة ألف مطوعة».(٣)

أما الجيش القشتالي فقد زوده الملك ألفونسو الثامن بكل ما يلزمه من السلاح والتموين. ومما يدل على ذلك وفرة الحمير التي حملت أثقال الجيش، إذ بلغ عددها نحو أربعمائة ألف (٤٠٠،٠٠٠).(٤)

جـ - سير المعركة:

نظّم جيش الموحدين صفوفه استعداداً لخوض معرك الأرك، وبعد أن تم

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٢٠٤.

(٢) المراكشي، المعجب، ص٢٨٢؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٢ ـ ١٣.

(٣) المقدسي، تراجم رجال القرنين، ص٧.

(٤) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٦٨.

الحشد، أبلغ القائد أبو يحيى بن أبي حفص قواته المحتشدة وصية من الأمير المنصور يطلب فيها أن يغفروا (الجنود) له، وأن يتغافروا فيما بينهم، وأن يخلصوا لله في نياتهم.[١] ثم خطب فيهم القاضي أبو علي بن الحجاج محرضاً إياهم على الجهاد، مبيناً فضله، منبهاً على مكانته.[٢] كما قام القادة باستثارة همم الجند، وبث الحماس في نفوسهم، وذلك بإخبارهم بالانتصارات التي حققها المسلمون بقيادة صلاح الدين الأيوبي في المشرق الإسلامي،[٣] وخاصة في معركة حطين (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م). ثم أمر الأمير المنصور هذه القوات التي أصبحت متحفّزة للقاء العدو بحمل الأسلحة واستكمال الاستعداد، «فتركوا بالمحلّة الحمولة والأثقال، ومشى جميع العساكر، ودنوا حتى صاروا من العدو بأوضح مرأى، وكانوا فيه قاب قوسين أو أدنى، وأخذوا مراكزهم، وقدموا رجالهم، وترتبوا بالصفوف، ووقفوا كالبنيان المرصوص، وقد بقي الأمير المنصور مع أهل بيته وراء الجميع يشدّ ظهورهم».[٤]

وبدأت المعركة يوم الأربعاء التاسع من شعبان سنة ٥٩١هـ/ التاسع عشر من تموز ١١٩٥م،[٥] بهجوم الفرسان المسيحيين في ثلاث هجمات متتالية محاولين اختراق صفوف المسلمين، ولكنّ حملة الرماح في مقدمة الجيش الموحدي ردّوهم على أعقابهم. وبعد أن أعاد أولئك الفرسان تنظيم صفوفهم شنوا هجوماً خاطفاً على قلب الجيش الإسلامي، وكانوا يعتقدون أن الأمير المنصور موجود فيه. وقد

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص١٩٤.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص١٩٤.

(٣) الغنيمي، ماساة الفردوس المفقود، ص٣٠٩.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص١٩٤.

(٥) ابن الزيات، التشوق، ص٣٤٩.

قتلوا في هذا الهجوم قائد الجيش الموحدي أبا يحيى بن أبي حفص، وجماعة من القوات النظامية. وعندئذ أطبقت عليهم ميمنة جيش الموحدين وميسرته، فقُتل كثيرون منهم، واضطرّ الباقون إلى الفرار.[١] ثم تتابعت هجمات الموحدين على جيش الأعداء، وألجأوا أعداداً كبيرة منه إلى حصن الأرك(Sta Maria de Alarcos) حيث حصرهم المسلمون، ثم اقتحموا الحصن عليهم، وأعملوا فيهم السيف، وأجبروا من ظل حياً منهم على الفرار. وبذلك انتهت معركة الأرك بهزيمة ملك قشتالة، ألفونسو الثامن (Alfonso VIII) وجيوشه. وتحقق فيها للمسلمين نصر كبير.[٢]

وقد تغنى المسلمون في الأندلس، وخاصة الشعراء، بانتصار المسلمين في معركة الأرك، ومنهم الشاعر أبو العباس الجراوي الذي وصف نتيجة هذه المعركة بالفتح، قائلاً:[٣]

هو الفتحُ أعيا وصفُه النظم والنثرا
وعمّت جميعَ المسلمين به البُشرى
وأنجدَ في الدنيا وغار حديثُه
فراقت به حُسناً وطابت به نَشرا
تميّز بالأحجال والغُرَر التي
أقلُّ سناها يبهرُ الشمسَ والبدرَا

---

(١) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٦٩ ـ ١٧٠؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ص٣٣٦.

(٢) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٧٠؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٣٩١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٣٧؛\ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٢؛ ابن الزيات، التشوق، ص٣٨٧ ـ ٣٨٨.

(٣) د. جمعة شيخة، الفتن والحروب، وأثرها في الشعر الأندلسي، ج٢، ص١٦٩.

أما الملك القشتالي ألفونسو الثامن فقد عاد بعد هزيمته في المعركة إلى بلاده، وكان في طريق عودته قد «ركب بغلاً، وأقسم أن لا يركب فرساً حتى تنصره ملوك الفرنجة، ويأخذ بثاره». [١]

أما الأمير المنصور فما لبث بعد أن وزع الغنائم على مستحقيها[٢] أن أطلق الأسرى، وهو الأمر الذي جعله يشعر بالندم فيما بعد، حيث قال عندما اشتد به مرض وفاته: «ما ندمت إلا على ثلاثة، أولها: إدخال العرب من إفريقيه إلى المغرب، والثانية: بناء مدينة رباط الفتح، والثالثة: إطلاق أسرى الأرك، ولا بدّ أن يطلبوا بثأرهم». [٣]

على الرغم من حسم معركة الأرك لصالح المسلمين، إلا أنها لم تضع حداً نهائياً للصراع الدائر في الأندلس بين الموحدين والممالك المسيحية، كما أنها لم تقض على طموح ملك قشتالة، ألفونسو الثامن في بسط سلطانه على كثير من مدن الأندلس، فقد سارع إلى حشد جيوشه، وعاد لمواجهة الموحدين، إلا أنه لم يعد بطائل، بل فشل فشلاً ذريعاً أمام جيش الموحدين الذي تصدى لقواته، وردّها على أعقابها، وعاد محملاً بالغنائم. [٤]

وقام الأمير المنصور - وقد رأى من إصرار ألفونسو الثامن ما رأى - بشن

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٣٥.

(٢) ابن أبي الدينار، المؤنس، ص١٤٣.

(٣) المكناسي، جذوة الاقتباس، ص٥٥٦.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٣٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٢٠٠؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٣. -

- Derek. W. Lomax: The Reconguest Of Spain, London, 1978, P 121.

هجمات متلاحقة على طليطلة (Toledo)، وتوغل في أراضيها، وأحرق رباطاتها، واقتحم بعض حصونها، وهدم أسوارها وذلك في سنة ٥٩٢هـ/ ١١٩٥م. وكانت نتيجة هذه الهجمات أن عظم أمر الإسلام في الأندلس.(١)

وقد كان إظهار قوة الإسلام، وفرض هيبته على جيوش الممالك المسيحية، وإلقاء الرعب في نفوس أفرادها هو الغاية التي أراد تحقيقها من تلك الهجمات الاستعراضية.

وجدد الأمير المنصور هجماته الاستعراضية سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م، ففي تلك السنة هاجمت قواته مدينة طليطلة، وحاصرتها، وقبل أن تنسحب قامت بعرض عسكري في ظاهر وادي الحجارة، وكان عرضاً يبعث الرهبة في نفوس مشاهديه.(٢)

ويثير انسحاب جيش الموحدين القوي - بعد حصاره طليطلة - كثيراً من التساؤلات، إذ كان عليه - ما دام قادراً على فتح المدينة أو الاستمرار في حصارها حتى تخضع - أن يمضي إلى غايته. وقد أورد بعض المؤرخين أسباباً واهية لهذا الانسحاب، ومنهم المقّري الذي علل الانسحاب بخروج والدة الملك ألفونسو الثامن وبناته ونساؤه إلى الأمير المنصور، «وبكين بين يديه، وسألنه إبقاء البلد عليهن، فرقّ لهنّ، ومنّ عليهنّ بها، ووهب لهنّ من الأموال والجواهر، وردّهن مكرمات، وعفا بعد القدرة».(٣) فهذا الموقف، موقف العفو عند المقدرة، مع أنه يمثل قيمة من

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٣٥؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص٣٠٧ـ ٣٠٨؛ المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٦٨؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٤٥.

(٢) النويري، نعاية الأرب، ج٢٤، ص٣٣٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٣٨؛ المراكشي، لمعجب، ص٢٨٣؛ عنان، عصر الموحدين والمرابطين، ص٢٢٩.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٦٨ ـ ٦٩.

قيم العرب، وينسجم مع الخُلق الإسلامي، إلا أنه يظلُّ مستغرَباً من الأمير المنصور تجاه الملك الفونسو الثامن، الذي علا علواً كبيراً عكسته رسالة التحدي السافر التي وجهها إلى المنصور قبل وقت غير بعيد.

ويبدو أن السبب الحقيقي للانسحاب هو استفحال خطر بني غانية في المغرب وإفريقية، فعندما اشتدت ثورتهم أمر الأمير المنصور جيشه بالانسحاب والعودة إلى المغرب. وقد واكب ذلك اتفاق الممالك المسيحية على طلب من الأمير المنصور عقد الصلح بين الطرفين مدته عشر سنوات،[١] مما شجعه على الانسحاب وهو مطمئن.

لقد عاد الأمير المنصور إلى مراكش، وسيطر على ثورة بني غانية، وقبيل وفاته عام ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م عهد بولاية العهد لابنه محمد الناصر.[٢]

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٣٥؛ المراكشي، المعجب، ص٢٨٤؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص٣٠٨؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٤٣١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٢٠٤.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٢٠٥؛ أبي الفداء، المختصر، ج٣، ص٩٦.

معركة العِقاب*

٦٠٩هـ/ ١٢١٢م

وقعت هذه المعركة في منطقة سهلية كثيرة التلال قرب مدينة بلنسية (Valencia)، بين مدينة جيان وقلعة رباح، إلى جانب حصن يدعى حصن سالم، أو حصن العقاب الذي عُرفت باسمه.[١]

وتذكر المراجع الأجنبية والحديثة هذه المعركة باسم: هضاب تولوسا (Las Navas de Tolosa). وتقع هذه الهُضاب على بعد خمسة كيلومترات إلى الشمال الشرقي من لا كارولينا (La Carolina).[٢]

وقد مهدت لهذه المعركة وأحاطت بها - مثلها مثل معركة الأرك - ظروف مختلفة. وسيعرض الباحث فيما يلي تلك الظروف، ثم يتناول الخطط التعبوية والحربية للمعركة، ووقائعها، ونتائجها.

---

* بكسر العين. الحميري، الروض المعطار، ص٤١٦.

(١) الحميري، الروض المعطار، ص٤١٦؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٣٢٣؛ المراكشي، المعجب، ص٣٢١؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٣٨؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٣٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص١٨٣؛ العامري، غربال الزمان، ص٤٩٣.

(٢) د. حسين مؤنس، معالم تاريخ الأندلس، ص٣٧٩؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ص٣٥٤؛

- J. F. O'Callaghan: Ahistory of Mi dieval Spain. P 249 Charles Julian Bishko: Studies in Medieral Spanish rontier History, London, 1980, P 423.

أ - ظروف المعركة:

بدأ الأمير أبو عبدالله محمد (الناصر لدين الله) ابن الأمير أبي يوسف يعقوب المنصور، بدأ عهده بمحاولة القضاء على الفتن والثورات التي نشبت في المغرب وإفريقية، وخاصة ثورة بني غانية ومن والاهم من القبائل المغربية.[١]

أما الممالك المسيحية فقد استغلت انشغال الأمير الناصر بتلك المشكلات الداخلية، وأخذت تعد العدة للثأر، ومحو الهزيمة التي لحقت بها في معركة الأرك. وكانت قوات هذه الممالك تخرق الهدنة المعقودة مع الموحدين، وتغير بين حين وآخر على المدن الأندلسية.[٢] ولم تألُ تلك الممالك جهداً في حشد طاقاتها، وتوحيد قواها استعداداً للجولة القادمة، فقد تنادت إلى إقامة حلف يضم جميع الممالك المسيحية، كما يضم بعض المتطوعين من الدول الأوروبية المجاورة بدعم من البابوية.[٣]

وتولى زمام المبادرة في هذا الشأن الملك ألفونسو الثامن، ملك قشتالة، فقد دعا الممالك المسيحية إلى مناصرته، واستغاث بالبابا، كما استغاث بالدول الأوروبية المجاورة، وراح يستنفر القاصي والداني، «فاجتمعت له جموع عظيمة من الجزيرة نفسها، ومن الشام، حتى بلغ نفيره القسطنطينية».[٤]

---

(١) ابن أبي الدينار، المؤنس، ص١٤٤، النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٣٩؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص١٣؛ الذهبي، تاريخ، ص٣٤٢.

(٢) المراكشي، المعجب، ص٣١٨؛ ابن أبي الدينار، المؤنس، ص١٤٤؛ الذهبي، تاريخ، ص٣٤٣.

(٣) د. أسعد حومد، محنة العرب، في الأندلس، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٨، ص١١٩.

(٤) المراكشي، المعجب، ص٣١٩.

ولم يختلف ما قام بـه الملك ألفونسو الثامن عما قام به الـصليبيون في أوروبا لحشد قواتهم في المشرق الإسلامي ضد المسلـمين، فقد رفع صلبانه - كما يقول ابن أبي زرع - «في جـميع بلاد الكفـر، فـجاءته ملوك الروم. . . مـستـعـدين غـاية الاستعداد».[١] بل سار في أقاصي الممالك «يستـنفر عبـاد الصليب، فاجتـمعت له الجيوش مـا سمع بمثلها، ونجدته فـرنج الشام، وعساكر القـسطنطينية، وملك أرغن البرشلوني».[٢]

بدأ الملك ألفـونسو الثامن بعـد هذه الحملة المحـمومة بين أبناء مـلته في أوروبا وغيرها،[٣] بتحركاته السياسية لعقد الأحلاف مع ملوك الممالك المسيحية.

وكـان أول مـن سـعى الملك ألفونـسو الثـامن لكسـبـه حليفـاً هو ملك ليـون ألفونسو التاسع (Alfonso IX)، فقد زوجه من ابنته الأميـرة برنجيلا، مما سهّل عقد تحالف بين المملكتـين، ترتب عليه اتفاق الملكين على غـزو الأندلس، والتعاون مـعاً على قتال المسلمين.[٤]

ثم حاول المـلك ألفونسـو الثامن عقـد حلف مع مملكة نبـرة، إلا أن محـاولته فشلت بسبب رفض الملك سـانشو السابع (Sancho VII) ملك نبرة التعـاون معه،

---

(١) ابن أبي زرع، الروض القرطاس، ص٢٣٧.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٢، ص٣٣٩.

(٣) ابن الخـطيب، الإحاطة، ص٣١٩؛ الذهبي، تاريخ، ص٣٤٤؛ ابن العبري، تـاريخ مختـصر الدول، ص٣٩١.

(٤) لانجـر، مـوسوعـة تاريخ العـالم، ج٢، ص٦٤٤؛ المطوي، الحـروب الصليـبيـة في المشـرق المغرب، ص٢٢٩.

- J. F. O'Callaghan: Ahistory of Midival Spain, P 244 - 245.

رغم توسط البابا سلستين لعقد حلف بين الملكين.[1] وتوجه ملك قشتالة بعد ذلك لعقد حلف مع ملك آرغون، بطرة الثاني الذي استجاب لطلبه، بل اتفق معه على اقتسام أراضي مملكة نبرة، وإخضاع ملكها الذي استغاث بالموحدين، وظل على موقفه السلبي من التحالف مع ملكي قشتالة وأرغون. غير أن هذا العداء انتهى بعقد تحالف بين الملوك الثلاثة سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م.[2]

ولم يبق أمام الملك ألفونسو الثامن حتى يكتمل حلف الممالك المسيحية سوى ضم مملكة البرتغال إلى هذا الحلف، وقد تحقق له ذلك إثر زواج الملك البرتغالي ألفونسو اينريكيث من الأميرة القشتالية أوراكا.[3]

لم يكتف الملك ألفونسو الثامن بعقد الحلف، بل عمل على إزالة الخلافات بين الممالك المتحالفة، وزاد من تماسكها، ووحد قواها لخوض حرب صليبية ضد مسلمي الأندلس، والثأر لما أصابها في معركة الأرك. وقد دعم هذا التوجه لدى الممالك المسيحية - الذي حظي بتأييد البابا - ما أصاب دولة الموحدين من ضعف، وذلك في أعقاب وفاة الأمير أبي محمد يعقوب المنصور.[4]

وكان أول ما قامت به الممالك المسيحية عد تحالفها هو تحصين المدن المتاخمة

---

(١) - Rogen Le Tourneau: The AL-Mohad Movement, P84, W. Montogomry Wat: Ahistory of Islamic Spain, P 108.

(٢) - J. F. O'Callaghan: A History Of Midival Spain, P 245.Chales Julian Bishko: Studies in Medival Spanish, P 423.

(٣) - Rogen Le Tourneu: The AL-Mohad Movement, P 85.

(٤) عبد الكريم اللواتي، مأساة الوجود العربي، ص٦٠٨ عنان، عصر الموحدين، ص٥٩٠؛ المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ص٢٢٩؛ اشباخ، تاريخ الأندلس، ص٣٥٦.

لحدود الدولة الموحدية في الأندلس، وإخلاء القرى والحصون القريبة من المسلمين.[١] ثم بدأت تتحرش بالمدن الأندلسية الحدودية مثل: جيان (Jean)، وبياسة (Baeza)، وأحواز مرسية (Murcia) بشن الغارات الخاطفة عليها، وتدمير قراها، وقتل من تجده من رجالها، وسبي نسائها، وإتلاف مزروعاتها.[٢]

فقد أهل الأندلس القدرة على الاحتمال، ولكنهم لم يستكينوا ولم يخضعوا، وتنادوا إلى المقاومة، واستغاثوا بأمير الموحدين أبي عبدالله محمد الناصر الذي سمع صريخهم فأعلن الجهاد، وأخذ يستنفر المسلمين، ويعد العدّة للقضاء على غطرسة الممالك المسيحية التي أوشكت على شن حروب الاسترداد ضد مسلمي الأندلس.[٣]

لقد تمكن الأمير الناصر من جمع جيش كبير بلغ تعداده نحو ستمائة ألف مقاتل (٦٠٠،٠٠٠). وعندما علمت الممالك المسيحية بذلك ارتعبت وأصاب جيوشها الفزع، فكفّت عن التحرّش، وأخذ قادتها يرسلون الرسل إلى إشبيلية عارضين السلام، طالبين الصفح.[٤]

وكان الأمير الناصر في تلك الأثناء يعدّ العدّة للعبور إلى الأندلس، وقد قام بذلك يوم الإثنين، الخامس والعشرين من ذي القعدة، سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م.

---

(١) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٢٢٢؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٧.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٢١١؛ ابن أبي الدينار، المؤنس، ص١٤٤؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص١٣؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٣٥.

(٣) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٢٢٠؛ ابن أبي الدينار، المؤنس، ص١٤٥.

(٤) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٢٢١؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٣٤ ـ ٢٣٥.

ونزل بساحل طريف حيث تلقاه عمال الأندلس وقادتها وفقهاؤها. وبعد ثلاثة أيام ارتحل إلى إشبيلية.(١) ثم تحرك قاصداً غزو مملكة قشتالة.(٢)

ضرب الأمير الموحدي الناصر، أمير الموحدين، حصاراً على قلعة شلبطرة* (Salvatierra) في صفر سنة ٦٠٨هـ/ ١٢١١م، ونصب حولها أربعين منجنيقاً. وقد استمر هذا الحصار نحو ثمانية أشهر انتهت بدخول فصل الشتاء، وكانت مؤن جيش الموحدين وأقواته قد قلّت، مما اضطرّ الأمير الناصر إلى التراجع عن القلعة، ولكنّه أبقى حامية من جنده لتواصل حصارها.(٣)

نبّه حصار قلعة شلبطرة الممالك المسيحية إلى الخطر الذي يتهددها، والذي أصبح وشيكاً، فبادروا إلى شن هجوم دفاعي، إذ اندفعت جيوشهم بقيادة ملك قشتالة ألفونسو الثامن باتجاه قلعة رباح، وحاصرتها.(٤) ولم تزد حامية القلعة عن سبعين فارساً (٧٠) كانوا بقيادة أبي الحجّاج يوسف بن قادس، يتولون حراستها، والدفاع عنها، ونظراً لاختلال ميزان القوى بين الحامية والمهاجمين، وحرصاً من ابن قادس على بقاء هذه القلعة في أيدي المسلمين، راح يبعث كل يوم كتاباً إلى الأمير

---

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٣٤؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٤٩.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٢٣٨؛ ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٢٣٧؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٢٢١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٤٢؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٧.

- Derek. W. Lomax; The Reconguest of Spain, P 122.

* شلبطرة حصن أندلسي، يسمى أيضاً: الأرض البيضاء، الحميري، الروض المعطار، ص٣٤٤.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٣٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٤٢.

(٤) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٢٢٣؛ الحموي، التاريخ المنصور، ص٦٦.

- Derek W. Lomax: The Reconguest of Spain, P 128.

الناصر يعلمه بحرج الموقف، ويستنصره على الأعداء.[١] ولكن تلك الكتب لم تصل إلى الأمير، فقد كان يحجبها عنه وزيره ابن جامع. وقد اضطر ابن قادس - وبعد طول حصار - إلى تسليم القلعة، عندما يئس من نجدة الأمير له.[٢]

وانسحب ابن قادس برجاله بعد أن أمّنهم ملك قشتالة على أنفسهم، وتوجهوا للانضمام إلى الأمير الناصر، وقبل أن يصلوا إليه أمر الوزير ابن جامع عبيده بتكتيف ابن قادس وصهره، وأمر بقتلهما، بعد أن استصدر موافقة الأمير بذلك.[٣]

وكان سقوط قلعة رباح حافزاً جهادياً، فبدل أن يفتّ في عضد جيوش الموحدين، أثار حماسهم، إذ نظموا أنفسهم واستعدوا لاسترداد القلعة، ومواجهة جيوش الممالك المسيحية. ثم تحرك الموحدون إلى اشبيلية، ومنها إلى قرطبة، وقاموا بعد ذلك بمحاصرة حصني شلبطرة واللج، وضيقوا عليهما الخناق، وتمكنوا من اقتحامهما.[٤]

ب - الاستعداد للمعركة:

أخذت جيوش الموحدين بعد تحقيق هذه الإنتصارات تفكر في خوض معركة حاسمة، وهو ما فكرت فيه جيوش الممالك المسيحية أيضاً. وفي صفر ٦٠٩هـ/ تموز ١٢١٢م) خاض الطرفان معركة العقاب. وكان ذلك بعد أن استعد كل طرف، وقام بالتنظيم، ورسم الخطط التي رأى أنها تحق له النصر.

---

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٣٧؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٢٢٣.

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٣٨.

(٣) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٢٢٣؛ ابن الخطيب، شرح رقم الحلل في نظم الدول، ص٢٠٣.

(٤) الحميري، الروض المعطار، ص٤١٦.

١- التنظيم التعبوي:

تكون جيش الموحدين من القبائل العربية والبربرية والمطوعة وأهل الأندلس وأعداد من العبيد، وهي العناصر التي تكون منها هذا الجيش في معركة الأرك.[١] وقد اتبع الأمير الناصر التنظيم التعبوي نفسه الذي اتبعه والده في معركة الأرك، حيث قسم الجيش إلى خمس فرق هي:

- المقدمة: وتضم أعداداً كبيرةً من الجند المطوعة، وقد بلغ عددهم نحو مائة وستين ألفاً (١٦٠،٠٠٠).

- القلب: ويضم الجنود النظاميين والاحتياط.

- الميمنة: وتشتمل على القوات الأندلسية.

- الميسرة : وتتألف من القبائل المغربية: زناتة، وصنهاجة، والمصامدة، وغمارة.

- المؤخرة: وكان فيها الأمير الناصر، وتضم الحرس الخاص من الفرسان والمشاة والعبيد.

أما الجيش المسيحي فيتالف من تلك الحشود التي جمعها ملك قشتالة ألفونسو الثامن من جيوش الممالك المسيحية، إضافة إلى عشرات الألوف من المطوعة الذين قدموا من فرنسا وانجلترا وغيرهما من الدول الأوروبية، والذين انضمت إليهم أيضاً

---

(١) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٢٢٠؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٢٤٢؛ د. عبدالفتاح الغنيمي، مأساة الفردوس المفقود، ص٣٢١.

- Luis Suarez Fernandez: Historia de Espana, P 651

مجموعات من الفرسان الداوية والاستبارية، وفرسان قلعة رباح. كما شاركت في جيش ألفونسو الثامن مجموعات من القساوسة والرهبان، ومن هؤلاء: مطران أربونة، وبوردو، وأسقف نانت الذين قاموا بدور كبير في رفع الروح المعنوية للجيش، وشحن الجند ضد المسلمين.(١)

رافقت جيش الملك القشتالي مجموعة من التجار اليهود. وكان هؤلاء يقيمون الأسواق بالقرب من مراكز الجيش لبيعه ما يحتاج إليه من تموين، كما كانوا يقومون بشراء أسرى الحرب.(٢)

قسم الملك الفونسو الثامن جيشه إلى ثلاثة أقسام:

- القلب: ويضم ملك قشتالة بجيوشه وجيوش مملكتي ليون والبرتغال. وقد اتخذ الملك ألفونسو الثامن مكاناً مرتفعاً ليتمكن من الإشراف على المعركة.

- الميمنة: وتضم ملك نبرّة وقواته.

- الميسرة وتتألف من ملك أرغون وقواته، القوات الفرنسية والإنجليزية وغيرها من المطوعة.

عزز الملك ألفونسو قواته بمجموعة من الجند، نشرها على التلال المحيطة

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٤٢؛ المراكشي، المعجب، ص٣٢١؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٢٢؛ د. حسين مؤنس، معالم تاريخ الأندلس، ص٣٧٩؛ منتغمري وات، في تاريخ اسبانيا الإسلامية، ص١١٩؛ فيليب حتي، تاريخ العرب، ج٢، ص٦٥٢؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ص٣٦١.

- Derek W. Lomax ; The Reconguest of Spain, P 125.

(٢) أشباخ، تاريخ الأندلس، ص٣٩٠؛ أحمد عطية الله، القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٩، ج٥، ص٤٢١.

بسهل تولوسا (Tolosa).[١]

هذا، وقد تولى الأمير الناصر قيادة جيش الموحدين، وعيّن الشيخ أبا بكر بن عبدالله بن أبي حفص قائداً ثانياً، وأسند له راية المعركة.[٢] وكانت تلك الراية من نسيج ذي ألوان متعددة،[٣] وقد كتب على وجهها الأول:

- [أعوذ] بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله [على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم].

﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم﴾

﴿ تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن، ذلك [الفوز العظيم]﴾.

بينما كتب على وجهها الثاني:

﴿ تؤمنون بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم﴾

﴿ ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات﴾.

---

(١) المراكشي، المعجب، ص٣٢١؛ فيليب حتي، تاريخ العرب، ج٢، ص٦٥٢؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ص٣٦١؛ د. اسعد حومد، محنة العرب في الأندلس، ص١١٩.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٢٤٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤١٦.

(٣) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص٤٤٠.

- Bernard Lewis: The World of Islam, P 244;
- D. Podd. S: AL Andalus Las Artes Islamicas en Espana edicion al Cuidado de Jerrilynn, Madrid, 1992, P 326.

أما الجيوش المسيحية فقد تولى ملك قشتالة ألفونسو الثامن قيادتها العامة. بينما كانت جيوش الممالك المسيحية المنضوية تحت لواء ألفونسو عبارة عن فرق عسكرية، يتولى كل ملك قيادة الفرقة التي تنتمي إلى مملكته.(١)

وأما راية المعركة التي رفعها الملك الفونسو الثامن فلم تذكر المصادر العربية ألوانها وشكلها، ولكن من المرجح أنها كانت تحمل شارة الصليب.

٢ - التسليح والتموين:

أمن الأمير الناصر ما يحتاج إليه جيش الموحدين من سلاح وكساء وطعام، إذ جمع بعض احتياجات الجيش قبل العبور إلى الأندلس، حيث ألزم كل قبيلة من القبائل المغربية المساهمة بأعداد من الخيل، إضافة إلى الرجال.(٢) كما أنه كان قد قام بجولة في البلاد الأندلسية سنة ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٢م، وأمر بصناعة الآلات الحربية، وشراء أنواع من الدروع والسهام وغيرها.(٣)

واعتمدت الجيوش المسيحية في توفير ما تحتاج إليه من أسلحة ومؤن على مملكة قشتالة. وقامت بتوفير ذلك أيضاً بعض المجالس البلدية في المدن الأوروبية، حيث جمعت الأسلحة والأطعمة والخيول وأرسلتها مساهمة منها في المجهود الحربي، ومن جهة أخرى قامت الممالك المسيحية بصرف رواتب الفرسان والمشاة

---

(١) أشباخ، تاريخ الأندلس، ص٣٦١؛ اسعد حومد، محنة العرب في الأندلس، ص١١٩.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٢١٨، ٢٢٧؛ ابن أبي زرع، الروض القرطاس، ص٢٣٤.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب،ق٣، ص٢٦٢.

قبل المعركة لتأمين احتياجاتهم، وكان راتب الفارس عشرين شلناً، وراتب الجندي خمسة شلنات.[١]

تزود الجيش المسيحي وغيره من القوات المسيحية المشتركة في المعركة بما يحتاجون إليه من ثمار وحطب من الأراضي الزراعية التي مروا بها، فقد كانوا يجمعون الثمار، ويقطعون الأشجار لطهي طعامهم.[٢]

جـ - سير المعركة

قام كل من جيش الموحدين والجيوش المسيحية، بعد أن أكملت استعداداتها بالتوجه إلى ساحة المعركة، فبعد أن اقتحمت القوات الموحدية حصني شلبطرة واللج، سارت مع الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير نحو مدينة بياسة. وقد تمكنت أثناء سيرها من السيطرة على الممرات الجبلية المؤدية إلى مدينتي ابدّة وبياسة، والممر المؤدي إلى سهل العقاب (تولوسا) حيث تجمعت هناك.[٣] كان أول عمل قامت به هو نصب قبة الأمير الناصر على ربوة، أحاط بها الحرس الخاص والعبيد الشاهرين حرابهم. ثم قامت تلك القوات بتحصين الربوة، حيث مدت حولها نصف دائرة من السلاسل الحديدية بدا الأمير خلالها وكأنه يجلس في حصن منيع. ووقف أمام الحصن الساقات والطبالون والعبيد مع الوزير أبي سعيد بن جامع.[٤]

---

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢٢، ص٢٩٣؛ اشباخ، تاريخ الأندلس، ص٣٥٨.

(٢) أشباخ، تاريخ الأندلس، ص٣٩٠.

(٣) المراكشي، المعجب، ص٣٢١؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٢٢٠ _ ٢٢٣؛ الغنيمي، ماساة الفردوس المفقود، ص٣٢١؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ص٣٦٤.

(٤) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٤٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص١٤١.

- Luis Suarez Fernandez: Historia de Espana, P 651

أما الجيوش المسيحية فقد استأنفت زحفها بعد السيطرة على قلعة رباح، وعبرت جبال الشارات وممر مورادل، واستولت على حصن العقاب، ثم واصلوا مسيرهم إلى سهل أبدّة حيث عسكروا هناك،[١] على هضبة عالية تعرف بهضبة الملك.[٢]

نشبت المعركة بين الطرفين يوم الاثنين ١٥ صفر ٦٠٩هـ/ ١٩ تموز ١٢١٢م، وقد ابتدأت بهجوم الفرق الأمامية من متطوعة الموحدين باتجاه قلب الجيش المسيحي، ولكن فرسان الممالك المسيحية انقضّت عليهم، وقتلتهم جميعاً[٣] ثم تابع هؤلاء الفرسان هجومهم باتجاه قلب الجيش الموحدي، ولكنهم جوبهوا بمقاومة عنيفة اضطرتهم إلى التقهقر والفرار. وعندما رأى ملك قشتالة، ألفونسو الثامن تقهقر الفرسان، زجّ مجموعة من أشجع جنده في المعركة، كما زجّ فيها أعداداً من الرهبان والقساوسة لإثارة الحماس. وعندئذ أعاد الفرسان الكرّة مركزين هجومهم على تحصينات الأمير التي احتشد وراءها العبيد والحرس الموحدي الخاص، وحاولوا اختراقها.[٤] وشنت القوات المسيحية هجمات متتابعة على الجيش الموحدي، وتمكنت من تحطيم قواه في كل من الميمنة والميسرة. وكانت الميمنة تضم القوات

---

(١) أشباخ، تاريخ الأندلس، ص٣٦٥؛ سيد يو، تاريخ العرب العام، ص٣٤٥.

- J. F O'Callaghan: A History of Mł dival Spain. P 248.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٢٤٠؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٢٢٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤١٦؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٣٩؛ العامري، يحيى بن أبي بكر الحضرمي (٨٩٣هـ)، غربال الزمان في وفيات الأعيان، تعليق محمد ناجي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، ١٩٨٥م، ص٤٩٣؛ منتغمري وات، في تاريخ اسبانيا، ص١١٩؛ د. حسين مؤنس، معالم تاريخ الأندلس، ص٣٧٩.

(٣) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٢٢٤؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٣٩.

(٤) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٣٩.

الأندلسية التي حقدت على الموحدين بسبب قتلهم الزعيم الأندلسي ابن قادس، قائد قلعة رباح. ولذلك اغتنموا أول فرصة لترك ساحة القتال، وكانت تلك الفرصة هي هجوم المسيحيين الكاسح وتفوقهم. ويدل على خيانة هؤلاء أن بعضهم لم يتأهب للمعركة أصلاً، بينما هرب بعضهم الآخر دون أن يسلّ سيفاً أو يشرع رمحاً.(١)

كان لانسحاب القوات الأندلسية التي شكلت ميمنة الجيش الأندلسي أثراً كبيرا في انهيار المعنويات. فعندما شاهدت القوات المغربية التي تشكلت منها ميسرة الجيش انسحاب تلك القوات، غادرت بدورها أرض المعركة. ولم يبقَ في ساحتها سوى الأمير الناصر، وحرسه الخاص، وبعض الجنود النظاميين، والعبيد. وقد ثبت هؤلاء بشجاعة. وحاولوا صد الهجوم، الذي ازداد ضراوة عندما تمكن ملك نبرّة سانشو السابع من اقتحام السلاسل الحديدية على رأس مجموعة من جنده. ومع ذلك استمر الأمير الناصر في قتالهم،(٢) «وثبت في ذلك اليوم ثباتاً لم يبدُ لملك قبله، ولولا ثباته هذا لاستؤصلت تلك الجموع كلها قتلاً وأسراً».(٣)

لقد ظل من بقي من جيش الموحدين في ساحة المعركة يقاوم الهجمات المسيحية مقاومة شديدة، إلا أنهم كانوا قلة قليلة بعد أن لاذ بقية الجيش بالفرار سخطاً على الموحدين، أو تحسباً من المواجهة، وكانت نتيجة ذلك هي الهزيمة الكبرى، فعندما أقبل الليل كان قد قتل من جيش الموحدين أكثر من عشرة آلاف (١٠،٠٠٠)،

(١) المراكشي، المعجب، ص٣٢٢.

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٣٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٤؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٢٢٣.

- Luis Suarez Fernandeez: Historia de Espand, P 551

(٣) المراكشي، المعجب، ص٣٢٢.

معظمهم من العبيد.[١]

لقد ظنّ الفارون من ساحة المعركة أن الجيوش المسيحية ستتركهم وشأنهم، ولكن الحقيقة كانت غير ذلك، فقد مارست تلك الجيوش تطهيراً عرقياً ودينياً ضدهم، ،مما يدل على ذلك، أن منادي ألفونسو الثامن، قد نادى بجيوشه أن لا أمر إلا القتل، وأن من أتى بأسير قُتل هو وأسيره. وقد قامت الجيوش المسيحية بملاحقة الجيش الموحدي، وراحت تقتل كل من تصل إليه.[٢] وهدف كل ذلك هو إخلاء الأندلس من العرب والمسلمين.

لم يبق أمام الأمير الناصر، وقد حدث ما حدث، سوى الانسحاب بمن بقي معه من الجند، متجهاً إلى مدينة بياسة، ثم تركها لتواجه مصيرها المحتوم على أيدي القوات المسيحية.[٣] وفي ذي الحجة من سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م غادر الأمير الأندلس عائداً إلى مراكش مخلفاً وراءه الكثير من المآسي التي ترتبت على هزيمة جيشه في معركة العقاب.

واصلت القوات المسيحية هجومها على المدن الأندلسية، فسيطرت على مدينتي أبدّة وبياسة وعدد من الحصن، وعاثت فيها قتلاً وسلباً وتخريباً.[٤]

---

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٣٩؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٢٢٤؛
- Derek. W. Lomax: The Recongest of Spain, P 128.

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٣٩ ـ ٢٤٠.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٤٢.

(٤) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٤٠؛ الذهبي، تاريخ، ص٣٤٤؛ المراكشي، المعجب، ص٣٢٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب ق٣، ص٢٣٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤١٦.

الفصل الرابع

اثر العلاقات الحربية بين الموحدين والممالك الاسبانية على الأندلس

اثر العلاقات الحربية بين الموحدين والممالك الاسبانية على الأندلس

تمهيد :

شكلت هزيمة الموحدين في معركة العقاب (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م) بداية النهاية لوجود دولتهم في الأندلس، بل للوجود الإسلامي برمته فيها. فقد أخذت الممالك المسيحية بعد انتصارها في تلك المعركة تكتسح المدن الأندلسية واحدة بعد الأخرى، وتمارس ضد أهلها ألواناً من التعذيب والاضطهاد، وتسلك كل السبل لطردهم منها.

وأدت الهزيمة - من جهة أخرى - إلى تنامي شعور السخط لدى الكثير من الأندلسيين ضد الموحدين، وظل هذا السخط يتأجج في النفوس حتى اشتعل على شكل ثورات عنيفة عجلت بسقوط دولة الموحدين في الأندلس.

لقد كانت للعلاقات الحربية بين الموحدين والممالك الإسبانية في الشمال آثار كثيرة على الأندلس، لم تقتصر على المجال السياسي، وإنما تعدت ذلك إلى مجالات كثيرة زراعية وصناعية واجتماعية، وكان بعض تلك الآثار إيجابياً بينما كان بعضها الآخر سلبيا. فقد اهتم الموحدون - بتأثير الحروب - بالتنمية الاقتصادية في مجالاتها المختلفة. وكانت لهم - بتأثير التزامهم الديني - مواقف صارمة من الفساد الاجتماعي، والزواج من المسيحيات، ومن اليهود والنصارى بشكل عام، وتعكس هذه المواقف مذهب الموحدين الذين حاولوا أيضاً اتباع أساليب صارمة في إدارة الأندلس منذ عبورهم إليها.

وسيعرض هذا الفصل ما ترتب على العلاقات الحربية بين الموحدين والممالك المسيحية في الشمال من آثار سياسية واقتصادية واجتماعية، موضحاً الأسباب التي أدت إلى هجرة كثيرين من أهل الأندلس إلى المغرب.

أولاً : الآثار السياسية:

بدأ الموحدون عهدهم في الأندلس بإدارة البلاد وفق أسس واضحة وضعها الأمير عبدالمؤمن بن علي.[١] فقد أوجب على أعيانها مباشرة الحكم بأنفسهم، وأن لا يجعلوا بينهم وبين الرعية وساطة، وأن لا يجتهدوا في شيء لا يعلمون فيه حكماً. وألزمهم بوجوب الدقة في تطبيق أحكام الشرع، وعدم الحكم بالإعدام أو تنفيذه قبل الرجوع إلى الأمير ليصدر قراره في ذلك. وحرم الخمر، وأبدى حرصه على صون المال العام[٢]. وعمل - باختصار - على إقامة العدل، وتوفير الأمن.

ظلت الدولة الموحدية المبنية على هذه الأسس قوية مزدهرة في الأندلس إلى أن حلت بها الهزيمة في معركة العقاب سنة (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م)، فقد وضعتها الهزيمة على أول طريق الإنحدار، وعجّل في ذلك تولي أمراء ضعاف منهم شؤون الحكم، مثل الأمير يوسف المستنصر (٦١٠هـ/ ١٢١٣م) الذي انكبّ على ملذاته، وترك تصريف أمور دولته لوزيره أبي سعيد بن جامع وغيره من شيوخ الموحدين الذين استبدوا بالحكم دونه.[٣]

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ص١٢ ـ ١٣؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص١٣٨.

(٢) ابن القطان: نظم الجمان، ص١٥٦ ـ ١٦٦.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص١٩٨؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٢٦٦؛ المراكشي: المعجب، ص٤٠٤؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ط٢٤٣؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص١٩.

وتوفي الأمير المستنصر سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٤م دون عقب، وبذلك بدأت مرحلة جديدة في حياة الدولة الموحدية تميزت بالاضطراب والصراع، والثورات المتلاحقة. وتم خلالها سقوط العديد من المدن الأندلسية في أيدي الممالك المسيحية.

أ - : ثورات الأندلسيين على الموحدين:

شجع ضعف الدولة الموحدية الأندلسيين على رفع أصواتهم مطالبين بتخليص بلادهم من سلطان الموحدين، وخاصة بعد أن شُغل هؤلاء بالصراعات فيما بينهم تاركين المدن الأندلسية عرضة لأطماع الممالك المتربصة بها. ومع أن هؤلاء الثائرين كان هدفهم واحداً، إلا أنهم لم يوحدوا جهودهم لتحقيق ذلك الهدف فقد تغلّبت عليهم الأطماع الشخصية، واستبدت بهم الأهواء، وراح كل منهم يسعى لتحقيق مآربه، فأنساهم ذلك هدفهم الحقيقي. وبدل أن يتكاتفوا لتحقيقه أخذ بعضهم يحارب بعضهم الآخر، ويُهادن الممالك المسيحية ليتفرغ للقتال. بل كثيراً ما استعان هؤلاء الثوار بالملوك المسيحيين ضد إخوانهم ومن أشهر الثوات التي قادها الأندلسيون ضد الموحدين في الأندلس:

- ثورة محمد بن هود (٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م).
- ثورة زيان بن مردنيش (٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م).
- ثورة محمد بن يوسف بن الأحمر (٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م).

١- ثورة محمد بن هود* (٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م):

أعلن محمد بن هود ثورته على الموحدين بعد هزيمتهم في معركة العقاب (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م) وما نجم عن ذلك من قيام جيوش الممالك المسيحية باكتساح كثير من مدن الأندلس وترويع أهلها. وقد روّج لهذه الثورة بما أشاعه بين الناس من أنه مخلصاً اسمه محمد واسم أبيه يوسف سيظهر بين الجند وسيتم على يديه إنقاذهم وحمايتهم.(١)

انتشرت أخبار هذه الثورة بين الناس في مدن شرق الأندلس حيث قام ابن هود بها، وانضمت اليها مجموعات من الجند، وبعض عصابات اللصوص. وبعد أن تقوى ابن هود بهؤلاء اتخذ حصن الصخيرات** مقراً له وراح يعد العدة للانطلاق.(٢)

تمكن محمد بن هود عام ٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م من السيطرة عل عدة مدن أندلسية

---

* محمد بن هود: وهو سليل أسرة بني هود أصحاب مملكة سرقسطة زمن ملوك الطوائف، بقي بنو هود يحكمون الثغر الأعلي الأندلسي إلى ان استولى عليه المرابطون سنة ٥٠٣هـ/ ١١١٠م، وانتزعوها من عماد الدولة بن أبي جعفر بن هود.

ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤٥ - ٢٤٦؛ سيد يو، خلاصة تاريخ العرب، ص١٨٥.

(١) ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤٥ - ٢٤٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٧٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٢٥٦؛ المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٧٥.

** حصن الصُخَيرات: يعرف بالصخور وهو حصن منيع يقع على نهر شقورة بالقرب من مدينة مرسيه. الحميري، الروض المعطار، ص١١٨.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٧٩؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص١١٨؛ العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٧١.

هي: مرسيه (Murcia)، قرطبة (Cordaba)، غرناطة (Granada)، اشبيلية (Sevilla)، مالقة (Malaga)، والمرية (Almeria). وأعلن نفسه أميراً عليها متخذاً لقب (المتوكل على الله). ولكي يعطي حركته صبغة شرعية خطب للخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣ ـ ٦٤٠هـ/ ١٢٢٦ ـ ١٢٤٢م).[١]

زاد أتباع ابن هود وقويت شوكته، وأصبح يهدد الدولة الموحدية في الأندلس. وعندما أدرك الموحدون ذلك حاولوا القضاء على ثورته فشنوا هجوماً عسكرياً ضد مدينة مرسيه الخاضعة له، وحققوا النصر عليه. وقد ظنوا أن انتصارهم كان كافياً للسيطرة على الوضع، إذ سرعان ما رجع الأمير الموحدي المأمون إلى مراكش المضطربة، حيث اختار شيوخ الموحدين أميراً بدلاً منه هو الأمير يحيى ابن الناصر.[٢]

استغل محمد بن هود عودة الأمير المأمون، واستأنف ثورته وسيطر على مدينة شاطبة وجزيرة شقر، ومدينة جيان. بل لاحق الأمير المأمون الذي كان يهم بعبور البحر إلى المغرب واشتبك معه في معركة سميت بمعركة (طريف)، وذلك في رمضان سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م. وقد انتصر ابن هود في تلك المعركة وسيطر على جزيرتي طريف والخضراء.[٣]

لم يكن أمام المدن الأندلسية بعد هذا الانتصار الذي حققه ابن هود في معركة طريف سوى الخضوع له، لذلك قدّمت له مدن: مارده (Merida)، ومالقة

---

(١) ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ص٢٧٧؛ المراكشي، المعجب، ص٤١٧؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ق٣، ص٢٦٩؛ ابن سعيد الأندلسي، المغرب في المغرب، ج٢، ص٢٧١.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٢٦٩؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٢٣٥؛ المراكشي، المعجب، ص٤١٧؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج٢، ص١٣٠؛ ابو رميلة: علاقات الموحدين، ص٢١٠.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص٢٨٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٥١.

(Malaga) وبطليوس (Badajoz) الولاء مما اضطر من بقي من الجيش الموحدي في الأندلس إلى الخروج منها.[١]

ولم يقتصر تأثير ثورة ابن هود على الأندلس، فبعد نجاحها هناك أعلنت بعض المدن المغربية مثل سبتة ورباط الفتح، وبعض القبائل العربية في مراكش الولاء له.[٢]

لقد خطب ابن هود للخليفة العباسي في بغداد كما ذُكر، وهو الأمرالذي جعل الخليفة المستنصر - وقد تناهت إلى مسامعه اخبار الانتصارات التي حققها ابن هود على الموحدين - ان يقلده ولاية الأندلس ويعزز شرعية حكمه فيها. إذ أرسل إليه رسالة عام ٦٣١هـ/ ١٢٣٤م بهذا الشأن قُرئت على الناس في مصلى العيد بغرناطة وكان ابن هود يومئذ يرتدي ملابس سوداء ويستظل براية سوداء، مما يؤكد ولاءه للخلافة العباسية.[٣]

وجد ابن هود نفسه - بعد خروج الموحدين من الأندلس - وجهاً لوجه أمام الممالك المسيحية في الشمال، التي كانت ترقب الأحداث، وتتحين الفرص للانقضاض على أراضي المسلمين. وقد أدرك ابن هود أنه لن يستطيع الصمود أمام أطماعها، فـأكثر الصلح معها، وعقد العزم على ذلك، وسعى إليه، وقد تمكن من عقد معاهدة صلح مع كل من مملكة ليون، مملكة قشتالة، ودفع لهما جزية سنوية بلغت أربعمائة ألف دينار.[٤] ولكن تلك الجزية، وذلك الصلح، لم يصمد أمام

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٢٦٩ ـ ٢٧٤؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٣٠٣.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٧٩ ـ ٢٨٠؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٥٣؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٢١٥.

(٣) ابن الخطيب، اعمال لأعلام، ص٢٨٠.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٢٨٨؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٨٣.

تصميم الممالك المسيحية على استئصال شأفة الإسلام من الأندلس، إذ لم يلبث ملك قشتالة أن وجّه الحملات العسكرية على المدن الأندلسية ومنها قرطبة التي استولت عليها إحدى الحملات سنة ٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م، ولم يتمكن ابن هود من إنقاذها.[١]

تمرد على ابن هود واليه على مدينة المرية أبو عبدالله الرميمي، وتمكن من قتله عام ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م. فتولى الحكم بعده ابنه الواثق بالله ابن هود الذي دان بالتبعية لملك قشتالة فرديناند الثالث.[٢]

---

(١) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص١٨٣.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ق٣، ص٢٣٧ ـ ٢٣٨؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص١٣٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٨٠؛

- J. F. O Callaghan: A History of Midieval Spain, P. 345.

٢- ثورة زيان بن مردنيش* (٦٢٦هـ/١٢٢٩م):

حكم الأمير الموحدي أبو زيد عبدالرحمن بن يعقوب مدينة بلنسية (Valencia) في أواسط سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٤م. ونظراً لتفوق الممالك المسيحية في تلك الفترة وتشتت المسلمين في الأندلس إلى دويلات ضعيفة أصبحت تلك الدويلات لقماً سائغة للملوك المسيحيين الذين كانوا إذا دخلوا مدينة عاثوا فيها، وأعملوا السيف في رقاب أهلها. ولكي يحمي الأمير ابن يعقوب مدينة بلنسية من هذا المصير دخل في طاعة ملك قشتالة، كما اتفق مع ملك أرغون خايمي الأول على دفع جزية سنوية له بلغت خمس خراج مدينة بلنسية، وذلك لدفع أذاه عنها.[1]

أغضب تصرف الأمير الموحدي أبي زيد بدخوله في طاعة الممالك المسيحية بعض المسلمين، ومنهم زيّان بن مردنيش الذي دفعته حميته عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م إلى إعلان الثورة، والسيطرة على مدينة بلنسية. وقد دخلها قادماً من مستقره يومئذ بمدينة أبّذة (Ubeda)، وذلك يوم «الاثنين، السادس والعشرين من صفر سنة ٦٢٦ هـ. وسكن القصر، وأخذ البيعة لنفسه أول ربيع الأول داعياً للخليفة العباسي ببغداد».[2]

---

* زيان بن مردنيش: وهو أبو جميل زيان بن أبي الحملات مدافع بن الرئيس بن يوسف بن سعد بن مردنيش، فجده يوسف هو شقيق محمد بن سعد بن مردنيش، أمير شرقي الأندلس في أواخر عهد المرابطين ومستهل دولة الموحدين، شغل والده قيادة الأساطيل الموحدي.

ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٧٢؛ ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٢٥٠.

(١) ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٣٠٤؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٧٢؛ أبو رميلة، علاقات الموحدين، ص٢٢٢ ـ ٢٢٣؛ السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٢٧٨.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٧٢.

بعد أن تمت السيطرة لابن مردنيش على مدينة بلنسية توجه الأمير الموحدي أبو زيد إلى ملك أرغون يستمد منه العون لاستعادة المدينة وقد وافق على هذا الطلب مشروطاً بأن يدفع له الأمير أبو زيد غلات كثيرة وأن يتنازل له عن بعض الحصون الواقعة في شرق الأندلس، مثل: حصن بنشكلة، وحصن مرلة، وحصن كولة، وحصن البونت.(١)

وجه ملك أرغون خايمي الأول قواته لاستعادة مدينة بلنسية للأمير الموحدي أبي زيد لكنها فشلت. ثم كرر محاولته خلال الفترة (٦٣٠ ـ ٦٣١هـ/ ١٢٣٣ ـ ١٢٣٤م) وتمكن خلالها من السيطرة على حصونها. أما مدينة بلنسية نفسها فقد ظلت صامدة بقيادة أبي جميل زيان بن مردنيش حتى عام (٦٣٦هـ/ ١٢٤٠م) حيث سقطت بيد جيش مملكة أرغون.(٢)

عندما سقطت مدينة بلنسية انسحب ابن مردنيش إلى مدينة مرسية (Murcia)، وحكمها باسم الحفصيين أمراء افريقية، وقد قلده هؤلاء ولاية شرقي الأندلس، فحكمها باسمهم.(٣) غير أن الواثق بن هود خلعه عن مرسية عام (٦٣٧هـ/ ١٢٤٠م) بسبب خلافات كانت بينهما، وأعلن طاعته لملك قشتالة الذي اعترف به حاكماً لمرسية بصفته تابعاً له.(٤)

---

(١) ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٣٠٥، هامش (١)؛ المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٧٥.

(٢) J. F. OCallaghan: A History of Medieval Spain, P. 345

(٣) ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٣٠٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٨٥.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣،ص٢٣٧ ـ ٢٣٨؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص١٣٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٨٠.

٣- ثورة محمد بن يوسف بن الأحمر* (٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م):

إزدادت حملات الممالك المسيحية على مدن الأندلس، ولم يعد باستطاعة ابن هود التصدي لهذه الحملات مما دفع سكانها المسلمين إلى البحث عمن يخلصهم من هذا الخطر الداهم، وقد وجدوا ضالتهم في محمد بن يوسف بن الأحمر، فجاؤوا إليه واعتبروه القائد المنتظر.(١)

أعلن ابن الأحمر ثورته عام (٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م) في حصن أرجون، فسارعت للدخول في طاعته مدن وادي آش** وبسطة، وشريش، وبعض مدن الأندلس.(٢) وفي أعقاب وفاة محمد بن هود عمل ابن الأحمر على توسيع مناطق نفوذه، وتمكن عام (٦٣٥هـ/ ١٢٣٨م) من السيطرة على مدينة غرناطة.(٣) ثم سار في العام نفسه إلى مدينة المرية واستولى عليها، وتوجه بعد ذلك إلى مدينة مالقة التي أعلنت الولاء والطاعة له في عام (٦٣٥هـ/ ١٢٣٨م) أيضاً.

وعندما وجد محمد بن يوسف بن الأحمر نفسه يسيطر على أجزاء واسعة من الأندلس أعلن نفسه أميراً عليها، وخطب للعباسيين ببغداد. لكنه تحول عنهم عام

---

* محمد بن يوسف بن الأحمر: يرجع نسبه إلى عباده سيد الخزرج، اشتهرت أسرته في قيادة الجند في ناحية أرجونة من أعمال ولاية جيان.

ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص٩٢؛ المقري، أزهار الرياض، ج١، ص١٦٧؛ ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حل المغرب، ج٢، ص١٠٩.

(١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٧٨؛ ابن خلدون، العبر، ج٧، ص١٩٠.

** وادي أش: وهي مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة. الحميري: الروض المعطار، ص٦٠٤.

(٢) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص١٨٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص٩٤ _ ٩٥؛ ابن عذاري، لبيان المغرب، ق٣، ص٢٧٩.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص٩٨.

(٦٣٧هـ/ ١٢٤٠م) وخطب للموحدين في مراكش، وذلك في عهد الأمير الموحدي الرشيد (٦٢٩ ـ ٦٤٠هـ/ ١٢٣١ ـ ١٢٤٢م). وبعد وفاة الأمير الرشيد قطع الخطبة للموحدين ، وخطب للحفصيين في افريقية.[1] ظل على ولائه لهم إلى أن توفي الأمير الحفصي أبي زكريا عام (٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)، حيث قطع الخطبة عنهم، وانتقل بالإمارة على ما تبقى من الأندلس.[2]

اشتدت الحملات المسيحية على المدن الأندلسية في عهد ابن الأحمر، ولم يتمكن من التصدي لها، فلجأ - كما فعل سابقوه - إلى عقد صلح مع ملك قشتالة فرديناند الثالث عام (٦٤٣هـ / ١٢٤٦م)، تنازل بموجبه عن مدينة جيان (Jean) وأحوازها لقاء إعتراف ملك قشتالة به كمعاون له في الحروب التي كان يخوضها ضد أعدائه ملوك الممالك المسيحية الأخرى.[3]

---

(١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص٢٨٦؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص٩٥ ـ ٩٧؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٣٦؛ الدّواداري: أبي بكر بن عبدالله بن أيبك، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق هانز روبرت، مطبعة لجنة التاليف، القاهرة، ١٩٦٠م، ج٩، ص٤٣.

(٢) الناصري، الاستقصا، ج٣، ص٣٨؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ج٢، ص٩٥ ـ ٩٧؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٣٦؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص٢٠.

(٣) أشباخ: تاريخ الأندلس، ص ٤٣٠ ـ٤٣٤؛ أبو رميلة، علاقات الموحدين، ص٢٣٤؛ عنان، عصر الموحدين، ص٤٣٣.

ب : سقوط المدن الأندلسية:

استغلت الممالك المسيحية ضعف دولة الموحدين بعد معركة العقاب (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م)، وأخذت كل منها توسع مناطق نفوذها على حساب الأراضي الأندلسية، وكان أهالي تلك الأراضي الأندلسية مشغولين في ذلك بالمنازعات فيما بينهم استعداء بعضهم ضد بعض.[١]

لقد كانت هزيمة المسلمين في معركة العقاب هي الفرصة الذهبية التي انتظرتها الممالك المسيحية طويلاً، فما أن تحقق حتى بدأت تلك الممالك بتنفيذ مخططاتها للاستيلاء على المدن الأندلسية، وممارسة التطهير العرقي والديني ضد سكانها المسلمين، فقد كانت تلك الوقعة (العقاب) هي «السبب الأقوى في تحيف الروم بلاد المسلمين، حتى استولوا على معظمها».[٢] وكان الملك ألفونسو الثامن، ملك قشتالة من أكثر الملوك المسيحيين تربصاً بالمسلمين، وحرصاً على الفتك بهم، واحتلال مدنهم.[٣] فقد سارع بعد إحرازه النصر على المسلمين في معركة العقاب، إلى السيطرة على مدينتي أبذة (Ubada) وبياسة (Beza)، وبعض الحصون القريبة منهما وعاث في هذه الأماكن فساداً حيث أباحها لجيوشه فقتلوا ونهبوا وسلبوا وقد تم ذلك كله في السنة نفسها التي وقعت فيها معركة العقاب (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م).[٤] ثم توالى سقوط لمدن الأندلسية واحدة بعد الأخرى.

---

(١) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٢٢٦؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ج٢، ص٣٩٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٢٣٩؛ الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب، ج٢، ص٢٤٤.

(٢) ابن فرحون، الديباج المذهب، ج١، ص٢٢٤.

(٣) المكناسي، جذوة الاقتباس، ص٢٠٧.

(٤) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٤٠ المراكشي: المعجب، ص٣٢٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤١٦؛ كولان، الأندلس، ص١٣٦.

١- مدينة قصر ابي دانس (Alcacer de sal) (٦١٤هـ/ ١٢١٧م):

تقع هذه المدينة في المنطقة الغربية من شبه جزيرة الأندلس، وقد تعرضت عام (٥٨٧هـ/ ١١٩٠م) لهجمات عديدة من قبل مملكة البرتغال، لكنها صمدت.[١] وبعد هزيمة جيش الموحدين في معركة العقاب سنة (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م)، وتشتت قوته، تمكنت القوات البرتغالية بقيادة الملك الفونسو الثالث من اقتحام المدينة وقتل من فيها وذلك سنة (٦١٤هـ ١٢١٧م).[٢] ثم تابع البرتغاليون هجومهم، ومدوا نفوذهم حتى السواحل الجنوبية الشرقية من شبه جزيرة الأندلس.[٣]

٢- مدينة بطليوس(Badajoz) (٦٢٧هـ/ ١٢٣٠م):

تعرضت مدينة بطليوس لاعتداءات الممالك المسيحية المتكررة، ووقعت في أيديهم أكثر من مرة، فقد احتلها ملك البرتغال الفونسو انريكيث سنة (٥٥٦هـ/ ١١٦١م) وحاول توسيع مملكته الناشئة على حسابها، لكن الموحدين تمكنوا من استرجاعها. ثم احتلها ملك البرتغال نفسه سنة (٥٦٢هـ/ ١١٦٩م)، وفشل مرة أخرى في الاحتفاظ بها أمام قوة الجيش الموحدي في تلك الفترة.[٤] وبعد هزيمة الموحدين في معركة العقاب (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م) خارت قوتهم، وانشغل أمراءهم في النزاع فيما بينهم على العرش. وقد استغل الملك الفونسو التاسع ملك ليون هذا

---

(١) ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٧٢ _ ٢٧٣.

(٢) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٢٢٧.

(٣) حاطوم، تاريخ اوروبا، ص٢٢٤.

(٤) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٣٨٠ _ ٣٨٣؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٥٨٠، الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٤٨.

الواقع، وهاجم المدينة سنة (٦٢٧/ ١٢٣٠م)، واحتلها.[1]

٣- الجزائر الشرقية (البليار):

تتـألف هذه الجزر من جـزيرة ميـورقـة (Mallorca)، وجـزيرة مـنورقـة (Manorca)، وجزيرة يـابسة (Ibiza). وتقع في البـحر المتوسط (الشامي) قـرب الساحل الشـرقي لشبـه جزيرة الأندلس وقـد هاجمتـها جيـوش مملكة أرغون بقـيادة ملكها خايمي الأول، وقـد تمكنت هذه القوات من السيطرة على جزيرة مـيورقة سنة (٦٢٧هـ/ ١٢٣٠م) وبعد ذلك سيطرت عـلى جزيرة يابسة. أما جزيرة منورقـة فقد ظلت صـامـدة في أيدي المسلمين حـتى سنة (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م) حـيث هاجـمتـهـا القوات المسيحية في تلك السنة وسيطرت عليها.[2]

٤- قرطبة (Cordoba) (٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م):

تعتبـر مدينة قرطبة كبرى القـواعد الأندلسية، وقد كانت عـاصمة الأندلس في عصرها الذهبي عصـر بين أمية (١٣٨ ـ ٤٠٣هـ/ ٧٥٥ ـ ١٠١٢م). وكان سـقوطها يعني سـقوط المدن لأندلسـية الأخـرى، وهو ما خطط له ملوك الممالك المسـيحـية طويلاً، إلا أنهم لم يستطيعـوا تنفيذ مـآربهم إلا في وقت متـأخر، بعـد أن خارت قـوى المسلمين فـي الأندلس، وتفـرقـوا إلى دويلات مـتناحـرة. وقـد تمكن الملك فرديناند الثالث بعد أن تولى حكم مملكتي قشتالة وليون معاً من إخضاعها وإخضاع

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٢٧٠؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٩٦؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٣٧٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٦٧.

(٢) ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٣١٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٧٦؛ فيشر، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٣٩٤.

بعض الحصون القريبة منها، وذلك سنة (٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م).[١] وكانت قرطبة واسطة العقد الذي بدأ بالانفراط عندما سقطت من وسطه.

٥- بلنسية (Valencia) (٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م):

تقع مدينة بلنسية في شرقي الأندلس، وظلت تتبع أمير هذه المناطق محمد بن سعد بن مردنيش حتى عهد الموحدين، حيث دخلت في طاعتهم سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧٢م.[٢] وظلت المدينة كذلك حتى استولى عليها زيان بن مردنيش سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م أثناء ثورته في تلك المنطقة. وقد تمكن من الحفاظ على المدينة أمام هجمات مملكة أرغون بقيادة ملكها خايمي الأول الذي استعان للسيطرة عليها بالمطوعة الذين أرسلتهم المدن الأوروبية. واستمرّ ذلك فترة من الزمن.[٣]

استمرت جيوش مملكة أرغون بالضغط على المدينة، إذ اقتحمت الحصون القريبة منها كحصن بريانة، وأنيشة، واتخذتها قاعدة للإغارة على نواحي بلنسية.[٤] وعندما أزداد الضغط استغاث زيان بن مردنيش، حاكم المدينة، بالقادة الحفصيين في

---

(١) الحميري، الروض المعطار، ص٤٥٦؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٣٣٢؛ المقري، أزهار الرياض، ج١، ص٤٨؛ ديورانت، قصة الحضارة، ج٤، ص٢٤٢؛ فيشر، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى، ص٣٩٤؛ حاطوم، تاريخ اوروبا، ص٢٢٤؛ لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ج٢، ص٦٤٥.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٢٣؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٢٥١.

(٣) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٣٠٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٧٣؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٤٧٩؛ ديورانت، قصة الحضارة، ج٤، ص٢٤٢؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ص٤٢٢.

(٤) الحميري، الروض المعطار، ص٨٨، ٤١؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٠٢.

المغرب، كما استغاث بهم أهلها تخوفاً ما قد يؤول إليه مصيرهم، فقد خاطب أحد الشعراء البلنسيين أبا زكريا الحفصي قائلاً:[١]

نـادتـك أندلسٍ فلـبِّ نداءهـا　　واجعل طواغيت الصليب فداءها

تلـك الجزيـرة لا بقـاء لها إذا　　لم يضـمن الفتـح القريبُ بقاءها

حاشاك أن تُفنى حشاشتها وقد　　قصـرت عليـك نداءهـا ورجاءها

وعلى الرغم من هذه الاستغـاثات الحارة لم يهبّ الحفصـيون لنجدة المدينة في الوقت المناسب، مما اضطر ابن مـردنيش إلى التـفاوض مع الملك خـايمي الأول على تسليم المدينة. وقـد وافق الملك على أن يؤمـن أهلها على أرواحـهم، ويسـمح لهم بالخروج منها.[٢]

وتبع سقوط بلنسية سنة (٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م) سقوط العديد من المدن الأندلس، فقد سقطت مدينة شقر (Jucar) سنة (٦٣٩هـ/ ١٢٤٢م)[٣]، ومدينة دانية (Denia) سـنة (٦٤١هـ/ ١٢٤٤م)،[٤] ومـدينة جيـان (Jean) سنـة (٦٤٤هـ/ ١٢٤٧م)،[٥] ومدينة شاطبة (Jativa) سنة (٦٤٤هـ/١٢٤٧م)،[٦] ومدينة مرسيه (Murcia) سنة ٦٤٤هـ/ ١٢٦٧م.[٧]

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٤٧٩ ـ ٤٨١ .

(٢) ابن الابار، الحلة السـيـراء، ج٢، ص١٢٧؛ الـزركـشي، تاريخ الـدولتين، ص٢٧؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٧٣.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٤٩٣.

(٤) ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٣٠٣.

(٥) ابن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٣٨٣.

(٦) ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٣٠٣.

(٧) ابن الابار، الحلة السيرا، ج٢، ص٣١٦.

٦- إشبيلية (Seville) (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م):

تعرضت مدينة إشبيلية سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م لحصار شديد، ضرب حولها ملك قشتالة فرديناند الثالث، ومنع عنها الأقوات، وقذفها بالمجانيق فخرب قصورها ومصانعها،[١] فساءت أحوالها، إذ «عدمت المدينة المرافق كلها قليلها وجليلها، وأصبح الناس حيارى، سكارى وما هم بسكارى. ومات بالجوع خلق كثير، وعدمت الأطعمة من القمح والشعير، وأكل الناس الجلود، وفنيت المقاتلة من العامة وأصناف الجنود».[٢] وقد اضطرت هذه الأوضاع أهل المدينة وزعماءها إلى الاستسلام للملك القشالي، ففاوضوه على ذلك، وكانت النتيجة أن سمح لهم بالخروج من المدينة بسلاحهم وأموالم وأمتعتهم.[٣]

وبسقوط مدينة إشبيلية في يد ملك قشتالة فرديناند الثالث سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م كانت معظم المناطق الأندلسية قد سقطت بيد الممالك المسيحية، ولم يبق منها سوى غرناطة (Grenada) التي ظلت تقاوم جيوش تلك الممالك حتى سقطت سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م.[٤]

---

(١) الحميري، الروض المعطار، ص٢٢؛ ابن أبي زرع، الذخيرة، ص٧٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٣٨٢؛ لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ج٢، ص٦٤٥.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٣٨٢.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٣٨٣.

(٤) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٤٨٣؛ فيشر، تاريخ اوروبا، ص٣٩٤.

ثانياً: الآثار الاقتصادية:

تتأثر الحياة الاقتصادية عادةً بالحياة السياسية، فعندما يعمّ الأمن والاستقرار تزدهر الصناعة والزراعة والتجارة. وعندما يضطرب الأمن ، وتكثر الفتن، وينشغل الناس بالتناحر، يتدهور كل شيء بما في ذلك الحياة الاقتصادية وإذا كان الإزدهار يواكب قوة الدولة وتطورها فإن الإنحطاط يلازم ضعفها وتراجعها. وهكذ كانت الأندلس في عهد الموحدين، مزدهرة اقتصادياً في بداية ذلك العهد، حيث كانت الدول في قوتها، ولكنها ما إن ضعفت حتى ظهرت المجاعات، وقلّت الأقوات، وارتفعت الأسعار، وتدهورت الزراعة والصناعة، وكسدت التجارة.[1] وعادت الأندلس إلى ما كان عليه الوضع قبيل عبور الموحدين إليها، حيث كثرت الثورات والفتن، واشتدت حروب الممالك المسيحية ضد مدن الأندلس. وهو الأمر نفسه الذي وقع عندما ضعفت دولة الموحدين.[2]

وسيتناول فيما يلي ما نجم عن المعارك بين الموحدين والممالك المسيحية من آثار على الحياة الاقتصادية في الأندلس بجوانبها المختلفة الزراعية واصناعية والتجارية.

١- في مجال الزراعة:

عبر الموحدون إلى الأندلس، وأبعدوا خطر الممالك المسيحية عنها، وعملوا على رقابة الدولة في كل المجالات. وتحقيقاً لهذه الغاية ألزم الأمراء الموحدون

---

(١) ابن عذري، البيان المغرب، ق٣، ص٢٣٦، ٢٤٥، ٣٠٧؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٢٩.

(٢) المراكشي، المعجب، ص٢١٣؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٨٤ ـ ٨٥؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٥٨ ـ ٢٦٠؛ البيذق، اخبار المهدي، ص٨١.

عمّالهم بتطبيق أحكام الشرع فيما يتعلق بالزكاة والعشر. كما ألزموهم بوجوب القضاء على المظالم، وإلغاء المكوس* والقبالات** وغيرها. أما الخراج فقد أبقاه الموحدون على الأراضي الزراعية في الأندلس والمغرب، إذ كان على كل قبيلة أن تؤدي للدولة قسطاً من الزرع والمال، وذلك لتحملها أعباء الجهاد في الأندلس.(١)

اهتم الموحدون بالزراعة، حيث أمروا باستصلاح الأراضي في الأندلس، وغرسها. ومما يدل على اتباع هذه السياسة منذ عهد الأمير عبدالمؤمن بن علي زراعة جبل طارق (الذي سمي فيما بعد جبل الفتح) بمختلف أنواع الفاكهة من أعناب وسفرجل وتين وتفاح ومشمش وغيرها من الثمار.(٢)

اهتم الأمراء الموحدون بالزراعة، وإقامة المنشآت الزراعية، فقد جلب الأمير أبو يعقوب بن عبدالمؤمن المياه إلى أراضي مدينة إشبيلية بواسطة قنوات تحت الأرض.(٣) وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن للدولة الموحدية قد شهدت في عهد ازدهارها بنهضة زراعية ملحوظة، وأنها كانت تؤمن ما تحتاج إليه جيوشها من فواكه وخضار عن طريق الانتاج المحلي.

ظلت الأندلس تنعم بالرخاء والازدهار الاقتصادي حتى أواخر عهد الأمير

---

* المكوس: وهي ضريبة العشر على التجارة وتؤخذ على السلع عند ادخالها للمدينة.

** القبالات: اسم لما يلزمه الانسان من عمل او دَيْن.

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٢٩؛ المراكشي، المعجب، ص٢١٣؛ ابن القنفذ، الفارسية، ص١٠٢ ـ ١٠٣.

(٢) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص١٣٣؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٥٨.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص١٠٤؛ ابو رميلة، علاقات الموحدين، ص٣٨٢.

المنصور، حيث أخذت تعصف بالأندلس الفتن والثورات والحروب بين الموحدين والإمارات الأندلسية في الشرق، وزاد الأمر سوءاً هجمات الممالك المسيحية على مدن الأندلس. وقد نجم عن ذلك كله خراب الأراضي الزراعية.(١)

اضطرت الحروب بين الموحدين والممالك المسيحية أعداداً كبيرة من المزارعين إلى هجر الأراضي الزراعية، كما أدت الحروب بين الطرفين، وخاصة تلك التي أعقبت معركة العقاب، إلى استشهاد كثير ممن كانوا يعملون في الأرض، لذلك افتقدت الأرض الزراعية من يزرعها فخربت، وساهم في خرابها أيضاً تلك الهجمات التي كان يشنها المسيحيون مستهدفين النهب والسلب وانتساف الزروع واقتلاع الأشجار، إضافة إلى قتل الأهالي.(٢) وربما كان أشدهم في ذلك، وأكثرهم إقبا عليه، الملك الفونسو انريكيث ، ملك البرتغال، فقد خرّب كثيراً من أراضي الغرب الأندلسي وخرّب مزروعاتها وشتت أهلها.(٣)

كانت الجيوش المسيحية إذا ما أدركت أنها ستضطر إلى إخلاء المكان، بسبب وصول إسناد قوي للقوات الإسلامية فيه، كانت قبل الإخلاء وأثناؤه تدمر كل ما

---

(١) عنان: عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦٢٧؛ السامرائي، دراسات في تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٤٧١؛ لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ج٢، ص٦٤٦؛ د. عز الدين أحمد موسى، ص١١٤.

(٢) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٥٥٠؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦٢٧؛ د. جمعة شيخة، الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي، ط١، المطبعة المغاربية للطباعة، تونس، ١٩٩٤، ج٢، ص١٤٦؛ أنطونيو دومنقير هورتز، تاريخ مسلمي الأندلس، ترجمة عبدالله صالح طه، ط١، دار الاشراق، قطر، ١٩٨٨م، ص٢٧٧.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٥٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٢٨.

تصل إليه من قرى ومزارع.(١)

وساهمت كثرة الضرائب التي كان يفرضها بعض الحكام في تدمير الزراعة، فقد فرض محمد بن سعد بن مردنيش، حليف الممالك المسيحية، كثيراً من الضرائب على الأراضي الزراعية، مما أثقل كاهل الفلاحين، وأجبر غالبيتهم على ترك مزارعهم وضياعهم. وكانت النتيجة أن أصدر ابن مردنيش قانوناً يبيح الاستيلاء على المزارع التي يتركها أصحابها مما أضر بالفلاحة بوجه عام.(٢)

وكانت الغنائم الكثيرة التي يحصل عليها ملوك الممالك المسيحية في هجماتهم على أراضي المبنلمين في الأندلس سبباً لتكرار الهجمات، فقد أغار ملك قشتالة الفونسو الثامن مرة بعد أخرى على الأودية الكبيرة الخضراء، ودمّر حقولها وحدائقها وقراها بعد أن نهب ما فيها من ثمار وغيرها، وأهلك الناس والدواب، وأضرم النيران في المحاصيل. وكانت السرايا المسيحية الخفيفة تهاجم الأراضي الزراعية بين قرطبة وإشبيلية وتلحق بها دماراً كبيراً لا يقل عما تلحقه بها الجيوش.(٣)

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٤٢ ـ ٤٣؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٢٩؛ المراكشي، المعجب، ص٣٣١.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص١٢٤؛ د. عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص١٧٢.

(٣) ابن القطان، نظم الجمان، ص١٩٧؛ اشباخ، تاريخ الأندلس، ص١٧٣.

٢- في مجال الصناعة:

كـان كثـير من الصنّاع قد هاجـروا من الأندلس بسبب الأوضـاع التي سادت قبل عبـور الموحدين إليها. وعندما دخلـها الموحدون، ومدوا دولتهم إليـها، عملوا على إعادة الحـياة إلى مدنها في مـختلف مجـالاتها، وشجعـوا الصنّاع على العودة إليها.(١)

شـجع الموحدون في عـهد ازدهارهم إنشاء المـصانع العكسرية لانتـاج الأسلحة من سيوف ورمـاح وقسي، إضافة إلى الأساطيل الحـربية وتجهيـزاتها، وذلك بسبب حاجـة الجيـش للتسلح في مـواجهـة الممالك المسيحـية التي نشـبت مـعهـا حروب متلاحقة.(٢)

تطورت الصناعة بشكل عام في عهد الأمـير الموحدي عبدالمؤمن بن علي الذي وفر الاستـقرار والأمن وعرفت المدن الأندلسية بأنواع من الصناعـات المزدهرة، فقد اشتـهرت مدينة مـالقة بصناعة الزجـاج والفخار المـزجج والملابس الحريرية.(٣) بينما اشتهرت مدينة المرية بالصناعات المعدنية لتوافر خامات الحديد والنحاس فيها.(٤)

وقام الأمـير الموحدي المنصور بعد انتصـاره على جيوش الممالك المسيـحية في معـركة الأرك (٥٩١هـ/ ١١٩٥م) بجلب الـصناع والمهندسين لتعـمير الأسواق في الأندلس.(٥)

---

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٢٠٢ ـ ٢٠٦.

(٢) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٢١٤ ـ ٢١٥.

(٣) ابن سعيد الاندلسي، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٢٣ ـ ٤٢٤.

(٤) المراكشي، المعجب، ص٣٦٣.

(٥) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٢١٤ ـ ٢١٥.

واهتم الأمير الناصر أيضاً بإنشاء المصانع والصناعات، وخاصة الحربية منها، لتزويد جيشه بالأسلحة، لذلك ركزت الجيوش المسيحية بعض هجماتها - في عهد الأمير الموحدي المذكور - لتدمير تلك المصانع والصناعات بهدف تخريبها وايقافها عن الانتاج.[١]

وقامت الجيوش المسيحية بعد انتصارها على الموحدين في معركة العقاب بملاحقة الجيوش الموحدية في الأندلس، وعملوا على تدمير المدن الأندلسية وتشتيت أهلها، وقد أدى ذلك إلى هروب الصناع من مدنهم إلى المغرب أو الى الممالك المسيحية، فقد استقرت مجموعة من الصناع مع عائلاتهم في مدينتي بجاية وتلمسان في كنف الدولة الحفصية، وقاموا بانشاء المصانع فيهما، حيث أنتاج الحرير الموشى بالذهب والخزف والأسلحة. كما مهروا بالصناعات الجلدية وبناء السفن.[٢] وأما أولئك الصناع الذين هاجروا إلى مدن الممالك المسيحية فقد أدخلوا إليها صناعة الأواني الخزفية والصناعات الفنية الصغيرة.[٣]

قامت الممالك المسيحية - بعد توغل جيوشها في الأراضي الأندلسية - بنقل العديد من الصناعات الأندلسية إلى مدنها وإلى المدن الأوروبية المجاورة. ومن هذه الصناعات: الطواحين الهوائية،والإبرة المغناطيسية (البوصلة). وقد ساهم ذلك في إثراء الشعوب الأوروبية وتطوير صناعاتها.[٤]

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٢٣٦؛ د. عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص١٩٠ _ ١٩١.

(٢) د. ناصر الدين السعيدوني، لجاليات الأندلسية بالجزائر، مجلة أوراق، المعهد الاسباني العربي، ع٤، ١٩٨١م، ص١٢٠.

(٣) ارنولد، تراث الاسلام، ص٢٩؛ هوتز، تاريخ مسلمي الأندلس، ص٢٧٧.

(٤) فيليب حتي، تاريخ العالم، ج٢، ص٢٧٨؛ هورتز، تاريخ مسلمي الأندلس، ص٢٧٧.

نقل المسيحيون إلى مدنهم أمهر الصناع الأندلسيين وقد شكّل هؤلاء فيما بعد طبقة من الأثرياء، أصبحوا يثيرون حقد المسيحيون وحسدهم، ويوغرون صدور ملوكهم ضدهم. وقد تأثر بعض ملوكهم بذلك، ومن هؤلاء الملك خايمي الأول، ملك أرغون، الذي أصدر أمراً عام (٦٤٤هـ/ ١٢٤٧م) طرد بموجبه الصّناع الأندلسيين من مملكته فغادرها نحو مائة ألف منهم.[١]

٣- في مجال التجارة:

أشرف الأمراء الموحدون على النشاط التجاري في الأندلس إشرافاً مباشرا وعملوا على تنشيطها فبعد عبور الموحدين إلى الأندلس (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) وجه الأمير عبدالمؤمن بن علي رسالة إلى طلبتها وشيوخها وأعيانها أمرهم فيها بإلغاء بعض الضرائب التي كانت مفروضة على التجارة وألغى المغارم والمكوس التي كانت تحول دون تطوير التبادل التجاري بين المغرب والأندلس.[٢]

اهتم الأمير يعقوب المنصور بالتجارة والتجار، إذ «كان يقعد للناس عامة ولا يحجب أحداً من صغير ولا كبير، وكان قد أمر أن يدخل عليه أمناء السوق وأشياخ الحضر في كل شهر مرتين يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وعمالهم وقضاتهم وولاتهم».[٣]

---

(١) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج٤، ص٢٤٨.

(٢) عنان، دول الاسلام، ق١، وثيقة رقم، ص٥٥٢ _ ٥٦١.

(٣) المراكشي، المعجب، ص٣٦٢؛ ابن خلدون، بغية الرواد، ج١، ص١٧١؛ المكناسي، جذوة الاقتباس، ص٥٥٥.

لقد تابع الأمراء الموحدون الأحوال التجارية في الأندلس متابعة حثيثة وبنوا فيها حضارة مزدهرة، زادت تألقاً باستتباب الأمن الذي حققوه ذلك بعد أن وضعوا حداً للفوضى المالية التي سادت في نهاية عهد المرابطين.[١]

تطورت العلاقات التجارية بين المدن الأندلسية وخاصة المرية وقرطبة والمدن المغربية ونشط الاستيراد والتصدير بين الجانبين، فقد كانت المراكب تحمل الأخشاب والحبوب والمصنوعات بأنواعها كافة من المدن المغربية الساحلية إلى المدن الساحلية في الأندلس وتعود محملة بالعنب والقطن والزيتون والمنسوجات.[٢]

وساعد على ازدهار النشاط التجاري بين الأندلس والمغرب قيام مدن المغرب الأقصى بين التجار الأندلسيين والمناطق الأفريقية الجنوبية، فقد كانت القوافل المغربية تحمل البضائع الأندلسية إلى غانة ومالي وتمبكتو، وتعود منها بالذهب والصمغ لنقله إلى الأندلس.[٣]

لم تقتصر العلاقات التجارية على المدن المغربية والافريقية وإنما توسعت لتشمل المدن الأروبية المجاورة مثل مرسيلية ومونبلييه، بالإضافة إلى بيزا وجنوا وصقلية، حيث عقدت اتفاقيات تجارية معها.[٤]

---

(١) جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ج٢، ص١٥٩.

(٢) ابو رميلة، علاقات الموحدين، ص٤٧٤.

(٣) د. جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية، مطبعة الجيلاوي، القاهرة، ١٩٧٥، ص١٥٩.

(٤) التازي، التاريخ الدبلوماسي، ج٦، ص١١٥؛ بروي، تاريخ الحضارات العام، ص٣٦٦؛ بوتشيش، الجاليات المسيحية، ص٨٠.

تطلب هذا النشاط الواسع إصلاح العديد من الموانىء والأسواق الأندلسية بعد أن أصابها الدمار بسبب الفتن والثورات التي عصفت بالأندلس قبل مجيء الموحدين، أو بسبب هجمات الممالك المسيحية. وإضافة إلى إصلاح الموانىء والأسواق قام الموحدون بتقديم الامتيازات والتسهيلات للمدن الأوروبية التي تم عقد اتفاقيات تجارية معها، ومن ذلك السماح للتجار الأوروبيين بالاتجار مع المدن الأندلسية الساحلية جميعها، وتخفيض ضريبة العشور.(١) كما قاموا بمضاعفة وزن الدينار الموحدي مما ساهم في تحسين التجارة وتطويرها.(٢)

وحرصاً من الموحدين على سلامة أموال التجار الأجانب وتحصيل الضرائب منهم، عيّنوا مشرفين على التجارة، كانوا مسؤولين عن التجار الأجانب في كل مدينة من مدن الأندلس، وكانت عمليات البيع والدفع تتم عن طريقهم.(٣)

وأثرت العلاقات الحربية بين الموحدين والممالك المسيحية تأثيراً مباشراً على التجار في الأندلس، إذ كانت هذه التجارة تزدهر ويعم الرخاء، وتنخفض الأسعار بسبب كثرة الغنائم عندما ينتصر الموحدون على تلك الممالك، كما حدث بعد انتصارهم في معركة الأرك (٥٩١هـ/ ١١٩٥م)، فقد رخصت الأسعار، حيث أصبح سعر الأسير (العبد) درهماً واحداً، وسعر الحصان خمسة دراهم وسعر الخيمة

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٩٩؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٠٦؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٢٠٢؛ بروي، تاريخ الحضارات العام، ص٣٦٦.

(٢) جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ج٢، ص١٦٠.

(٣) دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص٢١٧.

درهماً وسعر السيف نصف درهماً وسعر الحمار درهماً.[١]

أما عندما تدور عليهم الدائرة - كما حدث في معركة العقاب التي انهزموا فيها أمام جيوش الممالك السيحية عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م - فقد كانت الأسعار ترتفع ارتفاعاً فاحشاً مما يؤدي إلى خراب الأسواق، وظهور المجاعات والمحن، ليس في الأندلس وحدها وإنما في المغرب أيضاً.[٢] فبعد معركة العقاب «ضاقت الأرض بما رحبت على الناس لانقطاع المرافق والموارد... وعدمت الأقوات»[٣].

وكانت الجيوش المسيحية عندما تقتحم أي مدينة أندلسية بعد حصارها، تعيث فيها فساداً، وتحرق أسواقها، كما فعل ملك قشتالة الفونسو السابع بمدينة قرطبة.[٤]

وكان بعض التجار يستغلون الظروف، فيقومون - بعد الهجمات المسيحية على المدن الأندلسية - بإخفاء السلع الضرورية (احتكارها)، تمهيداً لرفع أسعارها ، ومن هذه السلع القمح الذي بلغ سعر المدّ منه خمسة عشرة ديناراً. فيقول ابن عذاري «واختفت الحبوب لقلتها، وارتفعت اسعارها، حتى بلغ مد القمح خمس عشرة ديناراً والربع من الدقيق بمثقال حشمي».[٥]

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٦٨؛ العامري، غربال الزمان، ص٤٧٧؛ المقدسي، تراجم، ص٧٨؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص٣٠٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٥.

(٢) المراكشي، المعجب، ص١١٩ ـ ١٢٠.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٢٦٥.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٩٨؛ النباهي، قضاة قرطبة، ص١٠٣.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص١١٦.

أدى انهيـار الحياة الاقـتصادية في بعض المدن الأندلسـية إلى هجرة الكثـير من تجارها إلى مدن أندلسية أخرى[1] كما انتقل كثيرون منهم من المدن الصغيرة إلى المدن الكبـيرة مـثل قرطبـة وغرناطة. وهـاجر آخـرون إلى المغرب، وأقـاموا تجـارتهم في مدنها. وقد شجّعهم على ذلك ما تتـمتع به تلك المدن من استقرار، وما يصل بينها من طرق تجارية مأمونة.[2]

(١) ابن الخطيب، أعـمال الاعـلام، ص١١٥؛ ابن القطان، نظم الجمـان، ص١٩٧؛ الحمـوي، تلخيص الكشف، ص١٠١.

(٢) ابن عـذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٢٣٦، ٢٤٥؛ بوتشيش، الجاليات المسيـحية بالمغرب، ص٨١؛ د. ناصر السعيدوني، الجالية الأندلسية بالجزائر، ص٨٩.

ثالثاً: الآثار الاجتماعية:

تركت العلاقات الحربية بين الموحدين والممالك المسيحية آثاراً واضحة على المجتمع الأندلسي ولتبيُّن هذه الآثار لا بد من الإشارة إلى أنّ الأمراء الموحدين وعمالهم على الأندلس وقد علموا منذ بداية عهدهم فيها على محاربة كل مظهر من مظاهر الفساد، وإلزام الناس بتطبيق أحكام الشريعة الحنيفة في كل المجالات. فبعد أن أشاعوا الأمن والاستقرار في معظم المدن الأندلسية، ووضعوا حداً لهجمات الممالك المسيحية، أصدر الأمير عبدالمؤمن بن علي مرسوماً يقضي بمحاربة الفساد بكل أشكاله.(١)

ويبدو أنّ المجتمع الأندلسي، وقد شعر بزوال الخطر المسيحي عنه بقدوم الموحدين، وانتعشت حياته في ظل ما وفروه من أمن واستقرار، وزاد ثراؤه بعد أن أتيح له ممارسة الزراعة والتّجارة والصناعة في ذلك الجو الآمن، يبدو أنه بعد أن تحقق له كل ذلك قد عاد كثيرون من أفراده إلى مجالس الطرب والغناء، والعبث واللهو. وهو ما دفع الأمير الموحدي أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن إلى اتباع سياسة صارمة في محاربة كل تلك المظاهر. وسار الأمير يعقوب المنصور على سياسة والده في محاربتها، فقد «تنكر وغضب في الله لذلك المنكر».(٢) وحدَّ من الإسراف في ارتداء الملابس، ومنع صنع الثياب الحريرية، وحاول أن يطبع عهده بطابع الزهد والتقشف.(٣)

وفي عهد الأمير الموحدي الناصر (٥٩٥هـ/ ٦١٠م) اشتدت هجمات

---

(١) البيذق، أخبار المهدي، ص٦٤ ـ ٦٥؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص٢٣ ـ ٢٤.

(٢) ابن عذاري، البيان لمغرب، ق٣، ص١٤٣.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص١٤٥؛ المراكشي، المعجب، ص٢٧٨.

المسيحيين، وتحالف ملوكهم مع بعضهم البعض. واستقدموا المتطوعين من مسيحيي أوروبا وتكاتفوا جميعاً ضد المسلمين وهزموهم في معركة العقاب (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م). وبدل أن يعمل هذا الأمير الموحدي على النهوض من كبوته، ويستعد لمحو عار الهزيمة، والأخذ بثأر المسلمين، «انغمس في لذاته مصطبحاً ومغتبقاً»، فدسّ وزراؤه السم في كأس خمر مع إحدى جواريه فمات.(١)

وجاء من بعد الناصر الأمير المستنصر، وكان شاباً أميل إلى الطيش منه إلى الحنكة والتعقل، إذ أمضى جلّ حياته لاهياً ماجناً، مشتغلاً عن تدبير الأمور بما تقتضيه نوازع الشباب.(٢)

لذا بدأ الموحدون عهدهم بالأندلس بداية قوية، وحققوا على أعدائهم المسيحيين الكثير من الانتصارات، وسبوا، وكان للسبايا المسيحيات أثر في حياتهم بعد أن تزوج منهم الأمراء وأبناؤهم. ونجم عن احتكاك المجتمع الإسلامي في الأندلس مع المجتمعين المسيحي واليهودي ضرورة تأطير العلاقات مع هذين المجتمعين. ومثلما أثرت الإنتصارات على المجتمع الأندلسي أثرت الهزائم التي لحقت به، وفي كل من الحالتين اكتسب عادات لم تكن مألوفة. كما أن الحروب أفقدت المجتمع الأندلسي كثيراً من عناصرهالمتميزة ما بين شهيد ومهاجر. وفيما يلي تفصيل هذه الآثار.

---

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٤١.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٥٠.

١- الزواج من المسيحيات (الاسبانيات):

أدى انتصار الموحدين على الممالك المسيحية إلى وقوع كثير من السبايا المسيحيات في أيدي المسلمين، وقد تزوج منهن بعض الأمراء. ومن هؤلاء يوسف بن عبدالمؤمن الذي تزوج من سبية اسمها ساحر، فأنجبت له ابنه يعقوب المنصور. وقد تزوّج هذا الأخير من سبيتين؛ الأولى من شنترين اسمها سرّ الحسن، والثانية اسمها زهرة. وقد أنجبت له زهرة محمد الناصر، الذي تزوّج هو الآخر من مسيحية اسمها قمر، ولقبها حكيمة.[١]

لم يقتصر الزواج من مسيحيات على الأمراء وأبنائهم، فقد كان بعض الأندلسيين يتزوجون منهن أيضاً، حتى أصبح الزواج من المسيحيات ظاهرة ملحوظة. ولكنها لم تسر على وتيرة واحدة، إذ ارتبط بروزها واختفاؤها بقوة الدولة الموحدية وضعفها، أو بمعنى آخر ارتبط بكثرة السبايا في حال الانتصار، وندرتهن في حال الهزيمة.[٢]

ظهر مع استمرار الحروب، واشتداد العداوة بين الموحدين والممالك المسيحية نوع من التعصب من جانب المسيحيين، فلم يعودوا يتسامحون في زواج المسلمين الأندلسيين من مسيحيات، بل دعت البابوية إلى قطع هذه العلاقات.[٣]

---

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٤٢، ١٦٣؛ المراكشي، المعجب، ص٢٦١، ٣٠٧، ٣٢٣.

(٢) ابراهيم طرخان، المسلمون في اوروبا في العصور الوسطى، ص١٨؛ غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩، ص٢٦٨.

(٣) لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ج٢، ص٦٤٦.

٢- موقف الموحدين من يهود ونصارى الأندلس :

تالف المجتمع الأندلسي في عهد الموحدي من عناصر سكانية مختلفة، كالعرب والبربر وسكان البلاد الأصليين من يهود ومسيحيين. وقد تمكن الموحدون من استمالة هذه العناصرإلى جانبهم، وألفوا منهم قوة عسكرية كانت تقف إلى جانبهم في حروبهم. وكان الموحدون يعاملون أهل الذمة، وخاصة اليهود، معاملة حسنة، لم يحظوا بمثلها في أي مجتمع عاشوا فيه.

استمرت معاملة الموحدين الحسنة لليهود حتى غدر الأخيرون بهم،فقد تجسسوا على المسلمين أثناء حربهم مع الملك المسيحي ألفونسو السابع (Alfonso VII)، وساعدوه في احتلال قرطبة عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م. وعندما انكشف أمر اليهود خيّرهم الأمير عبدالمؤمن بن علي بين الموت، أو الهجرة إلى الممالك المسيحية في الشمال، أو الدخول في الإسلام، وقد أسلم بعضهم، ولحق البعض الآخر بالممالك المسيحية.[١]

وأمر الأمير الموحدي المنصور سنة ٥٩٠هـ/ ١١٩٥م بأن يميّز اليهود عن غيرهم من عناصر المجتمع، فجعل قميص اليهودي ذراعاً في ذراع، وجعل لهم برانس وقلانس زرقاً.[٢]

وكان اليهود في الأندلس - كما يقول المراكشي - «يظهرون الإسلام، ويصلّون في المساجد، ويقرئون أولادهم القرآن، جارين على ملّتنا وسنّتنا، والله أعلم بما تكن صدورهم، وتحويه بيوتهم».[٣] وقد حصلوا - فيما بعد - على قسط كبير من

---

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص١٢٩ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٣٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٨١.

(٢) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص١٦؛ ول ديورانت، تراث الاسلام، ص٢٨.

(٣) المراكشي، المعجب، ص٣٠٥.

الحرية، وعوملوا معاملة حسنة، وأصبحوا يعملون كسفراء لدى الممالك المسيحية، ومترجمين بين المسلمين والمسيحيين كابن الفخار اليهودي.[١]

أما نصارى الأندلس فقد كانوا يحظون بحرية أكبر مما حظي به اليهود، فلم يميزوا بلباس معين، وكانت هناك مصالح مشتركة كثيرة بينهم وبين المسلمين.[٢]

٣- العادات الاجتماعية:

تزامن مع انتصارات المسلمين في الأندلس، في عهد الموحدين، ظهور عادات جديدة، تتمثل بمراسم الاحتفالات بتلك الانتصارات، فقد كان الأمير الموحدي يجلس لقبول التهاني «وتضرب الطبول، وتخرج المواكب، وتسير الرسائل، وتخرج الصدقات، وتوزع البركات، ويطعم الناس، وينشد الشعراء».[٣]

وبعد انتصار الممالك المسيحية على المسلمين في معركة العقاب سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م، ودخول الجيوش المسيحية إلى المدن الأندلسية، أخذ المسيحيون يجبرون المسلمين على ارتداء زي خاص بهم، وأسكنوهم في أحياء معزولة، كما أرهقوهم بكثرة الضرائب.[٤]

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ق٣، ص٢٣٠؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٢٣٩.

(٢) السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين، ص٥٣، ص٥٨.

(٣) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٢٥٣، ٢٥٦.

(٤) ول ديورانت، قصة الحضارة (عصر الايمان)، ص٢٤٨.

وأدت الحملات الحربية المسيحية على الأندلس إلى استشهاد أعداد كبيرة من أهلها، كان من بينهم القضاة والأطباء والفقهاء والأعيان. ونجم عن ذلك تراجع الحياة العلمية والثقافية. وممن استشهدوا في تلك الحروب التي خاضها الموحدون ضد الممالك المسيحية:

- الشيخ أبو عمر أحمد بن محمد بن هارون النفزي (٥٤٢ ـ ٦٠٩هـ/ ١١٤٧ ـ ١٢١٢م) الذي استشهد في معركة العقاب (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م). وهو من شاطبة، سمع في الأندلس على عدد من الحفاظ ثم رحل الى المشرق، وتنقل بين مكة والموصل، وعاد إلى الأندلس. وكان ذا حظ وافر من الأدب يجيد النظم والنثر. وقد روى عنه أبو الحسن بن القطان.[١]

- محمد بن إبراهيم البطليوسي: وهو من أهل بطليوس، كان مقرئاً مجوّداً خطيباً. واستشهد في معركة العقاب (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م).[٢]

- محمد بن حسن بن محمد بن عبدالله بن خلف الأنصاري: وهو مالقي، صنف في الحديث، كان يحض على الجهاد، ويطلب الشهادة في سبيل الله. وقد حقق الله طلبه إذ استشهد في معركة العقاب (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م).[٣]

- مطرّف بن مطرف التجيبي: وهو أديب شاعر من أهل غرناطة، وقد توفي في شهر ربيع الأول سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م متأثراً من جرح أصابه في معركة العقاب

---

(١) ابن فرحون، الديباج المذهب، ج١ ص٢٣١ ـ ٢٣٤؛ ابن الابار، التكملة، ج١، ص١٠١ ـ ١٠٢؛ المنذري، التكملة لوفيات النقلة، مجلد٤، ص١٠؛ النباهي، قضاة قرطبة، ص١١٦.

(٢) المراكشي، الذيل والتكمل، السفر السادس، ص١٠٩.

(٣) المراكشي، الذيل والتكملة، السفر السادس، ص١٦٦ ـ ١٦٨.

التي وقعت في شهر صفر من تلك السنة.[١]

– عبدالله بن أبي بكر محمد بن عمر بن خلف الهمداني: يعرف بابن هلال، وهو طبيب أندلسي من أهل غرناطة، شارك في معركة العقاب، واستشهد فيها سنة (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م).[٢]

– أبو اسحق إبراهيم الداني: أصله من بجاية، وقد كانت له عناية بالغة بصناعة الطب. استشهد في معركة العقاب (٦٠٩هـ/ ١٠١٢م).[٣]

وممن استشهدوا في الحروب بين الموحدين والممالك المسيحية ءيضاً: أبو جعفر الحصار، أحمد بن يحيى بن عون الله الأنصاري،[٤] ومحمد بن حسن بن صاحب الصلاة،[٥] وعلي بن الغازي الميورقي،[٦] والقائد أبي بكر بن عبدالله بن أبي حفص.[٧]

٤- هجرات الأندلسيين إلى المغرب:

رافق الموحدين عند عبورهم إلى الأندلس كثيرون من أهل المغرب من القبائل

(١) ابن الزبير، الصلة، ق٣، ص٧٦؛ ابن سعيد، المغرب في حلى لمغرب، ج٢، ص١٢٠.

(٢) ابن الزبير، الصلة، ق٣، ص١٦٣.

(٣) ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص٥٣٤.

(٤) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٣٦.

(٥) النباهي، قضاة قرطبة، ص١١٥ ـ ١١٦.

(٦) الحميري، الروض المعطار، ص٤١٦.

(٧) الحميري، الروض المعطار، ص٤١٦.

العربية والبربرية. واشرك هؤلاء إلى جانب الأندلسيين في الحروب مع المسيحيين، وساهموا في تحرير المدن الأندلسية وحمايتها.[١] ومع استمرار الحروب كانت تعبر إلى الأندلس أفواج جديدة من المغاربة للمشاركة فيها.[٢]

وتأثرت الأندلس تأثراً بالغاً بهزيمة الموحدين أمام جيوش الممالك المسيحية في معركة العقاب (٦٠٩هـ/ ١٠١٢م)، فقد كانت الجيوش المسيحية تقترف الفظائع في كل مدينة تدخلها. وقد دفع ذلك أعداداً كبيرة من الأندلسيين، أهل تلك المدن، إلى الهجرة إلى مدن أندلسية أخرى أكثر أماناً واستقراراً كقرطبة وغرناطة وغيرهما.[٣]

ومع ازدياد ضغط الجيوش المسيحية على المدن الأندلسية، وتساقط هذه المدن واحدة بعد أخرى، أخذت هجرة الأندلسيين تتجه نحو المغرب. وقد صوّر بعض الشعراء الأندلسيين كيف أصبحت الأندلس بعد معركة العقاب (٦٠٩هـ/ ١٠١٢م) أرضاً تلفظ أبناءها الذين لم يعملوا على الحفاظ عليها، والاحتفاظ بها. ومن هؤلاء الشعراء ابن العسال الذي قال في قصيدة له:[٤]

وقائلةٍ أراكَ تُطيل فِكْراً   كأنّه قد وقفتَ لدى الحساب

فقلتُ لها: أفكر في عقابٍ   غدا سبباً لمعركة العقابْ

فما في أرض أندلس مقامُ   وقد دخل البلا من كل باب

---

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٢٠٣.

(٢) ابن ابي الدينار، المؤنس، ص١٤٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٣٩

(٣) ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص١٥ ـ ١٧.

(٤) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٤٦٤.

لقد بدأت هجرة الأندلسيين إلى المغرب - كما يذكر ابن خلدون - بعد سقوط بلنسية في يد الممالك المسيحية عام ٣٦٣هـ/ ١٢٣٨م، حيث هاجرت قبائل عديدة من شرق الأندلس إلى غرناطة، ومنها إلى افريقية والمغرب.(١)

وكانت هجرة الأندلسيين جماعية وفردية،(٢) ولا يعني ذلك أنهم جميعاً اندفعوا إلى ترك مدنهم وأرضهم، فقد فضل كثيرون منهم الموت على ذلك، ومن هؤلاء أهل مدينة أبذة (Ubeda) الذين ثبتوا في مدينتهم، بغض النظر عمّا ينتظرهم من مصير.(٣) وعلى الرغم من ذلك أصبحت الصورة العامة للأندلس بعد معركة العقاب (٦٠٩هـ/ ١٠١٢م) سوداء قاتمة، فقد «أفضى الحال إلى خلائها من أهل الملّة الحنيفة».(٤)

ولم تحدد المصادر التاريخية الأماكن التي نزح إليها الأندلسيون، وأعداد الجاليات الأندلسية التي نزحت تحديداً واضحاً. وربما وقعت أكبر الهجرات الجماعية بعد سقوط شرقي الأندلس سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م، وهو ما يُفهم من إصدار الأمير الموحدي الرشيد ظهيراً (مرسوماً) يبيح لهم سكن رباط الفتح وتعميره.(٥)

ووصل بعض الأندلسيين، بعد طردهم من بلادهم، إلى تونس، وكان معظم هؤلاء ينتمون إلى عائلات عريقة لها أثرها البعيد في بناء الحضارة لأندلسية سياسياً

(١) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٧١١.

(٢) محمد رزوق، الاندلسيون وهجراتهم، ص٣٥؛ بوتشيش، الجاليات المسيحية بالمغرب، ص٨١.

(٣) الحميري، الروض المعطار، ص٦.

(٤) ابن فرحون، الديباج المذهّب، ج١، ص٢٣٤.

(٥) محمد صالح الجوت، أثر الأندلسيين في الأدب المغربي، ص٢٣٩.

وعلمياً. وحاول هؤلاء - في مستقرهم الجديد - أن يستأثروا بالوظائف الراقية، ومراتب الشرف.[١] ونجح بعضهم في إشغال المناصب العالية، مما أثار حسد نظرائهم من أهل البلاد، وأوقع الواناً من الخلاف بين الوافدين والمقيمين.[٢]

وتوجهت جماعات من الفقهاء والعلماء الأندلسيين إلى بجاية وتلمسان، حيث استقبلهم الحفصيون بحفاوة وإكرام، وأحسنوا وفادتهم.[٢]

(١) انظر مقدمة الحلة السيراء لابن الابار، تحقيق حسين مؤنس، ج١، ص٤٠.

(٢) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص٤٠.

(٣) السعيدوني، الجالية الأندلسية بالجزائر، ص١١٢.

الخاتمة

استهدفت الدراسة العلاقات الحربية بين الموحدين والممالك الاسبانية في شمال الاندلس، للوقوف على مظاهر الاحتكاك ونتائجه على الاندلس من خلال ما وقع على أراضيه من معارك كان أشهرها معركتي الأرك (٥٩١هـ/ ١١٩٥م) والعقاب (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م) وقد خلصت الدراسة الى ما يلي:

١ ـ لعب عبدالمؤمن بن علي بعد ابن تومرت دوراً بارزاً في حمل الدعوة الموحدية ونشرها في المغرب والاندلس وحقق إقامة دولة الموحدين من خلال توحيد المغربين الأقصى والأوسط وافريقية حتى برقة والأندلس.

٢ ـ كان لقيام إمارة محمد بن سعد بن مردنيش في شرق الاندلس وإمارة بني غانية في الجزائر الشرقية (البليار)، ووقوفها في وجه الموحدين دوراً في إضعاف قوة المسلمين في الأندلس، وهدر طاقة الجيش الموحدي.

٣ ـ إهتم الموحدون بالمؤسسة العسكرية في بداية دولتهم، فقاموا بتأمين الجيش بما يلزمه من السلاح والتموين، وتنظيم صفوفه مما كان له الأثر في تحقيق الانتصارات على جيوش الممالك الاسبانية في معركة الأرك (٥٩١هـ/ ١١٩٥م).

٤ ـ أن مقاومة الاسبان للفاتحين لم تندحر بشكل نهائي، بل أنها تقوقعت في أقاصي الشمال الغربي من شبه جزيرة إيبريا، وأقامت أول مملكة لها في منطقة جليقة واشتريس، منتهزة الفرقة والصراع القبلي في عصر الولاة لتمد سيطرتها على مناطق شمال الاندلس.

٥ ـ لم يكن هدف الأمـراء الموحدين في حروبهم مـع الممالك الاسبـانية في شـمال الاندلس هو القـضاء عليـهم، وإنما كـان هدفهم تأمين الحـدود وفرض السـلام بالقـوة، وهذا ما نشـاهده بعـد انتصـار الموحدين في مـعركـة الأرك (٥٩١هـ/ ١١٩٥م) وعدم تقدم الأمير المنصور او التوغل داخل أراضي الممالك الاسبانية.

٦ـ نبهت حمـلات الموحدين القوية المتتابعة على شـمال الاندلس نصارى أوروبا من خطورة هذه الدولة الاسلامية، فـحاولوا التصدي لها، وقامـوا بمساندة جيوش الممالك الاسبانية بالجيش والأسلحة والتـموين، الى درجة قيام البابوية بالدعوة الى تحريم خروج نصارى الاسبان للحروب الصليبية في المشرق الا بعد الانتهاء من الحرب الصليبية في الاندلس.

٧ـ ساهمت الصـراعات المقـيتة بين زعـماء الاندلس في فتـرة ضعف الموحـدين بعد معركة العقاب (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م) من اضعاف البـلاد ووقوعها لقمة سائغة في يد الممـالك الاسبانـية، لدرجة ان صـار بعض هؤلاء الزعـماء أمثـال ابن هود، وزيان بن مـردنيش وابن الاحـمـر يـرتقـون العـرش على رمـاح الاسـبـان ولا يستمرون في الحكم الا بتأييد منهم مقابل تقديم الجزية والاقرار بالطاعة لهم.

٨ ـ كان لسـقوط العـديد من المدن الاندلسيـة في يد الممالك الاسـبانية بداية لـنهاية المسلمين في الاندلس.

وأخـيراً فـإن دراسة العـلاقات الحـربية بين الموحـدين والممالك الاسـبانيـة في الاندلس كشـفت لنا مواطن الضعـف والقـوة في شبه الجزيرة الايـبـرية ووضعت يدنا على النتائج التي أشـرنا اليها، وكـان ذلك كالمرآة التي رأينا فيـها مجـتمع الاندلس على حـقيقـته، وكـشفت لنا عن سـر أفراحـه وأتراحه وعن فـترات سلمـه وهنائه، وفـترات صـراعه وآلامـه، وكان السـر في ذلك هو وحدة الجـبهـة الداخلية، فـاذا

تواجـدت كان النجـاح والتوفـيق والقوة واذا غـابت كان الفـشل والاحبـاط والذلة والمهانة.

وبعد أرجو ان أكون قد وفقني الله فيما ذهبت اليه في هذا البحث، ولا أدعي الكمال، فالكمـال لله وحده، وما أكون قد أصبـته من توفيق فبفضل الله وبـتوجيه استـاذي الجليل الدكتور مـحمد عـبده حتامـله ولمن قدموا يد المسـاعدة بكل الشكر والتقدير والله الموفق وهو المستعان.

قائمة المصادر

- ابن الابار، أبو عبدالله محمد بن عبده القضاعي (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)، الحلة السيراء، ط١، تحقيق حسين مؤنس، الشركة القومية للطباعة، القاهرة، ١٩٦٣م.

- ابن الابار، أبو عبدالله محمد بن عبده القضاعي (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)، التكملة لكتاب الصلة، ط١، تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩م.

- ابن الابار، أبو عبدالله محمد بن عبده القضاعي (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)، المعجم، مطبعة روخس، مجريط، ١٨٨٥م.

- ابن أبي اصبعية، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم (ت ٦٧٧هـ/ ١٢٧٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق د. نزار رضار، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.

- ابن الاثير. أبي الحسن محمد بن عبدالكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ط١، تحقيق محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

- ابن الأحمر، أبو الوليد اسماعيل (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٢م)، روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط ١٩٦٢م.

- ابن اياس، محمد بن أحمد الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط٢، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢م.

- الادريسي، أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحموي (ت. ق٦هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د.ت.

- الاصطخري، اسحق بن إبراهيم بن محمد الفارسي (ت ق٤هـ)، المسالك والممالك، تحقيق، د. محمد جابر عبدالعال الحيني، دار القلم، الجمهورية العربية المتحدة،

١٩٦١م.

- الانصاري، أبو عبدالله محمد المراكشي (ت٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م)، فهرست الرصاع، تحقيق محمد العنابي، دار الكتب الوطنية، تونس، د.ت.

- ابن بطوطة محمد بن عبدالله اللواتي (ت ٧٧٠هـ)، تحفة النظار في غرائب الامصار، ط١، شرح طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

- البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق، (ت٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ط١، تحقيق علي محمد البيجاوي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٥٤م.

- الباديسي، عبدالحق بن اسماعيل، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أحمد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط ١٩٨٢م.

- البكري، عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب «المسالك والممالك»، ط١، تحقيق د. عبدالرحمن الحجمي، دار الرشاد، بيروت، ١٩٦٨م.

- البكري، عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقى، دار عالم الكتب، بيروت د.ت.

- ابن بلقين، عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي (ت ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م)، مذكرات الامير عبدالله المسماة بكتاب «التبيان»، تحقيق ليفي برفنسال، دار المعارف، مصر ١٩٥٥م.

- البيذق، أبي بكر بن علي الصنهاجي، (ت ق٦هـ)، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور، الرباط، ١٩٧١.

- ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن(ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط١، تعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.

- ابن تومرت، محمد (ت ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م)، أعز ما يطلب، تحقيق، د. عماد طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥م.

- ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد الأندلسي البلنسي (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٦م)، رحلة ابن جبير، ط٢، دار صادر، بيروت ١٩٨٨م.

- الجزنائي، علي، جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس، المطبعة الملكية، الرباط ١٩٦٧م.

- الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، ط٢، عالم الكتب للنشر، بيروت ١٩٨٦م.

- الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر للطباعة والشنر، بيروت ١٩٥٥م.

- الحموي، أبي الفضل محمد بن علي بن نظيف (ت ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م)، التاريخ المنصوري «تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان»، تحقيق د. أبو العيد دودو، مراجعة د. عدنان درويش، مطبعة الحجاز، دمشق، ١٩٨٢م.

- الحنبلي، أحمد بن إبراهيم (ت ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م)، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق ناظم رشيد، وزارة الثقافة والفنون، بغداد ١٩٨٧م.

- الحميري، أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم (ت ق٩هـ)، الروض المعطار في خبر الاقطار، ط٢، تحقيق د. احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٤م.

- الحميري، أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم (ت ق٩هـ)، صفة جزيرة الأندلس، ط٢، دار الجيل، بيروت ١٩٨٨م.

- ابن حوقل، أبي القاسم النصبني (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، صورة الأرض، دار الحياة، بيروت، د.ت.

- ابن الخطيب، لسان الدين السلماني (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، أعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، ط٢، تحقيق أ. ليفي بروفنسال، دار

المكشوف، بيروت ١٩٥٦م.

- ابن الخطيب، لسان الدين السلماني (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، الاحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق د. محمد عبدالله عنان، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

- ابن الخطيب، لسان الدين السلماني (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، شرح رقم الحلل في نظم الدول، تحقيق د. عدنان درويش، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٠م.

- ابن الخطيب، لسان الدين السلماني (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق محمد كمال شبانه وآخرون، وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية للنشر، القاهرة، د.ت.

- ابن الخطيب، لسان الدين السلماني (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، معيار الأخبار في ذكر المعاهد والديار، دراسة محمد كمال شبانه، المعهد العلمي الجامعي للبحث، الرباط ١٩٧٧م.

- ابن الخطيب، لسان الدين السلماني (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٨م.

- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧١م.

- ابن خلدون، أبي زكريا بي يحيى (ت ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م)، بغية الراود في ذكر الملوك من بني عبدالواد، تحقيق د. عبدالحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، ١٩٨٠م.

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٠م.

- الدوّاداري، أبي بكر بن عبدالله بن ايبك، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق هانس روبرت رويمر، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٦٠م.

- الدمشقي، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي طالب الصوفي (ت ق٧هـ)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، لايبزك، ١٩٢٣م.

- ابن أبي الدينار، محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت ١١١٠هـ/ ١٦٩٨م)، المؤنس في أخبار افريقيا وتونس، ط٣، دار المسيرة، بيروت، ١٩٩٣م.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، (الطبعة الحادية والستون (٦٠١ - ٦١٠)، ط١، تحقيق د. بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٨م.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، العبر في خبر من غبر، تحقيق، أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العملية، بيروت، د.ت.

- ابن الزبير، أبي جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي الغرناطي (ت ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م)، كتاب صلة الصلة، تحقيق د. عبدالسلام الهراس وآخرون، مطبعة فضالة، المغرب، ١٩٩٣م.

- ابن أبي زرع، علي بن عبدالله الفاسي (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدنية فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، د.ت.

- ابن أبي زرع، علي بن عبدالله الفاسي (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢.

- الزركشي، أبي عبدالله محمد بن إبراهيم (ت ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، المكتبة العتيقة، تونس، د.ت.

- ابن الزيات التادلي، أبو يعقوب يوسف بن يحيى (ت ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م)، التشوف الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، ط١، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، ١٩٨٤م.

- ابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، القاهرة د.ت.

- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، ط١، تحقيق محمد محيي الدين، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٢م.

- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، لب الألباب في تحزير الانساب، ط١، تحقيق محمد أحمد عبدالعزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م.

- ابن صاحب الصلاة، عبدالملك (ت ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م)، المن بالامامة، ط٣، تحقيق عبدالهادي التازي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٧م.

- الضبّي (ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، ط١، تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩م.

- العامري، يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى الحضرمي (ت ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م)، غربال الزمان في وفيات الاعيان، تعليق محمد ناجي العمر، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، ١٩٨٥م..

- ابن العبري، غريغوريوس أبي الفرج بن هرون الطيبي الملطي (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٨م)، تاريخ مختصر الدول، تعليق الاب أنطون صالحياني، دار الرائد، بيروت، ١٩٨٣م.

- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٧١٢هـ/ ١٣١٢م)، البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب (قطعة من تاريخ المرابطين)، تعليق د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٧م، ج٤.

- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٧١٢هـ/ ١٣١٢م)، البيان المغرب في اختصار اخبار ملوك الأندلس والمغرب (تاريخ الموحدين)، دار كريماديس للطباعة، تطوان، ١٩٦٠م، ق٣.

- ابن العماد، أبي الفلاح عبدالحي الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

- العمري، ابن فضل الله (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق الاستاذ أحمد زكي باشا، مطبعة الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٤م.

- ابن غازي، أبي عبدالله محمد العثماني (ت ٩١٩هـ/ ١٥١٣م)، الروض الهتوت في أخبار مكناسة الزيتون، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٤م.

- الغبريني، أبو العباس أحمد بن عبدالله (ت ٧١٤هـ/ ١٣١٤م)، عنوان الدراية من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ط١، تحقيق عادل نويهض، منشورات لجنة التاليف، بيروت، ١٩٦٩م.

- الغرناطي، أبو يحيى محمد بن عاصم (ت ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)، جنة الرضى في التسليم لما قدر الله وقضى، تحقيق د. صلاح جرار، دار البشير، الاردن، عمان، ١٩٨٩م.

- ابي الفدا، عماد الدين اسماعيل، المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

- ابن فرحون المالكي (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت.

- ابن قاضي شهبة، بدر الدين (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٩٦م)، الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق د. محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧١م.

- القرافي، بدر الدين (ت ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م)، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، ط١،

تحقيق أحمد الشتيوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.

- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ن.

- ابن القطان، أبو الحسن علي بن محمد الكتامي (ت ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م)، نظم الجمان، تحقيق د. محمود علي مكي، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، د.ت.

- القلصادي، ابو الحسن علي الأندلسي (ت ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م)، رحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الاجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٨م.

- القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ط١، تعليق نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

- القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ط٢، تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.

- ابن القنفذ، أبو العباس أحمد بن حسين القسنطيني، الفارسية في مباديء الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وآخرون، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م.

- الكتبي، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، عيون التواريخ، تحقيق د. فيصل السامر وآخرون، منشورات وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٧م.

- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الكتب العملية، بيروت، ١٩٨٥م.

- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، ١٩٧١م.

- مجهول، (مؤلف عاش في القرن ٩هـ)، أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر، تحقيق د. حسين مؤنس، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩١م.

- مجهول، (مؤلف عاش في القرن ٦ هـ)، الاستبصار في عجائب الأمصار، ط١، تحقيق د. سعد زغلول عبدالحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥م.

- مجهول، (مؤلف عاش في القرن ٩ هـ)، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

- مجهول، (مؤلف عاش في القرن ٨هـ)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ط١، تحقيق د. سهيل زكار وآخرون، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩م.

- المراكشي، أبو عبد الله محمد بن عبدالملك الانصاري (ت ٧٣هـ/ ١٣٠٣م)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (السفر السادس)، ط١، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣م.

- المراكشي، محيي الدين أبي محمد عبدالواحد بن علي التميمي (ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط١، تعليق محمد سعيد العريان وآخرون، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٤٩م.

- المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد أبو بكر البشاري، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، مكتبة خياط بيروت ١٩٠٦م.

- المقدسي، شهاب الدين أبي محمد بن عبدالرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع (المعروف بذيل على الروضتين)، ط٢، تصحيح محمد زاهد بن الحسن الكوثري، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤م.

- المقدسي، شهاب الدين أبي محمد بن عبدالرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)، الروضتين في اخبار الدولتين (النورية والصلاحية)، دار الجيل، بيروت، د.ت.

- المقري، أحمد المالكي الأشعري (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مراجعة وزارة المعارف العمومية، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٦م.

- المقري، أحمد المالكي الأشعري (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق سعيد أحمد وآخرون، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٨٠م.

- المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، ط٢، تصحيح محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التاليف، القاهرة، ١٩٥٦م.

- المكناسي، أحمد القاضي (ت ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدنية فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٣م.

- المنذري، زكي الدين أبو محمد عبدالعظيم بن عبدالقوي (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٩م)، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف، مطبعة الأدب، العراق، النجف، ١٩٧١م.

- الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد (ت ١٣١٥هـ/ ١٨٧٩م)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري وآخرون، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م.

- النباهي، أبو الحسن بن عبدالله بن الحسن المالقي (ت ق٨هـ)، تاريخ قضاة الأندلس (كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، د.ت.

- النميري، أبو الحجاج (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، فيض العباب وإفاضة قداح الاداب في الحركة السعيدة الى قسنطينة وإلزاب، دراسة د. محمد بن شقرون، الرباط، ١٩٨٤م.

- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق د. محمد جابر عبدالعال الحيني وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.

- الونشريسي، أحمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م)، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقيا والأندلس والمغرب، اخراج د. محمد حجي وآخرن، دار الغرب الاسلامي، بيروت ١٩٨١م.

قائمة المراجع:

- أحمد عطية الله، القاموس الاسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٩م.

- أرنولد، سيرتوماس، تراث الاسلام، ط٣، تعريب جرجيس فتح الله المحامي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٨م.

- أشباخ، يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ط٢، ترجمة محمد عبدالله عنان، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٨م.

- بالنثيا، انخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، تعريب حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

- بروفنسال، لافي، مجموعة رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المؤمنية، المطبعة الاقتصادية، الرباط، ١٩٤١م.

- بروي، ادوارد، تاريخ العالم (العصور الوسطى)، تعريب يوسف اسعد داغر وآخرون، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٩٤م.

- بطرس البستاني، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

- بن عبد الله، عبدالعزيز، تاريخ المغرب في العصر القديم والوسيط، مكتبة السلام، الدار البيضاء، د.ت.

- بوروبية، رشيد، عبدالمؤمن (سلسلة الفن والثقافة)، منشورات وزارة الاعلام، الجزائر، ١٩٧٦م.

- التازي، د. عبدالهادي، التاريخ الدوبلوماسي للمغرب من اقدم العصور الى اليوم (عهد الموحدين)، مطابع فضالة، المحمدية، ١٩٨٧م.

- التطواني، أحمد بن محمد الرهوائي، تفريب الافصى من كتاب الاستفصا، المغرب، تطوان، ١٣٤٦هـ.

- توزنو، روجي لي، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ترجمة د. امين الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٢م.
- التونسي، خير الدين، أقوام المسالك في معرفة احوال الممالك، تحقيق المنصف الشنوفي، المؤسسة الوطنية للترجمة، تونس، ١٩٩١م.
- جدعان، د. فهمي، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ط١، وزارة التربية والشؤون والشباب، سلطنة عُمان، ١٩٨٥م.
- جوليان، شارل أندري، تاريخ افريقيا الشمالية، ط٢، تعريب محمد مزالي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٣م.
- حاطوم، نور الدين، تاريخ العصر الوسيط في أوربة، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.
- حتي، فليب، تاريخ العرب، ط٤، دار الكشاف للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٥م.
- الحجي، د. عبدالرحمن، التاريخ الأندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة، ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٧٦م.
- حركات، إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، ط١، دار السلي للتاليف والنشر، الدار البيضاء، ١٩٦٥م.
- حميدة، د. عبدالرحمن، جغرافية أوربة الغربية، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م.
- حومد، د. اسعد، محنة العرب في الأندلس، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٨م.
- دندش، د. عصمت عبداللطيف، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين (عصر الطوائف الثاني)، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
- ابو دياك، د. صالح محمد، الوجيز في تاريخ المغرب والأندلس من الفتح الى بداية عصر المرابطين وملوك الطوائف، ط١، مكتبة الكتاني، الاردن، اربد، ١٩٨٨م.

- ديورانت، ول، قصة الحضارة (عصر الايمان) ترجمة محمد بدران، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٥٧م.

- رجب محمد عبدالحليم، العلاقات بين الأندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني امية وملوك الطوائف، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت.

- الرقب، شفيق محمد عبدالرحمن، شعر الجهاد في عهد الموحدين، مكتبة الاقصى، الاردن، عمان، ١٩٨٤م.

- رزوق، د. محمد، الأندلسيون وهجراتهم الى المغرب خلال القرنين (١٦ ـ ١٧م)، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩١م.

- رمضان د. عبدالمحسن طه، تاريخ المقاومة الاسبانية ضد المسلمين في الأندلس، (من ٩٢ ـ ١٢١هـ)، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٨٧م.

- ابو رميلة، د. هاشم، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الاسلامية في الأندلس، ط١، دار الفرقان، الاردن، عمان، ١٩٨٤م.

- زغلول، د. سعد، محمد بن تومرت وحركة التجديد في المغرب والأندلس، دار الاحد، بيروت، ١٩٧٣م.

- سالم د. السيد عبدالعزيز، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، مؤسسة الشباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٨٢م.

- سالم د. السيد عبدالعزيز، تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة اسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٨٤م.

- السامرائي، د. خليل إبراهيم، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، مديرية دار الكتب للطباعة، الموصل، ١٩٨٦م.

- السامرائي، خليل إبراهيم، الثغر الاعلى الأندلسي، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٧٦م.

- السعيد، محمد مجيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، بغداد ،

١٩٨٠م.

- السليمـاني، ابن عبدالله، اللسان المغرب عن تهـافت الاجنبي حول المغرب، مطبـعة الامنية، الرباط، ١٩٧١م.

- سـميل، ر.ي، الحروب الصليبيـة، ط١، ترجمـة سامي هـاشم، المؤسسـة العربيـة للدراسات والنشر، بيروت، د.ت.

- سيد يو، ل. أ، تاريخ العرب العـام، تعريب عادل زعيتر، دار احـياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٨م.

- سيد يو، ل، أ، خلاصته تاريخ العرب، ط١، دار الآثار، بيروت، ١٤٠٠هـ.

- سيسالم، د. عصام سـالم، جزر الأندلس المنسيـة (التاريخ الاسلامي لجـزر اللبار)، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢م.

- ضيـاء باشا، الأندلس الزاهية (دول الطوائف ودولة المرابـطين وبداية دولة الموحدين)، ط١، تعـريب عـبدالرحـمن ارشيـدات، تحقيق صـلاح ارشـيـدات، وزارة الثقـافـة والاعلام، الاردن، عمان، ١٩٨٩م.

- ابو ضيف، د. مـصطفى، أثر العرب في تاريخ المغـرب (خلال عصـر الموحدين وبني مرين)، ط١، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٣م.

- طرخان، د. إبراهيم علي، المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٦م.

- الطيبي، د. امين توفيق، دراسات في تاريخ الأندلس، ط١، الدار الأندلـسية للطباعة والنشر، ليبيا، طرابلس، ١٩٩٢م.

- العبـادي، د. أحمد مخـتار، دراسات في تاريخ المغـرب والأندلس، مؤسسة شـباب الجامعة للطباعة والنشر، الاسكندرية، ١٩٦٨م.

- العبادي، د. أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت، ١٩٦٨م.

- علام، د. عبدالله، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبدالمؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.

- عنان، د. محمد عبدالله، أندلسيات، الكتاب العشرون، مجلة العربي، ١٩٨٨م.

- عنان، د. محمد عبدالله، الآثار الأندلسية الباقية، ط٢، مطبعة لجنة التالف، القاهرة، ١٩٦١م.

- عنان، د. محمد عبدالله، الخلافة الاموية والدولة العامرية، العصر الاول، القسم الاول، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٠م.

- عنان، د. محمد عبدالله، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس، ق٢، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠م.

- الغناي، د. مراجع عقيلة، سقوط دولة الموحدين، ط١، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، ١٩٧٥م.

- الغناي، د. مراجع عقيلة، قيام دولة الموحدين، ط١، المكتبة الوطنية، ليبيا، بنغازي، ١٩٧١م.

- الغنيمي، د. عبدالفتاح مقلد، مأساة الفردوس المفقود، (٩٢ ـ ٨٩٧هـ)، دار الكتب القومية، بيروت، ١٩٩٣م.

- الغنيمي، د. عبدالفتاح مقلد، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٤.

- فيشر هـ. أ. ل، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، تعريب محمد مصطفى زيادة وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٧م.

- قاسم، د. جمال زكريا، الاصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية، مطبعة الجيلاوي، القاهرة، ١٩٧٥م.

- قجة، محمد حسن، محطات اندلسية (دراسات في التاريخ والادب والفن الأندلسي)، ط١، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الدمام، ١٩٨٥م.

- كولان، ج. س، الأندلس، ط١، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠م.

- كنون، عبدالله، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط٣، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٥م.

- لانجر، وليام، موسوعة تاريخ العالم، ترجمة د. محمد مصطفى زيادة وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م.

- اللواتي، عبدالكريم، مأساة انهيار الوجود العربي بالأندلس، ط١، مكتبة الرشاد، الدار البيضاء، ١٩٦٧م.

- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ط٣، ترجمة عادل زعيتر، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م.

- مدني، د. صلاح، تاريخ العصور الوسطى في أوربة، مطبعة الانشاء، دمشق، ١٩٧٣م.

- المطوي، محمد العمروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٢م.

- المنوني، محمد، حضارة الموحدين، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٩م.

- مؤنس، د. حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط١، دار مطابع المستقبل، القاهرة، ١٩٨٠م.

- مؤنس، د، حسين، أطلس التاريخ الاسلامي، ط١، الزهراء للاعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٧م.

- مؤنس، د. حسين، فجر الأندلس، ط٢، الدار السعودية للنشر والتوزيع، السعودية، الدمام، ١٩٨٥م.

- موسى، عز الدين عمر أحمد، دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي، ط١، دار الشروق، بيروت، ١٩٧٣م.

- ميرز، فليب فان نس، التاريخ العام، ط٢، ترجمة المطبعة الامريكانية، بيروت، ١٩٢٨م.

- نجيب زينب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، دار الامير للثقافة والعلوم، بيروت، ١٩٩٥م.

- هادريل، ج. م. ولاس، أوروبا في العصور الوسطى، ط١، تعريب د. حياة ناصر الحجي، الكويت، ١٩٧٩م.

- هورتز، انطونيو دومينقير، تاريخ مسلمي الأندلس، ط١، ترجمة عبدالعال صالح طه، تقديم محمد محيي الدين الاصفر، دار الاشراق للطباعة والنشر، قطر، الدوحة، ١٩٨٨م.

- هوبكنز، ج.ف.ب، النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تعريب د. أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٠م.

- وات، مونتغمري، تأثير الاسلام على أوروبا في العصور الوسطى، ط١، ترجمة د. عادل نجم عبو، بيروت، ١٩٨٢م.

- وات، مونتغمري، في تاريخ اسبانيا الاسلامية، ط١، ترجمة د. محمد رضى المصري، بيروت، ١٩٩٤م.

- اليوسف، د. عبدالقادر أحمد، العصور الوسطى الاوروبية (٤٧٦ ـ ١٥٠٠م)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٧م.

الدوريات:

- ابو دياك، د. صالح، فنون القتال عند المرابطين والموحدين والحفصيين، مجلة المؤرخ العربي، ع٣٤، سنة ١٩٨٨م.

- بوتشيش، إبراهيم القادري، الجاليات المسيحية بالمغرب أيام الموحدين، مجلة الاجتهاد، ع٢٨، سنة ١٩٩٥م.

- ذنون طه، د. عبدالواحد، تحالف الممالك الاسبانية في الأندلس وأثره على سقوط غرناطة، مجلة البحث العلمي، ع٣٤، سنة ١٩٨٤م.

- ذنون طه، عبدالواحد، قيام الممالك الاسبانية وعلاقتها مع العرب في الأندلس، مجلة أوراق، ع٥+٦، سنة ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣م.

- رزوق، محمد، الجالية الأندلسية في المغرب العربي، مجلة المناهل، ع٣٤، سنة ١٩٨٦م.

- السعيد وني، د. ناصر الدين، الجالية الأندلسية بالجزائر، مجلة أوراق، ع٤، سنة ١٩٨١م.

- كلاس، فايزة، الجيش عند الموحدين، مجلة دراسات تاريخية، ع٢٩، سنة ١٩٨٩م.

الرسائل الجامعية:

- حسين عبدالرحيم سليم مصطفى، دور عبدالمؤمن بن علي الكومي في نشر دعوة ابن تومرت وإقامة دولة الموحدين في المغرب والأندلس (٥١٠هـ ـ ٥٥٨هـ)، رسالة دكتوراة، الجامعة الاردنية، عمان، الاردن، ١٩٩٣م.

- محمد صالح الجوت، أثر الأندلسيين في الأدب المغربي على عهد الموحدين، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، الجزائر، ١٩٨٧م.

- محمد نايف العمايرة، مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الاسبان، رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية، عمان، الاردن، ١٩٨٩م.

المراجع الأجنبية:

- Bernard Lewis: The world of Islam, London, 1976.
- Charles Julian Bishko: Studies in Medieval Spanish frontier History, London, 1980.
- Claudio Sanchez - Albornoz: Spain. A historical enigma, Madrid, 1975.
- Derek. W. Lomax: The Reconguest of Spain, London, 11978.
- Joseph. f. O'callaghan: A History of Midieval Spain, New York, 1984.
- Luis Suarez Fernandez : Historia de Espana, Madrid, 1975.
- Levi Provencal: Exraits Des Historiens Arabes Du Maroc, Paris, 1948.
- MiCuel Cruz Hernandez: EL Islam de AL-andalus, Madrid, 1992.
- Rogen Le Torneau: The Almohad Movement In North Africa in The 12 - 13 Centuries, New Jersey,1969.
- S. M. Imamuddin: A political History of Muslim Spain, Pakistan, 1969.
- William. C. ATkinson: A History of Spain and Portugal, New York, 1967.
- W. Montògomry Wat: A History of Islamic Spain, Edinturgh, 1967.

الملاحق

١ ـ خارطة تمثل تسميات المدن والمناطق في الأندلس.

٢ ـ سلالة الدولة الموحدية من عبدالمؤمن وأبنائه.

٣ ـ اتفاقية جنوة ـ ميورقة: من الاتفاقيات التي عقدها بني غانية مع المدن الايطالية.

٤ ـ صور للمباني الاسلامية في جبل طارق، زمن الموحدين (مدينة الفتح).

٥ ـ أشهر ملوك الممالك الاسبانية وتسلسلهم زمن الموحدين.

٦ ـ مراحل توسع الممالك الاسبانية من القرن الثامن الميلادي حتى القرن الخامس عشر الميلادي.

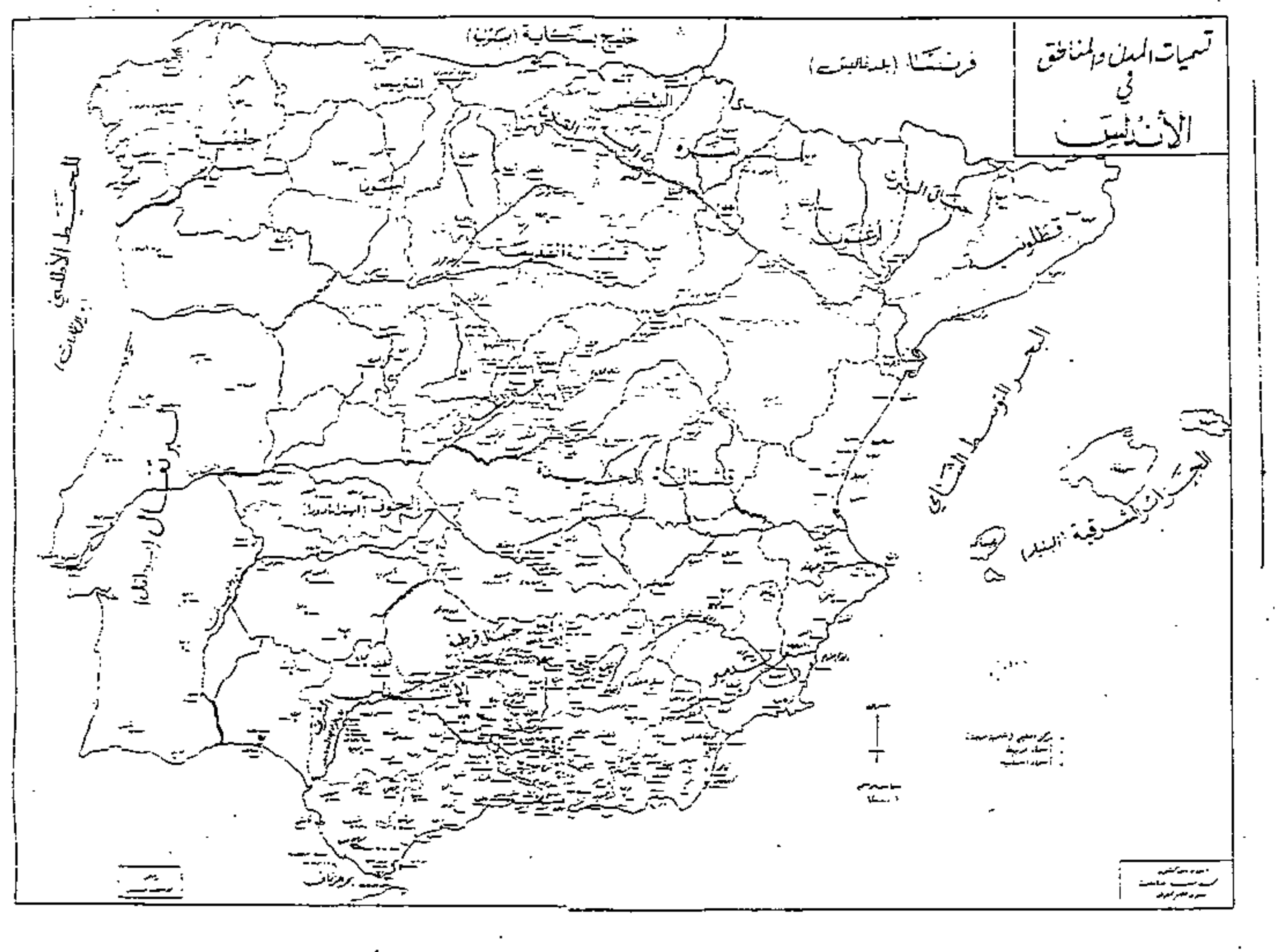
٧ ـ رسم تخطيطي لميدان معركة الأرك (٥٩١هـ/ ١١٩٥م).

٨ ـ رسم تخطيطي لمواقع معركة العقاب خلال جبال سيراMورينا والسهل الواقع في جنوبها.

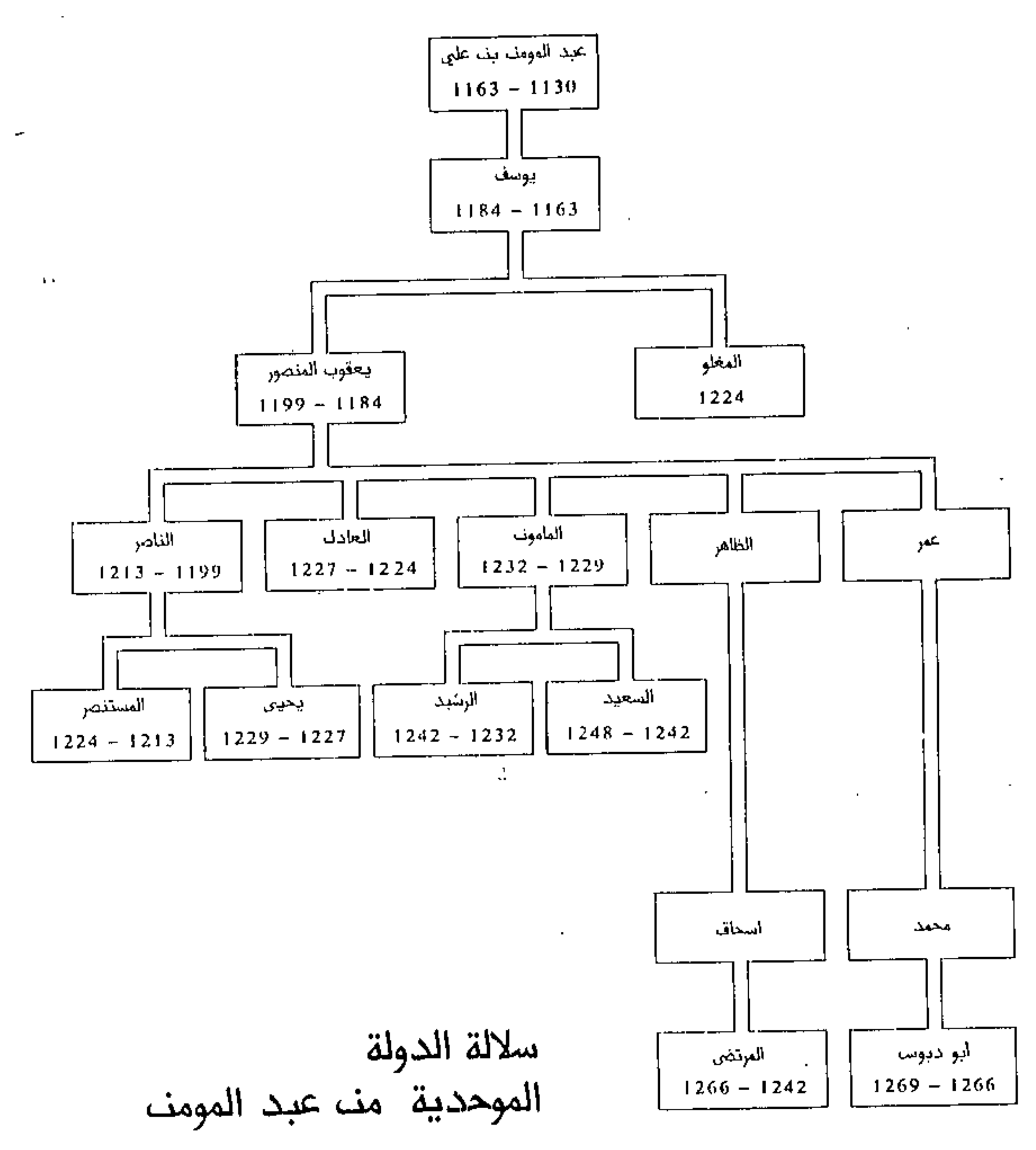
٩ ـ صورة لسلسلة معركة العقاب (السلسلة التي كانت تحيط بخيمة الأمير الناصر).

١٠ ـ علم الموحدين الذي غنمه الاسبان في معركة العقاب (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م).

١١ ـ خارطة تمثل الطرق التجارية في العصر الموحدي.



عن د. محمد عبده حتامله : التنصير القسري لمسلمي الأندلس
في عهد الملكين الكاثوليكيين (١٤٧٤-١٥١٦م)

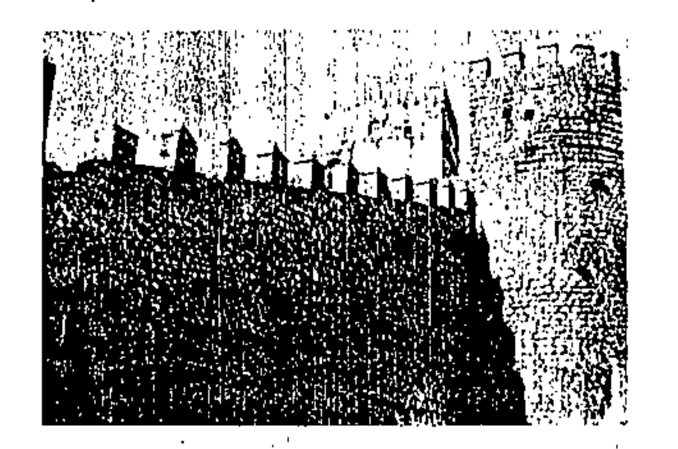


سلالة الدولة
الموحدية من عبد المومن

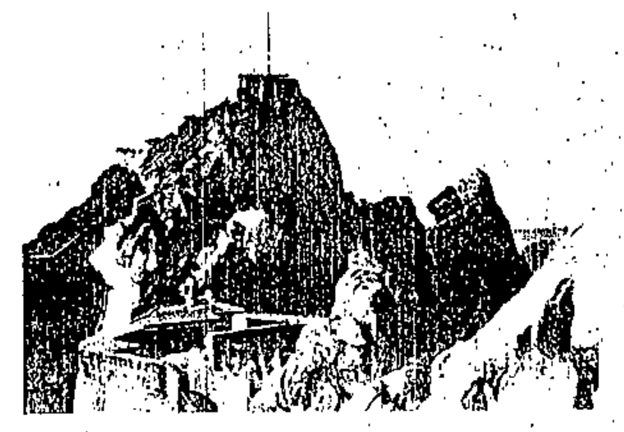
د . عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب من اقدم العصور الى اليوم

اتفاقية جنوة ـ ميورقة، صفر 577 = يونيو 1181

د . عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب من اقدم العصور الى اليوم



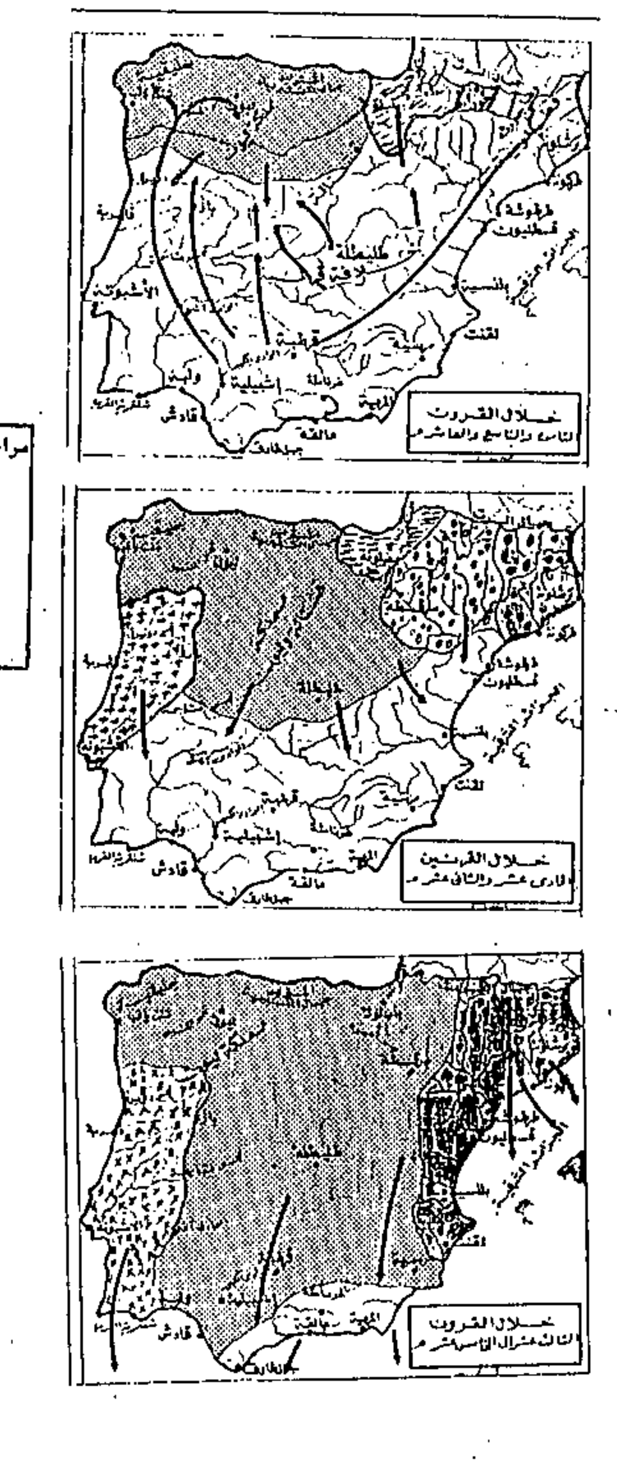
من أقدم المباني الإسلامية بجبل طارق



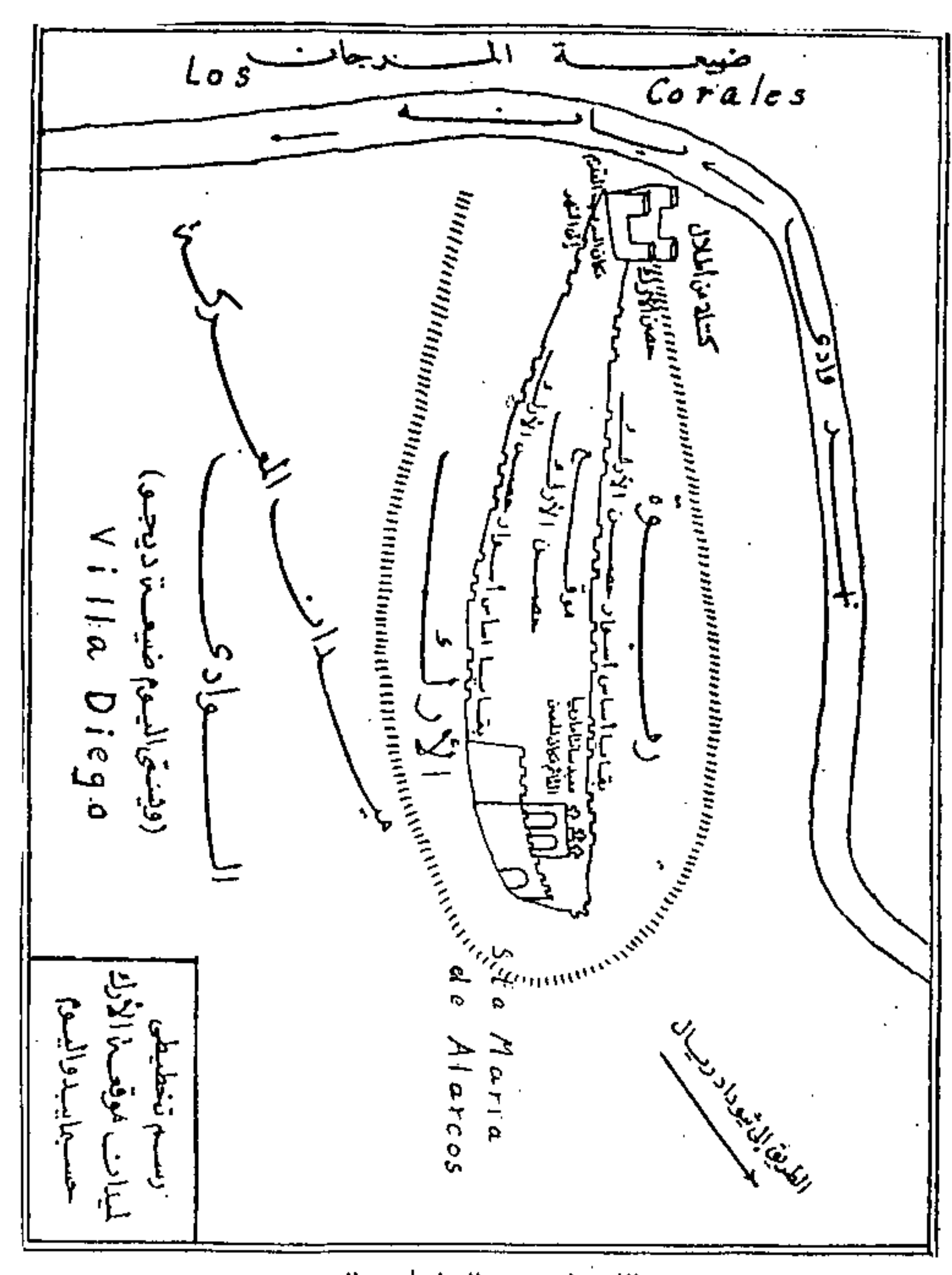
المباني الإسلامية الأولى في جبل طارق

3

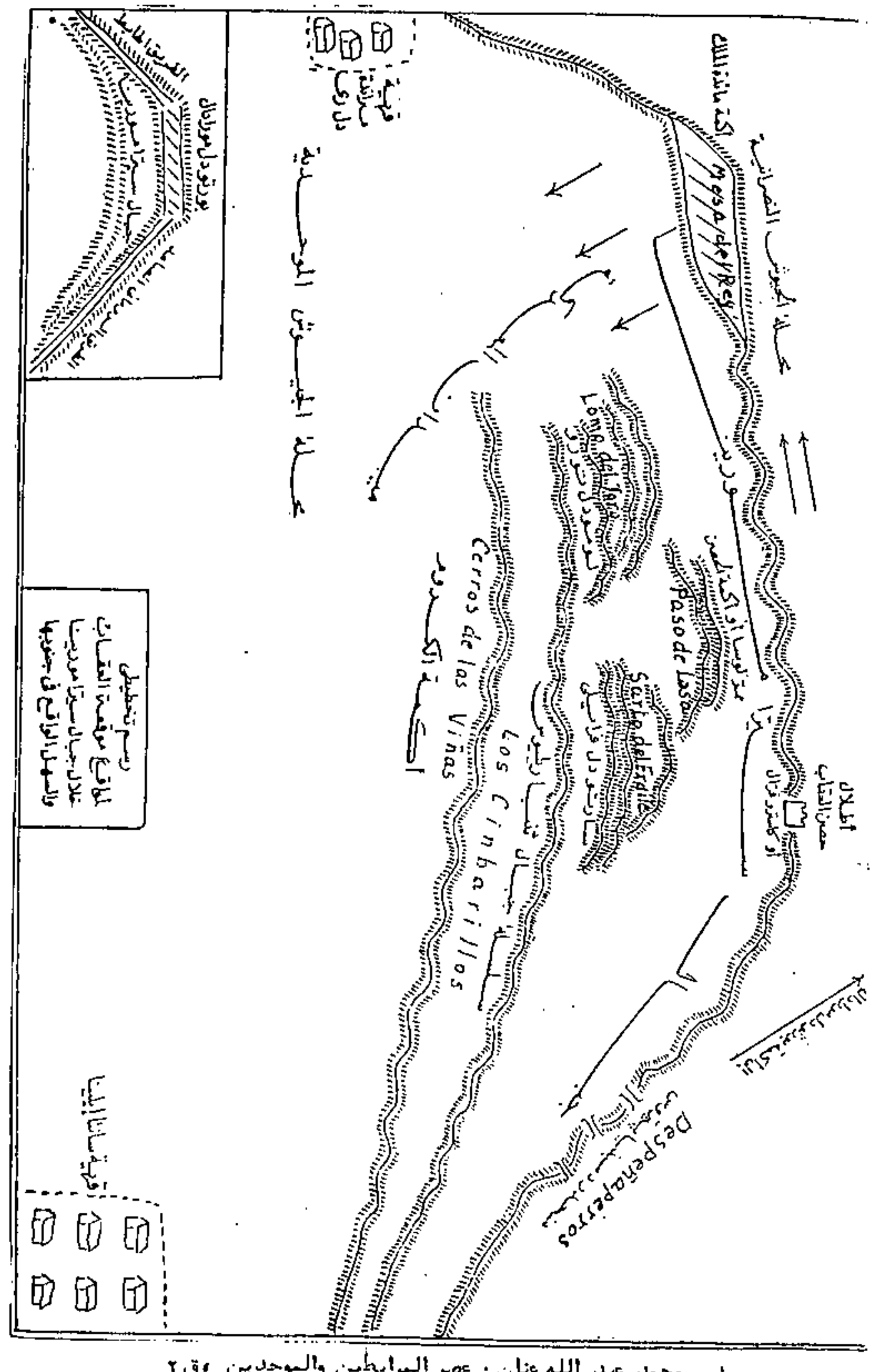
د. عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب من اقدم العصور الى اليوم



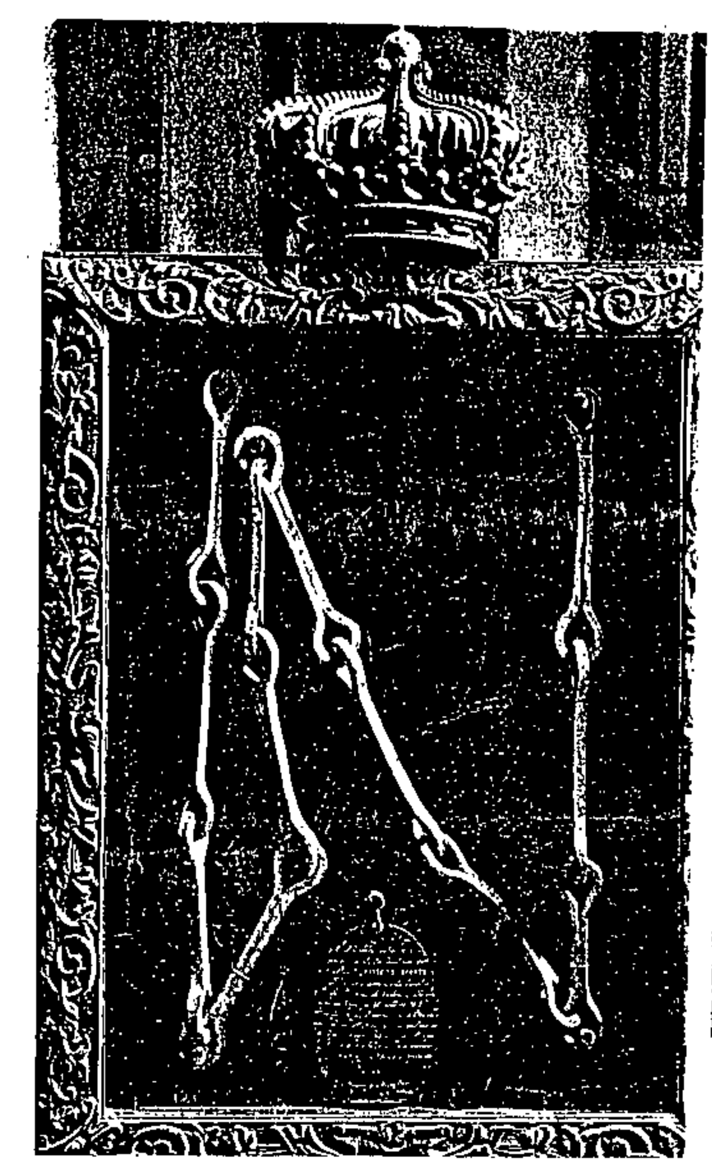
حسين مؤنس - أطلس التاريخ الاسلامي



د . محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين، ق ٢



د . محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق٢



Las cadenas de las Navas. La batalla de Ubeda, o, simplemente, la Batalla, como la denominan los documentos medievales, fue el gran acontecimiento que, en opinión de sus contemporáneos, cambió el rumbo de la historia española. Las cadenas eran un trofeo que recordaba la hazaña de Sancho VII de Navarra cuando salvó de un salto el cerco de esclavos que protegía la tienda del khalifa.

سلسلة معركه العقاب في أبده ،وهي وثيقه للعصور الوسطى والحادثه العظيمه الذي يعتقد انها غيرت وجهة التاريخ الأسباني المعاصر ،والسلسله تظهر كتذكار ومفخره للملك سانشو السابع ملك النافار الذي انتصر عندما طوق عبيد الأمير (الناصر)الذين قاموا بحماية خيمته.

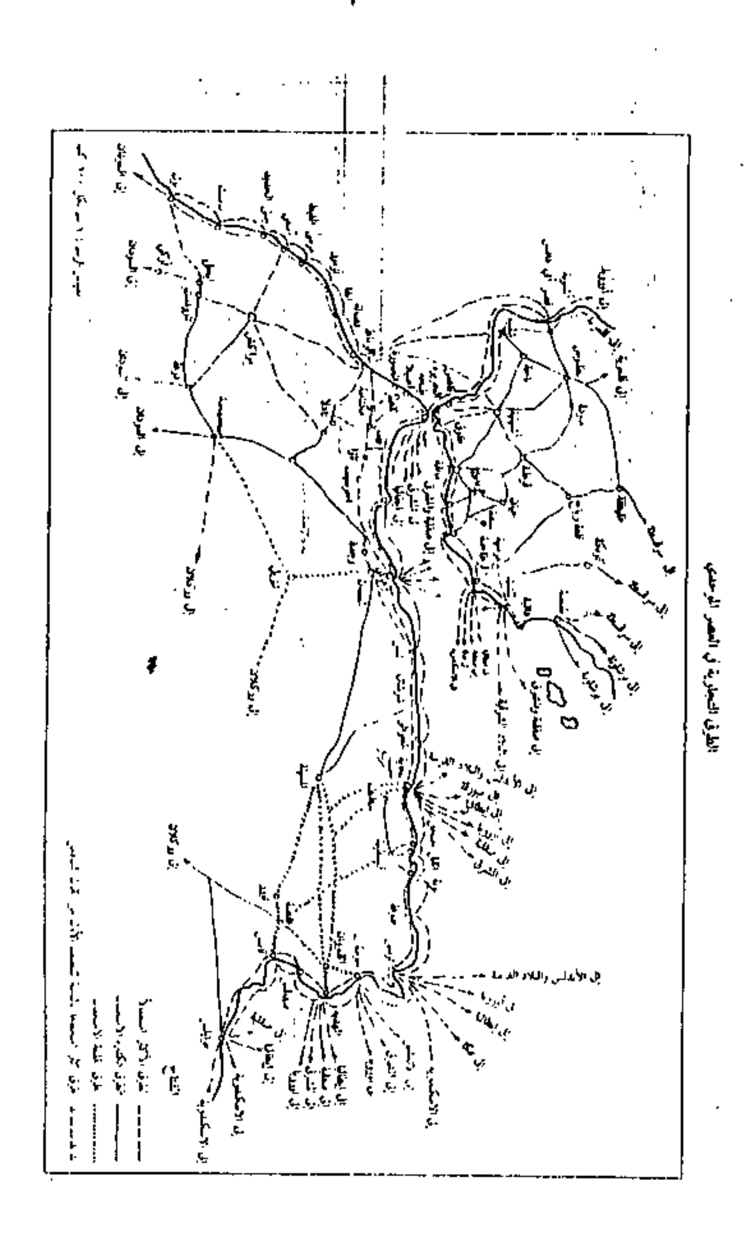
مأخوذه من كتاب:

LUIS SNAREZ FERNANDEZ
-HISTORIA DE ESPANA
MADRID 1975.



علم الموحدين الذي غنمه الإسبان في موقعة العقاب وهو محفوظ بالدير الملكي بمدينة بركوس

د . محمد عبدالله عنان :الاثار الاندلسيه الباقيه



د . صالح محمد ابو دياك : الوجيز في تاريخ المغرب والاندلس
من الفتح الى بداية عصر المرابطين .

ABSTRACT

Military Relations Between Al- Mohades and The Spanish Kingdoms from (540 - 620H/ 1145 - 1225 A.D)

By: Qutaiba Ali Ibraheem Sammour

Supervised by: Prof. Dr. Mohammed Abdo Hatamleh

This study discussed an important aspect of the relations between AL-Mohades and The Spanish monarchies in AL-Andlus, It aimed at clarifying The warfare relations between Them.

The study talked first about the conditions in AL-Andalus after the collapse of , AL-Moravides State, in addition to the appeals for help from the AL-Mohades State in Marocco, and their crossing to AL-Andalus and dimination on all its sides, It also handled the relation between AL-Mohades and the Emirates of AL - Andalus wich were established after the collapse of AL-Moravides State, Those included Ibn- Mardanish in the east of AL - Andalus, also Banu Ghania Emirates in the eastern islands (Biliar), The study also argued to the warfare organization for AL-Mohades and its role in ochieving victories on the AL-Andalusi Emirates and the Spanish Kingdoms.

Also the study discussed the developement of the Spanish Kingdoms at the Time of AL-Mohades where the Castile, Leon, Aragon, Navarra, and Portugal, They atempts of each one to enlarge its borders on the account of Andalusi, the study also illustrated the Warfare organization for those monarchies and the formation of their armies.

With The confinuation of Spanish campaigns (organised and

unorganised) on the Andalusi Land, Many battles and combats happened between them and AL-Mohades, Such as Alarcos battle (591 H/1195 A.D), and AL- Uqab battle (609 H/ 1212 A.D).

Those battles resulted had many effects on AL-Andalus In the political side it affected the Andalusi administrations also the uprise of many Andalusi rebellions against AL-Mohades such as Ibin Hood rebellion, Zayan Ibin Mardanish, and Ibin AL-Ahmar, and The sequence of falling of Andalusi cities, until it end with the last Andalusi monarchy Grenada.